DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
	FEB 1 1 2013		


Princeton University Library
32101 074454719

[ساعدت وزارة المعارف على نشره]

فقهاء الفيحاء

و

تطور الحركة الفكرية في الحلة

تأليف

السيد هادي السيد حمد كمال الدين

مؤسس ومدير مدرسة العلوم الدينية

في الحلة وصاحب جريدة التوحيد

الجزء الأول

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٦٢

Kamāl al-Dīn, Hādī al-Sayyid Ḥamd

[ساعدت وزارة المعارف على نشره]

Fuqahā' al-fayḥā'

فقهاء الفيحاء

او

تطور الحركة الفكرية في الحلة

تأليف

السيد هادي السيد حمد كمال الدين

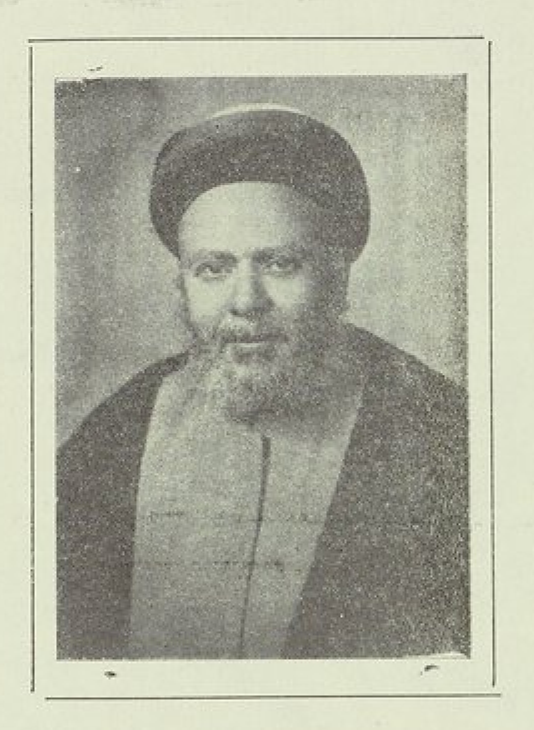
مؤسس ومدير مدرسة العلوم الدينية

في الحلة وصاحب جريدة التوحيد

الجزء الاول

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٦٢



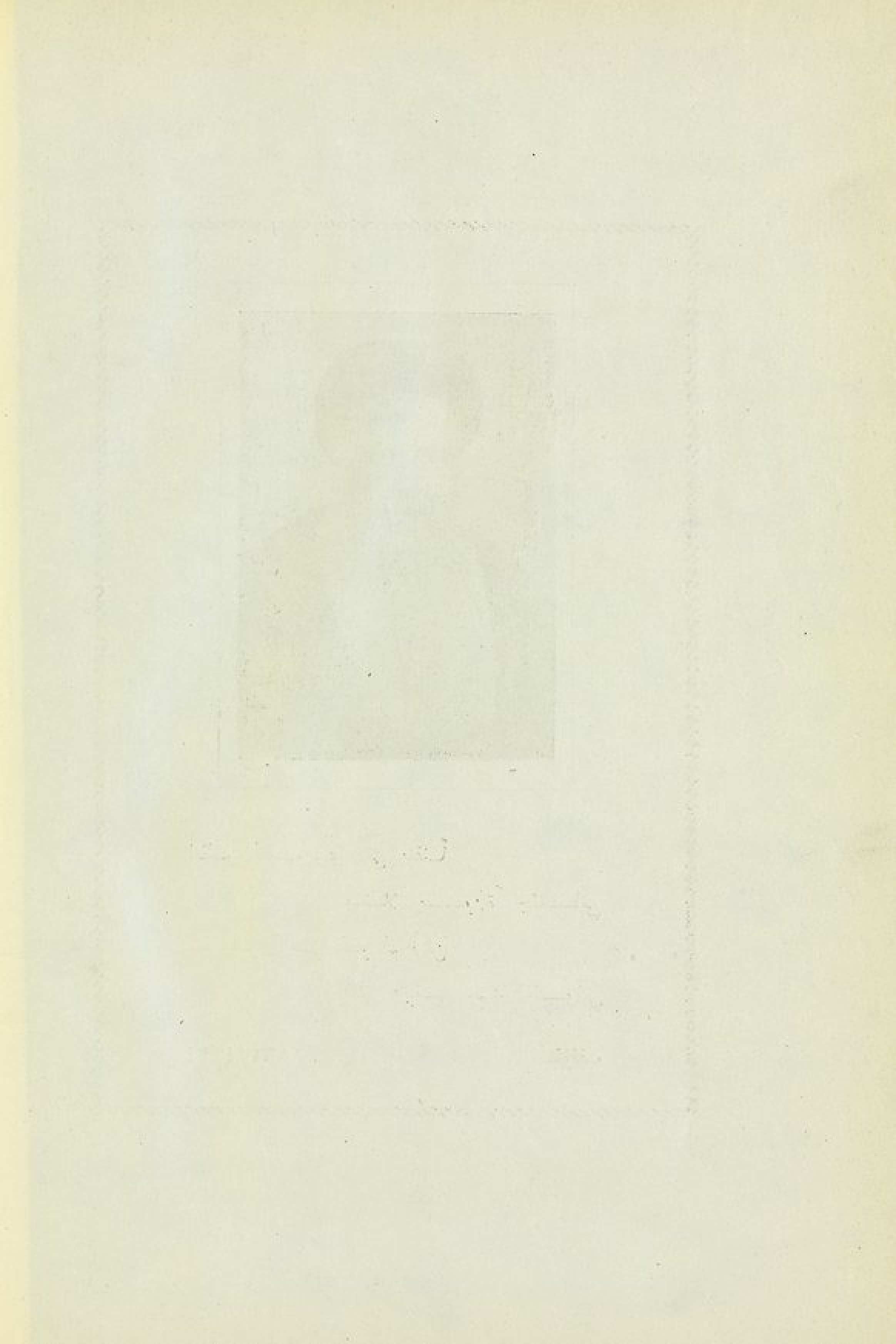
انظر لتصويري أنى متقناً

ممثلاً صورةَ جثماني

لم يفترق عنّي لو لم أكن

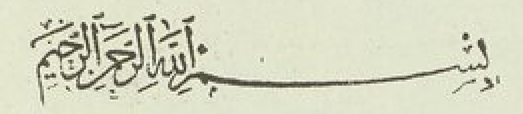
أفنى ويبقى عند اخواني

٢٤/٤/١٩٦٢ **المؤلف**



تفضل الاخ العلامة الجليل السيد صادق بحر العلوم حفظه الله بابداء رأيه السديد في هذا الكتاب وفضيلته من المؤلفين المنتجين الذين خدموا العلم والادب فنشكره على حسن ظنه .

المؤلف



قدّم لي العـلامة الاستاذ السيد هـادي آل كمـال الدين وفقه الله الجزء الاول من كتابه الذي سماه (فقهاء الفيحاء) وطلب مني ابداء رأيي فيه بعد الاطلاع عليه ظانا أني من أهل الرأي ، ولا ريب أن (ظن الالمعي يقين) وقديما قيل :

الالمعي الذي يظن بك ... كأن قـد رأى وقـد سـمعا

ولم يسعني الا تلبية طلبه مع كثرة ما لدي من الاشغال المشروعة ، وكم كنت أود من ذي قبل أن يؤلف كتاب يعالج فيه تاريخ (الحلة الفيحاء) بعلمائها وأدبائهـا وشعرائها وحياتهم الاجتماعيـة يروي الغليل فان (الحلة الفيحاء) بلدة قديمة من البلدان الاسلاميـة ولها تاريخ حـافل بالحوادث والآثار العلمية والادبية القيمـة التي هي في طليعـة التراث الاسـلامي ، ومما ينبغي أن لا يغفلها المؤرخون ، ومن العجيب (والعجائب جمة) أنه لم يتصد أحد في العصور السابقة من العلماء والادباء الى تأليف كتاب يجمع تراثها العلمي وحوادثها الاسلامية ، فاستمع الآن لما أتلو عليك أيها القارىء الكريم :

هاجر شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن المعـروف بالشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ من بغداد الى النجف الاشرف سنة ٤٤٨ على

أثر وقوع الفتنة بين فرقتين مسلمتين مما أدى الى احتراق المنبر الذى كان يلقي دروسه عليه واحتراق كتبه وداره فى باب الكرخ ، وخوفا من اغتياله كما اغتيل غيره ، هاجر الى النجف الاشرف الى أن توفي فيها فى شهر محرم سنة ٤٦٠هـ ودفن فى داره وقبره الآن مشهور يزار ويتبرك به .

وقد انتظم الوضع الدراسى أيام حياته فى النجف الاشرف وتشكلت الحلقات العلمية فيها كما يظهر ذلك للقارىء الكريم عند مراجعته (أماليه) المطبوع بايران الذى كان يمليه على تلامذته ، ومراجعة كثير من مؤلفاته الثمينة ، وقد كثرت الرحلة اليه من أكثر الاقطار الاسلامية للاخذ منه والاستفادة من علمه الفياض الى أن توفي ، ولم تزل النجف الاشرف مركزا علميا ومنتدى اسلاميا واستمر ذلك الى عصر الشيخ الجليل علي بن حمزة بن محمد بن شهريار خازن الحرم العلوي سنة ٥٧٢هـ ، وكان هو الآخر قد كثرت الرحلة اليه للاستفادة منه وتلقى العلوم منه اذ كان علما من أعلام الشريعة الغراء (والمورد العذب كثير الزحام) .

ثم انتقل المركز العلمى من النجف الاشرف الى (الحلة الفيحاء) فى أوائل القرن السابع الهجرى وذلك فى عصر الشيخ نجم الدين جعفر ابن أبي يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي المعروف بالمحقق الحلّي المولود سنة ٦٠٢هـ والمتوفى سنة ٦٧٦هـ ، والشهير بالعلم والفضل وجلالة القدر ، وهو صاحب كتاب (شرائع الاسلام) المطبوع ، ذلك الكتاب العظيم الذى عليه مدار التدريس الفقهى حتى الآن ، وقد شرحه العلماء شروحا عديدة أوسعها (جواهر الكلام) للعلّامة الفقيه الحجة الشيخ محمد حسن ابن الشيخ محمد باقر النجفى رحمه الله المطبوع بايران والنجف الاشرف طبعات عديدة .

ولم تزل (الحلة الفيحاء) مركزا دينيا يأوي اليها جهابذة الفن ورواد الفضيلة من كل حدب وصوب حتى بنيت فيها المدارس وازدهر فيها العلم ، وكان المجلس العلمى الذى يعقد للمحقق الحلى المذكور يحوى اكثر من

أربعمائة مجتهد ، وتخرج من الحلة جماعة من الاعلام طبق صيتهم البلاد الاسلامية أمثال بنى طاووس ، وبنى نما ، وبنى سعيد ، وبنى المطهر ، وبنى معية ، وبنى عزيزة ، وآل ادريس الحلى ، وآل الشيخ ورّام ، وآل فهد ، وآل السيورى ، وآل عوض ، وأضرابهم من البيوت العلمية ، وذلك حتى القرن العاشر .

ثم انتقل المركز العلمى من الحلة الفيحاء الى النجف الاشرف وذلك فى عهد المقدس الاردبيلى المولى أحمد بن محمد المتوفى سنة ٩٩٣هـ ، وكان ممن سكن النجف الاشرف من المشاهير فى القرن التاسع الشيخ جمال الدين أبو عبدالله بن محمد بن الحسين بن محمد السيورى الاسدى الحلى المتوفى سنة ٨٢٦هـ ، صاحب كتاب (كنز العرفان فى فقه القرآن) المطبوع بطهران من بلاد ايران سنة ١٣١٣هـ ، وكان من أفاضل العلماء وأكابر الفضلاء ومن أجلاء تلامذة الشهيد الاول محمد بن مكى العاملى المتوفى سنة ٧٨٦هـ ، ومن مبرزى تلامذة فخر المحققين أبى طالب محمد ابن العلامة الحلى الحسن بن يوسف بن المطهر والمتوفى سنة ٧٧١هـ ، وقد ألف السيورى المذكور فى أكثر الفنون العلمية ولا سيما فى علم الكلام وعلم الفقه ، وقد أسس فى النجف الاشرف مدرسة علمية تعرف (بمدرسة المقداد السيورى) وكان لهذه المدرسة عين وأثر فى سنة ٨٣٢هـ ولعلها هى المدرسة التى يحدثنا عنها الرحالة (ابن بطوطة) فى رحلته المطبوعة عندما زار النجف الاشرف سنة ٧٢٧هـ حيث شاهد مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة من الشيعة يُدخل اليها من باب الحضرة المقدسة ، ولكن لا نرى لهذه المدرسة اليوم عينا ولا أثرا فهى احدى مدارس النجف الاشرف العلمية الضائعة التى أخنى عليها الدهر ، ونرى من حديث الرحالة (ابن بطوطة) المذكور أن النجف الاشرف ــ حتى فى عصر انتقال المركز الدينى الى (الحلة الفيحاء) ــ كانت تحوى جماعة من العلماء المشاهير الذين لهم مكانتهم العلمية ، ولم تزل حتى اليوم مركزا للزعامة الدينية بل من

أعظم المراكز العلمية ، وفيها مدارس عديدة يسكنها رواد العلم القاصدون اليها من الاقطار الاسلامية .

هذه نبذة من الحركة الفكرية العلمية فى النجف الاشرف والحلة الفيحاء . والآن بين يدي كتاب (فقهاء الفيحاء) لسيدنا الهادى آل كمال الدين وفقه الله تعالى تصفحته تصفح تحقيق وتدقيق لا كما يقولون : (نظرت اليه نظرة عابرة) فوجدته ـ وأيم الحق ـ أوسع كتاب فى موضوعه ، جمع فأوعى ، وقد عالج فيه مؤلفه الاستاذ الحركة العلمية فى الحلة وتراجم علمائها وفقهائها مستندا فى كل ذلك على شتى المصادر الوثيقة بنسق متصل ونظام بديع فهو أول موسوعة رأيتها فى هذا الموضوع ، فلله در مؤلفها وكثّر الله فى رجال العلم أمثاله ، ولا ريب أن خدمات مؤلفه الجمة للعلم والادب فى اخراج هذا المؤلف الضخم بمادته الغزيرة ونتائج اطلاعه الواسع كلها مقدرة مشكورة ، فهو لعمرى جهد لا تنكر فوائده ، وان كنا ربما لا نوافق المؤلف وفقه الله فى بعض آرائه التاريخية والعلمية غير أن ذلك لا ينقص من قيمة الكتاب العلمية ولا نريد بهذه الكلمة العابرة أن نبخس جهوده الجبارة (لا سمح الله) فان كل مؤلف حر فى آرائه لا سيما اذا استند على مصادر اعتمد عليها برأيه ، وقديما قيل (من ألف استهدف) نقول ذلك بتمام الصراحة وبغير مجازفة ولا مخاتلة ، ولا نود أن نقول غير ما يصل اليه رأينا الحر شأن المقرظين المنصفين (وقليل ما هم)

وختاما نقول كلمتنا الاخيرة : نهنيك أيها الاخ الهادى بهذا السفر الجليل ونرجو لك التقدم المطرد والتوفيق الكامل لنشر العلم والادب ونأمل أن تتحفنا بالجزء الثانى من هذا المؤلف الثمين ان شاء الله ، وتقبل من أخيك (الصادق) هذه الكلمة الموجزة والله يوفقك وايانا للصالح العام ويعيننا فى جميع الامور ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم]

محمد صادق بحر العلوم

١٣/محرم/١٣٨٢هـ ـ ١٦/٦/١٩٦٢م

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

هل الحياة سوى مجموعة قصص متضادة متمانعة من كتاب الوجود الذى ألفه الخالق المبدع اجمل تأليف ليكون ابداعه دليلا على مبدعه ؟ ..

وهل المجد الانسانى سوى فصل مهم من أبرز قصة من قصص ذلك السفر الخالد ؟

وهل اليقظة الفكرية سوى عنوان ذلك الفصل ؟

وهل الفقه سوى جزء بارز من ذلك العنوان الساحر الاخاذ ؟

اذا عرفت ذلك سهل عليك ما لكتابى هذا من أهمية فقد عنى هذا الكتاب – فقهاء الفيحاء – بتسجيل الحركة الفكرية وتطورها بصورة تقرب من الدقة فيها النقد البريء والعرض الامين والمناقشة العلمية الهادئة دون تحامل مغرض ولا محاباة عاطفية فابتعدنا جهد استطاعتنا عن الاغراض التجارية فقوضنا ذلك المرسح ومزقنا ذلك الستار .

ولمثل هذا البحث فى التاريخ قيمة كبيرة ، وان التاريخ على وجه العموم عبارة عن تسجيل حوادث زمنية الغاية منها تسليمها الى الجيل القادم فهو أشبه بالمرآة تنعكس عليها صور الحوادث . وان مقدار حسن تلك الصورة ودرجة مطابقتها للاصل متناسب طرديا مع ما فى تلك المرآة من صفاء وجلاء . ولاجل ذلك جاز للشاعر أن يقول :–

ليس بانسان ولا عاقل   من لا يعى التاريخ فى صدره

وللمؤرخ فضل آخـــر هو استعماله طاقته الفكرية وايقاظ ذاكرته وضميره عنــد سرد الحوادث وربط سلسلتها برباط منطقى والخـروج من مقايستها باستنتاج صحيح مقبول ، وهذا ما احسبه ابرز ناحية فى المؤرخ ، والا ففى استطاعة من يعرف مجرد القراءة والكتابة ان يجمع الحوادث من مظانها ويوحد موضوعاتهـا على ضوء فهارسها فيكون مؤرخا فى عـــداد المؤرخين .. فمحاكمة الحوادث واستيعاب مفاهيمها والمقارنـة والاستنباط والتعقيبات كل ذلك يحتاج مستوى ثقافى يرتفع عن مستوى من يعـــرف مجرد القراءة والكتابة أو من يقاربه فى هذا المستوى .

وهناك ناحية اخرى وأعنى بها ناحية الاخراج والتعبير فالمؤرخ المتمكن من ناحية الفصاحة والبلاغة بمقدوره أن يضفى على الحوادث التاريخية من روحه الشفافة الوانا شتى من اللذة والمتعة ـ والفقهاء ـ موضوع كتابى هذا من بعض تلك المواضيع الشائقة يعيــد الى ذهن القارىء تلكم الذكريات الرائعة والثروة العلمية الضخمة التى يعتز بها تاريـخ الحلة المجيد . فهو قبس مضيىء من تاريـخ عصر تطور فـكرى واجتماعى عميق الجـذور بالانطلاق ..

فلا غرابة اذا مخرت سفينة هذه البحوث فى تيارات صاخبة من بحر التاريخ فى رحلة ممتعة طويلة تبدأ من مرفأ تأسيس الحلة فى القرن السادس الهجرى وترسو بميناء العصر الحالى بقيادة ـ الضمير ـ ربان هذه السفينة الامين الذى جنبها تلاطم امواج التناقض من التحامل والمحاباة واوصلها الى شاطىء سلامـة البحوث من تيارات الاخطاء قـدر الطاقة مستعينا باشارات ـ بوصلة ـ التحقيق الى مواطن الحق ، وان رحلة شاقة كهذه فى (بحر الظلمات) كهذا تحتاج الى نفقات باهضة من الوقت الثمين ومن صرف طاقة فكرية ومادية وقد يسر الله لنا كل ذلك وقمنا فى انجاز طبع هذا الـكتاب الذى تفضلت وزارة المعارف الجليلة فأولته اهتمامها وساعدته بالحد الاعلى

من المساعدة المادية التى كانت موضع شكرنا وتقديرنا فبفضل مساعدتها استطعنا ان ننجز طبع هذا الكتاب تاركين تقدير الرابط الاساسى بين الحاضر والماضى الى فطنة القارىء فهو الجدير باستخلاص ذلك الرابط بطريق المقارنة والاستنتاج ولا شك أن هذا الرابط هو الغاية الاساسية المتوخاة من هذه البحوث لتحمل النشء الجديد على المحاكاة والتقليد لسيرة أعلامنا وأبطالنا وذلك فيما يتسق وذاتية امتنا التى تستمد عناصر عظمتها من بيئتها لتستجلى العِبرة وتكفكف العَبرة متمثلة بقول شاعرها :ـ

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

ومن عرف شرف نفسه وشرف ماضيه كانت معرفته هذه زاجرا له عن الرذائل ومشجعا له على نيل المكارم ، ومن هنا ينجلى السر الذى استهدفه سيد الشهداء ، وشهيد الاباء فى تقريعه صنائع الطاغية يزيد فى قولته الخالدة المأثورة ـ ارجعوا الى أحسابكم ان كنتم عربا كما تزعمون ـ فان الرجوع الى شرف الاحساب والانساب مدعاة الى انتهاج سبل الفضيلة ، وقد توخيت من كتابى هذه الغاية الشريفة لتذكير ناشئتنا بمجدهم العظيم الغابر ليسلكوا نفس الطريق الذى سلكه أسلافهم الى المجد والكرامة والخلود .

وقد حاولت حريصا أن يكون فى غاية من الايجاز اذ لم يكن غرضى الافاضة والاسهاب فان ذلك ليضيق عنه الوقت الفسيح ويقصر عنه الباع الطويل وانما هى المامة على حد قولهم ـ لا يترك الميسور بالمعسور ـ .

وبهذه المناسبة رأيت لزاما علىّ تسجيل آيات شكرى وتقديرى لحضرات الاساتذة الذين يرجع اليهم الفضل فى تاليف هذا الكتاب بتشجيعى وبوضع ثقتهم بى فى القيام بهذه المهمة وحثهم اياى على الاضطلاع بعبئه وفى مقدمة هؤلاء سيادة الادارى الحازم اللوذعى السيد باقر الدجيلى متصرف

اللواء (١) والاساتذة الذين شجعوني . كما لا يفوتني شكري لاخي العلامة الجليل الشيخ عبدالحسين الاميني مؤلف الكتاب القيم - شهداء الفضيلة - والمشرف على ادارة مكتبة أمير المؤمنين - ع - في النجف الاشرف كما أشكر صديقي العلامة الاستاذ الشيخ أغا بزرك الطهراني فقد وضعا مكتبتيهما تحت تصرفي وبذلا جهدهما المشكور في توفير أسباب الراحة الى ومن الله سبحانه استمد التسديد والتوفيق .

أيها الناظر في تأليفنا ... ان تجد نقصاً فأبدله كمالا

أوتجد عيباً فأصلح ماترى ... انما العصمة لله تعالى

١٩٦٢/٤/٢٤ **المؤلف**

---

(١) سيادته الآن وزير البلديات وقد أشغل هذا المنصب المرموق بكل جدارة .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلة ـ بكسر الحاء وتشديد اللام ـ لفظ مشترك يطلق على عدة معان. كالشجرة الشائكة التي هي أصغر من العوسج أوردها الشاعر في رجزه :

يأكل من خَضْبٍ سَيالٍ وَسَلَمْ

وحِلَّةٍ لمّا يوطّئها النَعَمْ

والحلة بكسر الحاء القوم النزول وفيهم كثرة والحلة أيضا مصدر قولك حل الهَدْيُ وبضم الحاء ازار ورداء أو ثوب وبطانة وجمعها حلل والحلة بكسر الحاء كما ذكر ياقوت الحموي قرية بين واسط والبصرة وتسمى حلة بني صلد كما انها اسم بلدة بين البصرة والاهواز تسمى حلة دبيس بن عفيف الاشعري وأشهرها حلة بني مزيد الخ .

وهي الواقعة على بعد بضعة أميال شرق بابل [١] وعلى مسافة ٦٤ ميلا تقريبا جنوب غربي بغداد وعلى نحو ٤٠ ميلا الى الشمال الشرقي من الكوفة قد شيدت أغلب عماراتها من حجار انقاض بابل القديمة ، وفي الحلة مقام مشهد الشمس الشهير في الماضي بقبته الذهبية والتي لم يبق من ذهبها اليوم

---

(١) بابل ، أو بابليون مدينة أثرية على مسافة (٩٥) كيلومتر جنوب بغداد على طريق الحلة يرجع عهدها الى ٢٦٠٠ عاما قبل الميلاد وهي ممنوعة من الصرف ككل اسم مؤنث علم زاد على ثلاثة حروف .

ـ المؤلف ـ

شيء ويقع هذا المقام التاريخي المقدس على مسافة كيلومترين تقريبا من الحلة وله قدسية قبل الاسلام وبعده فان ـ نبوخذنصر ـ أحد ملوك البابليين قد أقام في موضعه مشهدا تقام فيه طقوسهم الدينية تقديسا لآلهة الشمس وشاءت العناية الربانية أن يكون محل تقديس الشمس موضعاً لتقديس خالق الشمس في مشهد الشمس على يَدَيْ أمير المؤمنين الامام ـ علي ـ عليه السلام حينما فاته فريضتا الظهيرة والعصر وهو في طريقه الى ـ صفين ـ وقد اعترف بهذه الكرامة الكثيرون من علماء الفريقين وليس انكارها الا لدى من ينكر معاجز الانبياء كانشقاق القمر وينفي كرامة الاولياء وهذا حدث تاريخي مهم للغاية لذلك خلده المؤلفون والشعراء ومن هؤلاء السيد الحميري القائل :

رُدَّتْ عليه الشمس لما فاته ... وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
حتى تبلج نورها في وقتها ... للعصر ثم هوت هويَ الكوكب

ومن ذلك ما قاله مجد الدين ابن جميل في زمن الناصر •

وآثرَ بالطعام وقد توالت ... ثلاثٌ لم يذق فيها طعاما
فردَّ عليه ذاك القرص قُرصا ... وزاد عليه فوق القرص جاما

ومن ذلك قول ابن أبي الحديد المعتزلي السني :

يا من له رُدَّت ذكاه ولم يفز
بنظيرها من قبل الا (يوشع)

وكرره أيضا فقال :

امام هدى بالقرص آثر فاقتضى
له القرص ردَّ القرص أبيض أزهرا

ومن المعترفين من علماء اخواننا أهل السنة ابن المغازلي وابراهيم بن محمد الحمويني وابن حجر مفتي الحجاز في الفصل الرابع من الباب التاسع

من صواعقه المحرقة وابن حنبل أحد المذاهب الاربعة[1] فى موفقه وغيرهم أما الفرقة الجعفرية فمجمعة على اعادة الشمس وقال أحد مجتهديها الاعاظم ابن نما .

جـاد بالقرص والطوى ملء جنبيـــ

ـه وعــاف الطعــام وهو سـغوب

فأعــاد القرص المنــير عليــه الـ

ـقرص ، والمقرض الـكرام كسوب

ومسألة رد الشمس ليست امرا ممتنعا فى ذاته وغاية ما يكون استبعاده لمخالفة الطبيعة وهو ممكن أى مسلوب الضرورة من طرفي وجوده وعدمه وكل ما كان كذلك جاز حصوله عقلا وقد خالف الانسان كثيرا من قوانين الطبيعة بما اوتيـه من ذكاء ، فكيف يستحيل مخالفتها عـلى خالق الانسان كرامة لبعض اوليائه ؟

اما كون هذه الكرامة الاسلامية صادف وقوعها فى مكان مقدس غير اسلامى فهو من غريب الاتفاق وقد حدثت فى الجاهلية سنن وجاء التشريع الاسلامى مطابقا لها كأقراره رجم الخائن ابى رغال امتداداً للتشريع الجاهلى لما فيه من تقبيح خيانة الوطن الذى جعل الاسلام حبه من الايمان .

وقد كانت الجاهليـة تعبد الاصنام فى الكعبة المقدسـة وجاء الاسلام بعبادة الله فى الكعبة وقد صح عن الرسول انه قال (يجرى فيكم ما جرى فى الامم السابقة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة) وقد صح ان ــ يوشع بن نون ــ أعاد الشمس فان القول باعادتهـا الى امير المؤمنين ــ ع ــ تصديق للحديث النبوى الشريف والذى ينكره يطعن بمقام صاحب الرسالة ويكذب

---

(١) يتصل نسبه بذى الثدية المقتول فى النهروان .

حديثه وما ادعى احد رد الشمس فى العصر الاسلامى الا لأمير المؤمنين(ع)،
ولكثرة المشابهة فى الحوادث التاريخية قال العقلاء ـ التاريخ يعيد نفسه وليس فى اعـادة الشمس لأمير المؤمنين (ع) فى هـذا الموضع ما يمنع التصديق بتلك الاعادة فأية مانعة جمع بين اعادتها للامام فى هذا المشهد وبين كونه كان قديما مشهدا لتمثال آلهة الشمس التى يقدسهـا البابليون فهو موضع الى حدثين متعاقبين يجمعهما اسم مشهد الشمس ويختلفان موضوعا وسببا كما نعلم ان الكعبة كانت فى الجاهلية موضعا للحج ثم لما جاء الاسلام فرض الحج اليها أيضاً فهل يسوغ لعاقل أن يكذب تشريع الاسلام لفريضة الحج بزعم ان هذا الحج كان من اعمال الجاهلية ؟ ولا ارى بتكرار الحوادث او مشابهة اسمائها ما يستلزم نفي بعضها فمعجزة النبى محمد ـ ص ـ فى اشباعه الخلق الـكثير من الطعام القليل قـد نقلوا نظيرها فى قصة عرس ـ قانا ـ فهل يجوز لعاقل ارجاع معجزة الرسول الى هـذه القصة وينكر معجزته ؟

والحلة كما اشتهرت بمشهد الشمس اشتهرت كذلك بمواقعها الاثرية المهمة الكثيرة وزاد فى قدسيتها تنزيل الله تعالى صحف خليله ابراهيم فى ارض ـ كوثا ـ من بابل ام الحلة الفيحاء والتى ذكرها الله فى كتبه المقدسة.

تأسيس الحلة :

اول من بدأ تأسيسها هو الامير العربى سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد الاسدى سنة **٤٩٥** هـ الموافقة لسنة **١١٠٩** م اقامها على الضفة اليمنى من نهر الفرات فى موضع يعرف ـ بالجامعين ـ تثنية جامع والنسبة اليـه ـ جامعانى ـ وقد كان هذا الموضع غابـة تختبىء بهـا الحيوانات وحين اختطها الامير المذكور وبنى فيها القصور والدور والعمارات انتقل اليها من النيل الذى كانت فيه منازل آبائه واجداده وكان نهر النيل

يجرى بماء الفرات بالقرب من بغداد ثم يتعرج جنوبا وشرقا .

ومن الخطل الفاضح ما ورد فى الجزء الثانى من المجلد الاول الصادر فى ذى القعدة سنة ١٣٣٧هـ ص ٥٠ من مجلة اللسان انها تقع على بعد ٥٨ ميلا عن بغداد . ومن الخطأ ايضا ما جاء فيها من أن تأسيسها كان سنة ٣٩١ هـ .

كيف انتقلت الاسرة المزيدية الى النيل ؟

كانت تسكن هذه القبيلة الاسدية ضواحى البصرة فى رغد من العيش تحت ظل امارة جليلة ذات نفوذ واسع وتقاليد عربية متينة ولكنها لم تخرج بالرغم من نفوذها الواسع عن الدائرة التى رسمتها لها الدولة البويهية فى علاقاتها الخارجية فاستقلالها فى الواقع لم يكن سوى استقلال داخلى محدود ليس الا ، أما فى علاقاتها الخارجيـة فانها مضطرة أن تدور فى فلك الدولة البويهية كما تدور التوابع حول القمر ومثل هذا الاستقلال ليس بذى شأن لا سيما عند من يقول :ـ

ونحـن انـاس لا توسـط عنـدنـا
لنا الصدر دون العالمـين ، أو القبر

وزيادة على ما لديها من نزعة نحو الاستقلال كان قد حدث سوء تفاهم بين الدولة والامارة تطور مع الزمن الى نزاع مسلح رهيب وقعت بسببه حروب دامية سنة ٤٠٥هـ الموافقة لسنة ١٠١٤م كان أبرز أهدافها وأهمها هو الاستيلاء على الجزيرة الدبيسية وجعلها تحت نير النفوذ البويهى مباشرة !! لهذه الجزيرة المتاخمة لحدود ـ خوزستان ـ من أهميـة ستراتيجيـة واقتصادية فأدت تلك الحروب الى مضايقة الامير العربى ابى الحسن علي بن مزيد مضايقة اجبرته على النزوح الى النيل الذى كان يوم ذاك قرية كبيرة

مأهولة واقعة على نهر النيل الذى احتفره الحجاج بن يوسف الثقفى سـنة ٨٢ هـ والذى سميت القرية المذكورة باسمه فيما بعد •

وعندما سكنها هذا الامير زادت أهميتها وأصبحت ذات كيان مرموق وقد أقام فيها بالتعاقب ثمانية امراء كلهم مزيديون آخـــرهم الامير علي بن دبيس وامتـــدت سلطتهم من سنة ٤٠٥ هـ حتى سنة ٥٤٥ هـ وكان الامير الرابع من هذه السلالة ـ صـدقة الاول ـ الذى تولى الامارة سنة ٤٧٩ هـ المصادفة لسنة ١٠٨٦ م واستمر حكمه ٢٢ عاما وهو أول من لقب من أفراد هذه الاسرة ـ بملك العرب حينـا ـ وبسيف الدولة ـ حينا آخر حتى حدثت بينه وبين السلطان ـ بركيارق ـ جفوة أدت به الى مغادرة النيل الى ارض الجامعين وتم ذلك فى المحرم من سنة ٤٩٥ هـ فسكنها بجيشه وحاشيته وأتباعه بعد تمصيرها وتشييد القصور والمنازل الانيقة والحدائق الغناء وقـد استمرت فى تقدمها العمرانى باطراد حتى أصبحت جنة من جنان الفردوس وأصبحت من أهم المدن العراقية وقد زارها الرحالة ـ ابن جبير ـ بعـد عمرانها بنحو ٨٥ عاما وزعم انها [مدينة قديمة عتيقة الوضع تهدم سورها فلم يبق منه الا حلق من جدار ترابى] ونحن لا نعرف كيف يكون الجدار ترابا ؟ وكيف لا يتناقض هذا القول مع قوله فيما بعد انها [قوية العمـارة متصلة حدائق النخيل جامعة للمرافق المدنية] ؟ وكيف وصفها بالقديمـة العتيقة فى حين لم يمض على عمارتها سوى ٨٥ خريفا ؟

لقد علمت فيما مر عليك شيء من قدسية هـذه المدينة والآن نؤيده بالاشارة لورود الاحاديث الشريفة فى فضلها منها ما رواه صاحب كتـاب بحار الانوار فى مجلد السماء والعالم عن امير المؤمنين ـ ع ـ بما لا يقبـل الجدل فى عظيم فضلها وكفاها فضلا تخريج المئات من العلماء الاعلام الذين أحيوا الشريعـة وخدموا العلم والدين والانسانيـة كما لهـا حق الفخـر باحتضان المئات من الشعراء وقادة الفكر ورجال السياسة وقادة الحرب •

وصف الحلة :

الحلة ، وما أدراك ما الحلة ؟ مدينة السحر الحلال والمتعة والجمال ، والعلم والادب والكمال ، والنبوغ والذكاء والكرم والسخاء .

الحلة ، معقل العروبة ووطن التشيع وكعبة العلم وعروس الفرات ، فمن مناظر خلابة وطبيعة فاتنة هى متعة للعيون ، ومن سجع البلابل وتغريد الطيور هى متعة للآذان ، ومن ثقافة وعلم وأدب هى متعة للعقل والقلب ، وقد امتازت هذه البلدة الطيبة الكريمة بعذوبة هوائها ومائها ، واعتدال مناخها ، وصفاء سمائها ، وجمال مناظرها ، وتوقد ذكاء ابنائها ، ما جعلها خليقة بفخرها وما أصدقنى الآن حين أصفها بقولي :ـ

مدينة الحلة سحارة ... ما فارق الابداع آفاقها
تعهد الحسن لزوارها ... فى كل ما وافق أذواقها
كانت فنون السحر اسطورة ... فارتأت الحلة احقاقها
فللجمال ههنا سطوة ... لما طغى أسلس أخلاقها
كنوز حسن غير مخبوءة ... قد أكثرت للناس انفاقها
فليلها قد كاد من حسنه ... يستمهل الشمس واشراقها
كأنما اشجارها غادة ... تقدم الحلوى وأطباقها
مباهج كثيرة مجدت ... فى ألسن المتعة خلاقها
لو ظهرت جنة عدن لما ... كانت سوى الفيحاء مصداقها
ليس بها شين سوى انها ... قد ملأت بالخير اسواقها
وأعجب الاشياء أنى على ... ضيقى بها ، لا زلت مشتاقها

هذه هى الحلة الفيحاء التى نشأت بين أحضان الطبيعة الفاتنة وعلى كتفي نهر الفرات ، لها جمالها الصاخب وجوها الهادىء والسماء الصاحية والنسيم العليل ولمميزاتها هذه أثر كبير فى تكوين شخصية الفرد الحلي

ولهذا السبب كانت فى بعض أدوارها الكعبة التى يحج اليها طلاب العلوم والفلسفة والادب حتى أصبحت فى عهدها النير من أعظم الجامعات الاسلامية فساهمت بقسط غير يسير فى نهضة الشرق الثقافية ولها فى تاريخ الفكر صفحات غر وهى المدينة الثانية بعد بغداد فى تقدمها الثقافى ووعيها العلمى بل استطاعت منافسة بغداد حتى سلبت منها هذه الاولوية فى منتصف القرن السابع اثناء وبعد حملة ـ هولاكو ـ سنة **٦٥٦** هـ الموافق لسنة **١٢٥٨** م تلك الحملة الظالمة التى أغرقت مجد العباسيين بالدماء والماء .

وقد امتدح الحلة جماعة وذمها آخرون فمن الذين ذموها ابنها الصفى الحلي الشاعر فقد صورها واحسن تصويرها بقوله :ـ

من لم تر الحلة الفيحاء مقلته
فانه فى انقضاء العمر مغبون
فالغُدر **(١)** طافحة والريح نافحة
والورق صادحة والطل موضون
ما شأنها غير بغي الجاهلين بها
كأنها جنة فيها شياطين

وممن ذمها ابراهيم بن عثمان الغزى وقد كذب بوصفها ولم ينصفها بقوله :ـ

انا فى الحلة الغداة كأني
علوى فى قبضة الحجاج
بين عرب لا يفهمون كلاما
طبعهم خارج عن المنهاج

---

(١) جمع غدير .

وصدور لا يشرحون صدورا

شغلتهم عنها صدور الدجاج

والمليك الذى يخاطبه النا

س ـ بسيف ـ ماض وفخر وتاج

ما له ناصح ولا يعلم الغيب ، وقد طال فى مقامى لجاجى

قصة ما وجدت غير أبي فخر الدين طبا لها لطيف علاج

واذا سلطت صروف الليالى كسرت صخر تدمر بالزجاج (١)

ويلاحظ القارىء فى البيت الثالث ما يصلح أن يكون تعليلا لهذه الثورة النفسية ولهذا الهجاء ـ فسيف الدولة ـ لم يشرح صدر هذا الشاعر الشحاذ بالدنانير ولا بصدور الدجاج ولعل لنفسية هذا الشاعر الوضيعة ولجاجه العنيف الذى اعترف به فى أبياته هذه الاثر الكبير فى حرمانه أو فى حرمانه المزعوم ومما يدل على اسفافه وامعانه بالكذب وصفه للحليين العرب الاقحاح بأنهم لا يعرفون كلاما وأنهم بخلاء وان طبعهم خارج عن المنهاج ولكنى لا أعرف أى منهاج يعني ؟ فهل هو منهاجهم فى حرمان الشحاذين ؟

والحق ان الحلة لم يستطع أحد يؤثر الحق يجرأ ان يقول فيها مثل هذا القول السخيف الا من بلغ من الوقاحة الذروة وان كان فيها عيب فهو تفريطها فى نبهائها واحتضانها للغرباء الدخلاء ولم يدخل الصفى الحلي وأمثاله الى هجائها الا من هذا الباب الواسع وقد حملنى ذلك أن أقول :ـ

هى الحلة الفيحاء من زار ربعها

فسوف يرى ألطافها بانتظاره

---

(١) هذا البيت خارج عن وزن البحر الخفيف •

ـ المؤلف ـ

وما حدثته نفسه بفراقها
فأن كان هذا ، كان دون اختياره
وليس بها عيب يشين جمالها
وينقص يوما منه بعض اعتباره
سوى انها تعطى الغريب زمامها
وان ابنها لم يلق غير احتقاره
فما هى الا جنة بجمالها
لذلك حفت دوننا بالمكاره

فليس باستطاعة الصفى ولا باستطاعتى ولا باستطاعة كل أحد عتب على الفيحاء أن يخزها فى غير تنكرها لابنائها ولابد أن يعترف بفتنتها وجمال روعتها وخصائصها الممتازة كخدمتها للعلم والادب وما اوصلتهما اليه من تطور ونضوج .

النضوج الفكري وبواعثه :

أسلفنا القول فيما للمناخ اللطيف والبيئة الصالحة من أثر فى تكوين شخصية الفرد الحلي وقد ساعد على انماء تلك الشخصية شيوع الامن والاستقرار أثناء كوارث الحملة التترية الوحشية على العراق بقيادة الطاغية العسوف ـ هولاكو ـ وهناك سبب آخر له وثيق الصلة بنتائج تلك الحملة وهو ان بغداد تعرضت بسبب تلك الحملة التى تموج بالاهوال الى مجاعة شديدة اضطرت سكان عاصمة العراق الى مقايضة تجار الحلة الكتب النفيسة بالمواد الغذائية فانتقلت بسبب ذلك أكثر مكتبات بغداد الى الحلة ويضاف الى هذه الاسباب ما فى الامارة المزيدية من حدب على العلماء ، واحترام وتشجيع للعلم والناس على دين ملوكها فنشطت الحركة الثقافية فى ربوع الفيحاء نشاطا ملحوظا وانتشرت انتشارا مدهشا ولا نتعسف اذا قلنا ان موقع

الحلة هو الآخر كان عاملا مساعدا على تهيئة هذا الجو العلمي الادبي وانتشار الوعي ونضوجه فبسبب موقعها الجغرافي وكثرة طـــرق المواصلات الامر الذي سهل الاتصال بين الحلة والمراكز الثقافية الاخرى في العراق كبغداد والكوفة والنجف الاشرف وكربلاء والبصرة حتى أصبحت أعظم جامعـــة علمية للشيعة في الفترة الواقعة بين القرن الخامس والقرن التاسع •

للتفكهة :

ان من موارد التفكهة ما ورد في مقدمة كتاب ـ شـعراء الحلـة ـ أو ـ البابليات ـ ص ٨ ج ١ تحت عنـــوان ـ البيئة والسـيرة ـ حيث قال : [والحلة احدى البلدان التي حباها الله طيب التربة وصفاء الجـــو وكثرة الخيرات ولطف النسيم ولذلك دعيت بالفيحاء لمرحها وبهجتها وتركز موقعها الجغرافي الخ ••] ونحن لا نعرف النسبة بين مرح الحلة وتركز موقعهـا الجغرافي وبين تلقيبها بالفيحاء على اننـــا نحمد الله على تركز موقع مدينتنـا الجغرافي فما يؤمننا لولا هذا التركز أن تنتقل بنا الحلة الى الصين الشيوعية أو الى خاقان من ايران ؟ ولكن الله ستر فحافظت باعجـــوبة على موقعهـــا الجغرافي وهذا لا شك من خصائص الحـــلة ومميزاتها كما تفضل مؤلف ـ شعراء الحلة ـ فله منا الف شكر وشكر •

أخصب الادوار :

ليس من المبالغة في شيء قولنا ان الحلة بمثابة الدرة اللامعـــة في تاج العراق ولا نغالي اذا قلنا أن القرن السابع الهجري قد ابتدأت منه نقطـــة الانطلاق ، دون أن نبخس ما للقرن السادس من فضل في التمهيد والتحضير فقد ساهم مساهمة مشكورة في اعداد نهضة الحلة الفكرية حتى جاء القرن السابع وهو قادر على الانطلاق ومتابعة السير الموفق في الطريق الثقافي حتى

حفل بعلماء الحلة الاعلام وائمة الادب اللامعين كالحسن بن معالى الباقلانى من ائمة العربية وابن بطريق الاسدى من ائمة علم الكلام والفلسفة وابن نما الربعى من ائمة علم الفقه والاصول والصفى من ائمة الشعر • الى مثات أمثال هؤلاء فكأن ليس للثقافة من مكان تأوى اليه أفضل من هذه المدينة المباركة (فألقت عصاها واستقر بها النوى) • فقد طافت مدنا عديدة قبل استقرارها فى الحلة حيث كانت الحوزة العلمية قبل ذلك فى بغداد برئاسة الشيخ المفيد ثم نقلها الى النجف الاشرف تلميذه الشيخ الطوسى ثم نقلها الى الحلة العلامة أعلى الله مقامه وأصبحت الحلة بفضل جهوده من أهم المراكز الثقافية فى العراق وأصبح سوق العلم فيها من أروج الاسواق حتى القرن التاسع الذى كان مع الاسف فاتحة دور الخمول والركود •

سلامة الحلة من نكبة التتر :

فى لجج الاضطراب السياسى أثناء فترة حكم المغول الرهيب الفترة التى كانت تضطرم بالحقد على التراث الاسلامى والمسلمين باتت الحلة بطبيعة الحال مهددة بالغزو الهمجى تهديدا تتوقعه فى كل لحظة وكانت تنتظر آن تتحمل قسطها من تلك المظالم والكوارث التى شملت القطر العراقى بكافة انحائه تحملت بغداد منها القسط الاكبر ، فمن العجب العاجب أن تتجنب الحلة تلك الويلات وتنجو من تلك المآسى والاحداث الدامية والاهوال المفزعة التى كشفت عن سفالة الغزاة ووحشيتهم وعطشهم لسفك الدماء ، اذن فما السر الكامن فى نجاة الحلة من شر هؤلاء الجفاة الطغاة ؟ ان التاريخ يجيبنا على هذا السؤال بأن ـ هولاكو ـ المشتق اسمه الكريه من الهلاك حين نزل بجيوشه الجرارة على مقربة من بعقوبة قبل استيلائه على بغداد سنة ٦٥٦ هـ كان أكثر أهل الحلة قد نزحوا الى البطائح ولم يبق مقيما بها سوى القليل ومن هذا القليل والد العلامة الحلي سديد الدين يوسف بن علي

فأجمع رأى المتخلفين على مكاتبة قائد الحملة ـ هولاكو خان ـ ينبئونه ان الحلة لم يكن من رأيها شق عصا الطاعة ورأوا ان من المناسب أن يرسلوا أعجميا يألفه القائد لاشتراكهما فى الجنس ليتمكن من ايصال الرسالة دون حاجة الى مترجم وفعلا تم ذلك وأرسلوا هذا الرسول برسالة تتضمن طلب الامان لاهل الحلة وافهامه بطاعتهم ولكن ـ هولاكو ـ أصر على طلب حضور اصحاب الرسالة عنده ورغم أن هذا الطلب مجهول النتيجة وأن الموافقة عليه مغامرة الا انه لم يكن مانعا من ارسال وفد حلي قبل التضحية فى سبيل الحلة يضم ألمع شخصياتها وابرزها امثال ابن أبى الغر وابن طاوس برئاسة سديد الدين والد العلامة وعند وصول الوفد ومقابلته للقائد جرت محادثات ومباحث أسفرت عن نجاح الوفد فى مهمته نجاحا هائلا وأخذوا من قائد الحملة ـ فرمانا ـ بالامان للحلة واعمالها وعين للحلة ـ شحنة ـ وهذا نجاح عظيم كان من اسبابه بل من أهم اسبابه على الارجح بركة خطبة اميرالمؤمنين علي عليه السلام المعروفة بالزوراء وذلك أن ـ هولاكو ـ عندما سأل الوفد عما أقدمه على هذه المخاطرة ، كان جواب رئيس الوفد أن أمير المؤمنين عليا ـ ع ـ قد أشار بخطبته هذه الى مجىء التتر وانتصارهم ووصفهم وقد انطبقت الاوصاف عليكم ، فابتشر القائد بما تضمنته الخطبة من بشارة الانتصار ، وببركة هذه الخطبة نجت الكوفة والحلة وأعمالها والنجف وكربلاء من شرور التتر وويلاتهم ولا شك ان ذلك من بعض كرامات علي ـ ع ـ وعلى هذه فقس ما سواها . ومن ذلك الحين ابتدأ ازدهار الحلة العلمى والادبى والعمرانى ينمو بسرعة عجيبة ازدهارا قل مثيله فى التاريخ .

تعريف الفقه :

هو ما نتوصل اليه من الاحكام الشرعية عن طريق الاستدلال ، وقيل

في تعريفه انه العلم بالاحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية ، ومعناه لغة ، الفهم مطلقا والفقيه معناه الفاهم ، واما اصطلاحا فأنه الفهم الخاص للاحكام الشرعية والعالم بها يسمى فقيها ، ومجتهدا والاحكام المذكورة خمسة ثلاثة ايجابية وهي الوجوب كصوم شهور رمضان والاستحباب ويرادفه الندب كالتسبيح وقراءة الادعية والصوم غير الواجب ، واعطاء بعض الصدقات ، وثالثها الاباحة كأباحة شرب الماء . واثنان سلبيان هما الحرمة كحرمة شرب الخمر وأكل الميتة لغير ضرورة وثانيهما الكراهة ككراهة أكل لحم البقر . فكل ما كانت الضرورة في جانب وجوده منتفية عن جانب عدمه فهو الواجب وعكسه الحرام ، وكل ما سلبت الضرورة من طرفي وجوده وعدمه على السواء فهو المباح ، فأن ترجح جانب الوجود فهو المستحب وعكسه المكروه .

وان الفقه الاسلامي مصدر غني للتشريعات الحديثة ، ولمرونته استطاع مسايرة التطورات الزمنية فلم يضق عن استيعاب متطلبات العصر الحديث ومقتضياته . والفقه الجعفري على الاخص امتاز بفتحه باب الاجتهاد وعدم الجمود واستقائه الاحكام من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

وقد سما الفقه الجعفري عن تخرصات المتعصبين من اولي الغايات والمآرب والعاطفة وقد اعترفت به مصر رسميا ونحن نتفائل بزوال ظل الطائفية الثقيل في عصرنا الجمهوري فالامة الاسلامية واحدة وقبلتها واحدة ودينها واحد ونبيها واحد فلتكن كلمتها واحدة .

الاستصحاب :

هو يقين سابق وشك لاحق والعمل بمقتضى ذلك اليقين تطبيقا لقوله عليه السلام (لا تنقض بالشك اليقين) وقد عرّفه آية الله الشيخ مرتضى

الانصارى بأنه (ابقاء ما كان • والمراد بالابقاء الحكم بالبقاء) وفى حجية الاستصحاب واعتباره خلاف طويل فقد قال بعض الفقهاء باعتباره « لكونه امارة شرعية وكاشفا ظنيا عن الواقع » واختار آخرون اعتباره « لكونه أصلا عمليا » وكون الاستصحاب امارة أقوى من كونه دليلا لان الامارة تدل على الشيء بنفسها ، وأما الدليل فهو ما يلزم من العلم به علما بشيء آخر ، وان الفرق بين الملازمة والدلالة ظاهر • وموضوع الاستصحاب المسائل الاصولية والفقهية اما صلته بالاصول فلكونه من مباحثه واما المسائل الفقهية فمن الناحية العملية وقد ورد ص ٣٤ ج ٤ من كتاب « مبانى الاستنباط » من مقررات آية الله أبو القاسم الخوئى المعاصر فى دلالة رواية عبد الله بن سنان على الاستصحاب قال : سأل أبى أبا عبد الله ـ ع ـ وأنا حاضر ، انى أعير الذمى ثوبى وانى أعلم انه يشرب الخمر ويأكل لحم الخنزير فيرده علي فأغسله قبل ان اصلي فيه ، فقال ابو عبدالله ـ ع ـ صل فيه ولا تغسله من ذلك فانك أعرته اياه وهو طاهر ولم تستيقن أنه نجّسه • وموضع الشاهد منها قوله ـ ع ـ فانك اعرته اياه وهو طاهر ولم تستيقن أنه نجّسه فانه يدل على أن الوجه فى طهارة الثوب وعدم وجوب غسله ، هو اعطاؤه اياه طاهرا وعدم علمه بنجاسته ، فالعلم بالطهارة والشك فى ارتفاعها هو الوجه فى كون الثوب محكوما عليه بالطهارة كما هو ظاهر • انتهت عبارة صاحب كتاب مبانى الاستنباط ولا ادرى لماذا أجرى قاعدة الاستصحاب وترك قاعدة اصالة العدم ؟ اما رواية عبدالله بن سنان فصريحة أن أباه سأل الامام الصادق ـ ع ـ بذلك ولكننا لم نجد سؤالا وانما هو مجرد سرد حكاية والخبر اعلام والسؤال استعلام والفرق بينهما كبير • كما أن ما اورده ص ٣٥ من هذا الكتاب الجليل دليلا على حجية الاستصحاب لقوله عليه السلام = كل شيء نظيف حتى تعلم انه قذر = يجوز ان يكون مبنيا على اصالة العدم وحينئذ لا تبقى فيه حجة على الاستصحاب ، فمن شرائط

الدليل انحصاره بالدعوى ومتى شملها وغيرها فلا يكون دليلا . ومثل هذا قوله ـ ع ـ « كل شيء لك حلال حتى تعرف انه حرام » .

الاجتهـــاد :

هو ملكة قادرة على استنباط الاحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية . ويرى الامدى انه عبارة عن استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الاحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد ، وعرّفه الدهلوى باستفراغ الجهد في ادراك الاحكام الشرعية الفرعية من ادلتها التفصيلية ، ويعرفه محمد الخضرى بكونه بذل الفقيـه وسعه في طلب العلـم بأحكام الشريعة ، وكل هذه التعاريف متقاربة في المعنى ولكنها لم توفق الى تعريف الاجتهاد فبذل الوسع والجهد شيء وادراك الاحكام الشرعية ومعرفتها شيء آخر . ولذا نرى العامى الذى استفرغ جهده ووسعه في ادراك الاحكام الشرعية لا يسمى مجتهدا بالاجماع وأحسن هذه التعاريف أولها وقد ذكر العلامة الحلي اعلى الله مقامه في « قواعده » شروطه وهى معرفة تسعة أشياء (١) الكتاب المجيد (٢) والسنة الشريفة (٣) والاجماع (٤) والخلاف (٥) وأدلة العقل من البراءة الاصلية وغيرهـا (٦) ولسان العرب (٧) واصـول العقائد (٨) واصول الفقه (٩) وشرائط البرهان، وليس منه الرأى والقياس والاستحسـان والاستيناس وان كان الشـافعى يرى اتحاد مفهومي القياس والاجتهاد بمعناه الخاص ، وبعضهم يراه مرادفا للاستحسان والقياس معا ، واننا نرى ان بين القائلين بالقياس والنافين له معركة حامية الوطيس ، ومن القائلين بالقياس ـ أبو حنيفة ـ أخذه عن حماد عن ابراهيم النخعى ، وهو نوعان قياس منصوص العلة ولا نزاع فيه وقياس مستنبط العلة وهو محل الخلاف بين الامامية واخوانهم اهل السنة .

نقل العلامة الفاضل السيد محمد صادق بحر العلوم في كتابه القيم

دليل القضاء الشرعى ج ٣ من القسم الاول ص ٧٩ :ـ عن المدخل لمحمد مصطفى شلبى ص ٨٧ ـ ٨٨ طبع مصر سنـــة ١٣٧٦ « واذا رجعت الى فتاوى الصحابة الجماعية منها والفردية التى مبناها الرأى والاجتهاد وجدت منها ما ينطبق عليه اسم ـ القياس ـ كاجتهادهم فى عقوبة شارب الخمر ، من شرب سكر ، ومن سكر هذى ، ومن هذى افترى ، وحد المفترى ثمانون ـ أليس هذا قياسا صحيحا بينت فيه العلة الجامعة بين الفرع والاصل؟» الخ ولنا بعض الايرادات على هذا القياس المنسوب الى الامير والذى يخامرنى الشك فى هذه النسبة فقد بني هذا القياس على الدلالة الالتزامية وفيـــه ماآخذ لا يمكن بسببها نسبته للامير فنحن نمنع ان كل من شرب الخمر هذى لجواز أن ينام بعد سكره أو يموت أو يقول غير الهذيان ، كمـا أن شارب القليل لم يسكر فليس السكر شرطا لازما للشرب كما لا نسلم أن كل من قد هذى افترى فربما يكون هذيانه فى اشياء صادقة كقوله ما احسن البدر وأروع الورد الوف المرات أو يتكلم كلامـا غـير مفهوم فهو هذيان وليس فيه افتراء ، ولماذا لا نقول من شرب الخمر سكر ومن سكر اشتهى ومن اشتهى زنى ومن زنى اما يرجم او يقتل أو يجلد .

وان القول بالرأى معناه القول بغير حجة من كتاب او سنة أو اجماع واذا جاز لزيد أن يجتهد برأيه جاز لعمرو الاجتهاد نقيضه والافترجيح بلا مرجح وهناك الفوضى وأول من فتح باب القياس الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فيما لو صحت الرسالة المنسوبة اليه المروية عن عبدالملك بن الوليد عن أبيه والتى جاء فيها « اعرف الاشياء بالامثال وقس الامور » وهى رواية ليست موضع اعتماد كذبها ابن حزم حتى صرح ان الراوى ساقط وأبوه اسقط منه ، امـا كونها دالة عـلى فتح باب الاجتهاد فباطل وصراحتها فى القياس ظاهرة حتى بالنص الحرفى فى قوله ـ قس الامور ـ والمشهور أن اول من قاس فى الاسلام ابو حنيفة وقد عجز القائلون بالقياس من اقامـة

دليل على مشروعيته ومعنى القياس اطراد احكام غير موجودة على احكام تشابهها حسب رأى من يقيس وبهذا تختلف نتيجة القياس باختلاف الناس وهذا موضع مباينته للدليل العقلى لان العقل يستنبط القواعد الكلية بينما يقتصر القياس على القضايا الجزئية •

وروى علي بن حزم فى المحلى ص ٦٠ من ج ١ حديثا عن ابى بكر نصه « أى ارض تقلنى ؟ أو أى سماء تظلنى ؟ ان قلت فى آية من كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم » ودلالة هذه الرواية صريحة على منع القول بالرأى والقياس فالقائل بهما لا يصيب حكم الله تعالى لوجود متشابهات القضايا المختلفة الاحكام كالربا والبيع والزواج من بنت العمة والعمة وهى احكام تعبدية يجب فيها الاذعان التام للشرع يلزمها النص لعجزنا عن معرفة اسرار التشريع وعلله ويكفى أن يكون ذلك مانعا عن القول بالقياس ، اذ باستعمال الرأى قد يحصل ما يخالف الاسلام وقد حدثنا التاريخ أن الرسول الاعظم كان يعطى للفارس سهمين وللراجل سهما والامام ابو حنيفة ساوى بينهما لاستعماله الرأى مبررا ذلك بقوله « لا افضل الحيوان على الانسان » فهل يجوز ذلك » ولا شك انه لا يجوز • وعندما نجهل بعض الاحكام امرنا الله تعالى بالرجوع الى اهل البيت ـ ع ـ حيث قال تعالى [فاسألوا اهل لذكر ان كنتم لا تعلمون] ولم يقل : قيسوا أو اعملوا برأيكم ان كنم لا تعلمون وقد فصلنا هذا فى كتابنا « منهل القضاء الشرعى وفق المذهب الجعفرى » ج ١ فى بحث « تطور القضاء العراقى » •

والفرق بين الاجتهاد الذى هو عبارة عن الاقتدار على معرفة الحكم الشرعى ، وبعبارة اخرى هو معرفة مراد المعصومين ـ ع ـ من الاحكام الشرعية وبين الرأى والقياس واضح كل الوضوح • وان القياس لم يكن معروفا فى عهد الرسالة وانما استحدثه الناس بعده وأما الاجتهاد فقد كان مسنونا على عهد الرسول ـ ص ـ ولكنه ضمن دائرة ضيقة بحكم ندرة

الحاجة اليه لوجود الرسول ومعرفة الحكم الشرعي منه رأسا [وان الامام علي بن أبي طالب ـ ع ـ أصرّ على الاجتهاد[1] اصرارا أدى الى ذهاب خلافته واعطائها الى عثمان وذلك يوم الشورى حين اشترطوا على الخليفة أن يسير على كتاب الله وسنة الشيخين فأبى أبو الحسن عليه السلام الا السير على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاده] وان موافقة عثمان ـ رض ـ على هذا الشرط كان من نتائجه غلق باب الاجتهاد بحيث حرم العلماء أهم ما يمتازون به من موهبة والنزول بهم الى مستوى العوام المقلدين • كما أن تبنّي عثمان للنظام الاقطاعي ومفاجأة الامام (علي) المجتمع القسمة بالسوية كانا سببين آخرين من أسباب عدم وصول الخلافة اليه عليه السلام • وهذه القضايا يجب أن ننظرها من الزاوية التاريخية فحسب لا أن تكون سببا للحقد والكراهية بين أبناء الامة الواحدة فما أحوجنا الآن الى اتفاق الكلمة ونبذ الخلافات التي لا يمكن أن تؤدي الى خير ولا تفيد غير المستعمرين وقد ذهب أمس بما فيه •

هل تأثر الاسلام بالفقه الروماني ؟[2]

١ ـ سؤال قد يجول في بعض النفوس المريضة بداء الجهل أو الغرض ، ولكن من السهولة الجواب على هذا السؤال بأن من الخطل في الرأي أن يزعم زاعم تأثر الاسلام بالفقه الروماني فمشرع الاسلام أو على الاصح مبلغ التشريع الاسلامي كان اميا ولم يطلع بحكم اميته ويتمه واطار بيئته الضيق وطراز حياته البدائية وفقر ذات يده على شيء من قوانين وشرائع الامم النائية فاذا حصل تشابه بين بعض التشريعات الاسلامية وغيرها فليس

---

(١) مقتبس من كتابنا (منهل القضاء الشرعي وفق المذهب الجعفري)

(٢) أورد العلامة الاخ السيد صادق بحر العلوم في ج٣ ص ٤٤٩ ـ ص ٥٠٤ تحت عنوان (علاقة الشريعة الاسلامية بالشريعة الرومانية) بحثا ضافيا يؤيد وجهة نظرنا بأدلة واضحة متينة فراجعه فانه ثمين •

معناه أن الاسلام قد اقتبس ذلك اقتباسا لاننا لا نقول أن التشريعات الاخرى خارجة جملة وتفصيلا عن الصالح المفيد ولم نقل بعدم وجود بقية نقية فيها من الديانات السماوية الاخرى ولما كان هدف التشريع الاسلامي ذلك الصالح المفيد كان بديهيا العثور في الاسلام على ذلك المفيد لا اقتباسا ولكن وضعا صالحا وافق وضعا صالحا فحرمة الكذب وحرمة الاعتداء والكبائر قد جاءت بها كافة الشرائع السماوية وفي ضمنها الاسلام لان الغاية الاصلاحية في الشرائع الالهية واحدة وكذلك القول في شرعية الزواج والميراث والاحكام التعاقدية وغيرها ولكن الاختلاف يقع في دقائق الموضوعات وتفصيلاتها والاسلام يتضمن منتهى الحكمة في تشريعاته باعتباره آخر الاديان • فصيغة الطلاق وقيوده وشروطه هو وضع اسلامي بحت وان كان موضوع الطلاق ليس خاصا بالاسلام • فالاسلام هو دين الفطرة السليمة فكل ما يظنه الظان من التأثر ليس هو تأثرا بل هو من باب الحوادث الاقترانية لايلزم من وجود أحدها التأثير بالآخر • أما الاثر الذى أحدثته الثقافة الرومانية واليونانية فعلى اصول الفقه وليس على الفقه نفسه أعنى وقوع التأثير على طرق الاستدلال على صحة الحكم الشرعي أو فساده بعد وزنه بميزان الادلة العقلية كأدلة المنطق نحو حرمة السينما مثلا حيث لم يرد بها نص خاص فنقول السينما مضرة بالاخلاق وبالمال ، وكل ما يضر الاخلاق والمال حرام ، فالسينما حرام الا انه يجب في مثل هذه القضايا اثبات المقدمتين لتكون النتيجة صحيحة فالكبرى بديهية فضررها بالاخلاق والمال لا نزاع فيه واما كبرى القياس فلقاعدة ـ لا ضرر ولا ضرار ـ وفي صحة هاتين المقدمتين ـ الصغرى والكبرى ـ ثبتت النتيجة وهي حرمة السينما فتحريمها داخل تحت تلك العمومات التي هي من تشريع الاسلام وان هذا النوع من الاستدلال قد وقع في عصر الترجمة في ظل الخلافة العباسية وليس في زمن صاحب الرسالة ـ ص ـ وللاسلام أثر كبير في نهضة اوربا الفكرية وايقاظها من ليل جهالة القرون

الوسطى نظرا لما احتواه من مميزات باهرة منها اليسر والتيسير حتى ورد فى نصوصه قاعدة ـ لا حرج ـ وقاعدة ـ لا ضـرر ولا ضـرار ـ وورد فى القرآن الحكيم « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وهذ المرونة هى حجر الزاوية فى ذيوع الاسلام وانتشاره بمثل السحر حتى اتسعت رقعة الفتح الاسلامى ذلك الاتساع العجيب المدهش فى أقل من ربع قرن بصورة لا نظير لها فى التاريخ لانه دين الفطرة السليمة والفطرة حسب مدلولهـا خالية من التعقيد والتكلف والتصنع ، فالشهادتان وهمـا الخطوة الاولى فى طريق الاسلام بحيث يعصم من قالهما دمه وماله وأصبح حكمه حكم المسلمين لم تكن فيهما صعوبة ومشقة هذا هو الاسلام دين الله الخالد شرعت أحكامه العالية لسعادة البشر فوضع قاعدته المتينة لحرية الرأى والاعتقاد للجميع حتى لمخالفيه وأعدائه فقال عز من قائل [لا اكراه فى الدين] و [لكم دينكم ولي ديني] وبلغ غـاية التسامح فى قـوله [لا يضركم من ضل اذا اهتديتم] [قل كلٌ يعمل على شاكلته] ثم علّمنا آداب المناظرة بتسامح فى قوله [ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن] وقـد انتشل المرأة من هوة الذل والهوان الى ذروة العز حين قال [الجنة تحت أقدام الامهات] وساواها بالرجل حين قال [والحافظين فروجهـم والحافظـات] وساواها به فى حق الملكية والميراث والتجارة كما ساواها به فى طلب العلم ـ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ـ ومن هذا الحديث الشريف نفهم أن التعليم فى الاسلام اجبارى ، وأمر الاسلام بالرحمـة حتى كانت البسملة المشتملة على الرحمة بصيغتين خاصة وعامة جزءاً من سور القرآن الكريم سوى براءة لان الرحمة لا تحسن الا فى موضعها كما تحسن العقوبة بمحلها ، والاسلام اعتنى عناية خاصة بالعامل والفلاح ولم يجعل منهمـا ـ كالشيوعية ـ أداة جامدة حتىاعتبرت هذا الانسان الكريم كسائر المواد الاقتصادية لا حس ولا ارادة ولا شعوراً ذلك واضح من قول اليهودى

(كارل ماركس) الانسان أكبر رأس مال • أما الاسلام فعلى نقيض ذلك فقد بالغ فى تكريم النوع الانسانى - واحترام العامل والفلاح وهما دعامة البناء الاقتصادى احتراما فى القول والعمل فأشعرنا الرسول - ص - عظمة العامل والفلاح حين سلك مسلكهما هو وابن عمه علي - ع - فكانا من الفلاحين حينا والعمال حينا آخر فغرسا النخيل بأيديهما ورعى الرسول (ص) الماشية وتاجر بأموال خديجة فى الشام ويكفى للمهنة شرفا اذا كان رئيس الامة يمتهنها بنفسه وقد قرر كرامة العمال وشجع على العمل وشرع نظاما لحماية حقوقهم فى حاضرهم ومستقبلهم ولتكريمه العمل ازرى بالمتنفعين انتفاعا غير مشروع فحرم الاحتكار والربا والسرقة والغصب وأوجب الكسب الحلال حتى اعتبره من أفضل الواجبات ولكنه فى دعوته الصاخبة الى العمل رأف بحال المرأة فجعل نفقتها على زوجها أو وليها فلم يكلفها مشقة حمل عبئين ثقل ولدها فى أحشائها وعبء معاشها على أكتافها ولم يتركها عاطلة بلا عمل وانما قسّم الحياة بينها وبين زوجها بالعدل فالامور الخارجية للرجل والسلطة فى الامور الداخلية للمرأة من تدبير المنزل وتربية الطفل وجعل الامور المالية مشتركة بينهما فالمرأة فى بيتها كالملكة المتوجة لها كرامتها وعزها فاذا كان هناك من هوان فراجع الى سوء التربية وليس هو ذنب الاسلام • اما السلام الذى تتشدق به بعض الدول كذبا فقد دعا اليه الاسلام فقال تعالى [ادخلوا فى السلم كافة] ولاهتمامه به شرّعه فى التحية وطلب افشاءه وسلام الاسلام حقيقى لا السلام المزيف سلم - الحبال - والشنق والحرق ودفن الناس أحياء وتعليق الفتيات عاريات على أعمدة الكهرباء لمجرد المخالفة فى الرأى وسرقة أموال الشعب والنهب والسلب •

ان الاسلام يدعو بحرارة للاحسان الى المسيء فقال (ادرأوا السيئة بالحسنة) و (احسن الى من اساء اليك) وقال (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه) ولكنه يكره الاستسلام فأمر باخماد الفتنة والدسائس بالقوة

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) وقرر قاعدة حب الوطن فقال (حب الوطن من الايمان) كما حافظ على الصحة العامة فقال (النظافة من الايمان) وفي الحديث الشريف (بني الاسلام على النظافة) نظافة القلب من الحقد والسوء ونظافة العقل من العقيدة الفاسدة والتفكير الاثيم ونظافة اليد من السرقة والبطش وايذاء الناس ونظافة الجسم من الدرن ونظافة الثوب من الوسخ ، النظافة المطلقة العامة دون قيد أو شرط •

كما أمر الاسلام بالتعاون وهو طريق المحبة والنجاح ومظهر صادق من مظاهر الاتحاد فقال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) واعتبر الحكم بيد الجماعة وجعل الحاكم نائبا عنها وأشرك المرأة في الحكم بما سنه من قاعدة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فللمرأة حق كحق الرجل في معارضة الحاكم الزائغ عن طريق العدل • ويكفي من عظمته النظام الشوري وتضييقه رقعة الملكية الفردية بما وضعه في طريقها من شروط التملك والتصرف والانتقال فراعى في حقوق الملكية حقوق الجماعة قبل مصلحة الفرد الذي لم ينل حق التملك الا باقرار من الشارع النائب عن الجماعة كاحياء الارض الموات مثلا •

ونظر الى الانسان نظرة احترام فقال (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات) وحث على البر والاحسان والاخلاق الكريمة ـ انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ـ فرفع بذلك مقام الانسانية الى أسمى درجات الكمال •

وكافح استغلال الانسان لأخيه الانسان بتحريمه الربا والتعامل به حتى مع الكفار بعكس اليهودية التي حرّمته على أبنائها فيما بينهم وأباحت التعامل به مع غير اليهود الامر الذي يدل على أنانية طاغية ونظرة قصيرة في الاصلاح اما الاسلام فنظرته للبشر عامة ولذلك كانت دعوته الاصلاحية عامة ولا

يشك عاقل فى تشجيع الاسلام للقيم المادية فأنه جمع فى تشريعه تشجيع القيم الاقتصادية والروحية معا فقال كما فى وصية الامام علي ـ ع ـ (اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) وعلي معصوم وكلامه حجة لقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) ومن هنا صح أن يكون هذا الرأى من صنع الاسلام وتؤيده الآية الكريمة (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغِ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين) وفى قوله ـ احسن كما أحسن الله اليك ـ دعوة لمساعدة المعوزين فضلا عن تشريعه الزكاة والصدقات (انما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل الخ ..) وقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة بل دعا الى الايثار فقال تعالى (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) ولكنه وضع المساعدة فى موضعها وحرم العاطل القادر على العمل من تلك المساعدة فقال جل شأنه (وأن ليس للانسان الا ما سعى وانَّ سعيه سوف يُرى) وقال تعالى (وامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وقال (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) وهذا غيض من فيض من التعاليم الاسلامية الخالدة ، هى الجذور الوتدية الى نبتة الكرامة الانسانية والسعادة والرقى فلو طبقت لاصبح مجتمعنا مثالياً وعاد لنا عزنا السليب .

فالاسلام بما فيه من تسامح وتيسير قادر على سلوك طريق الخلود وقد ذكرنا أمثلة التيسير فى أول هذا البحث . وانى اخالف ابا السعود فيما أورده فى الجزء الثانى عند تفسير قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تُبْدَ لكم تسؤكم » أنَّ عليا ـ ع ـ قال : « خَطَبَنا رسول الله ـ ص ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الله كتب عليكم الحج ، فقام رجل من بنى أسد فقال : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلاث مرات فقال رسول الله ، ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم ؟ والله لو قلت نعم

لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم الخ» فهذا حديث يكذّب آخره أوله ، فعدم الاستطاعة هي التى تؤمن الرجل من أن يقول الرسول (ص) نعم لأن الله لا يكلف نفسا الا وسعها . كما نلاحظ ان الرواية تجعل التشريع الاسلامى من صنع الرسول واختياره دون التشريع السماوى والحق أن الرسول كأسمه مجرد رسول ومبلّغ للرسالة عن الله كما تدل عليه لفظتا رسول ونبي فليس بوسع الرسول الأعظم أن يقول : نعم ، اذا لم يكن عن وحي يوحى وهو قدبلّغ الناس ان الحج مرة فى العمر فاذا قال الرسول : نعم فمعناه أنه كذلك عند الله فكيف بلّغهم انه مرة ولعل قائلاً يقول ولماذا لا يجوز ؟ وقضية بقرة بنى اسرائيل أمامنا فقد كلفهم الله بذبح بقرة « واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » فلو ذبحوها لاجتزيَ بها ولكنهم لما « قالوا أتتخذنا هزواً قال اعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، قالوا ادعُ لنا ربك يبيّن لنا ما هى ، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون » ولو ذبحوها لاجتزيَ بها ايضا ولكنهم « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين » ولو ذبحوها لاجتزيَ بها ولكنهم « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا وانا انشاء الله لمهتدون ، قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلّمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون » وقد صح فيهم ـ شددوا فشدد الله عليهم ـ وانت اذا لاحظت هذه الحادثة التى عرضها عليك القرآن الحكيم علمت بالحال أن التشديد لم يكن من صنع موسى وان اليهود انفسهم عرفوا هذا ولهذا يقولون لموسى ـ ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ـ كما أن موسى لم يقل انا أقول ، أو يقول لهم : ما يؤمنكم أنأقول وانما نراه يصرّح عن ارادة الله فى قوله ـ انه يقول ـ وهذه القصة تخالف ما رواه ابو السعود الذى اناط التشريع بصاحب الرسالة ـ محمد ـ صلىالله عليه وآله وسلم ونسبه اليه بحيث يقول ، ما يؤمنك أن أقول نعم ؟

اشكال على العلامة الحلي :

قال العلامة الحلي اعلى الله مقامه في ـ قواعده ـ عند بحث الطهارة بأن « الطهارة والحدث لو تيقنهما وشك فى المتأخر فأن لم يعلم حاله قبل زمانهما تطهّر والا استصحبه » فأورد عليه القاضى البيضاوى وهو أحد أجلة علماء اخواننا اهل السنة وكان صديقا للعلامة قائلا « انّ الاستصحاب حجة ما لم يظهر دليل على رفعه ، ومعه لا يبقى حجة بل يصير خلافه هو الحجة لأن خلاف الظاهر اذا عضده دليل صار هو الحجة وهو ظاهر ، والحالة السابقة على حالة الشك فقد انتقض بضده فأن كان متطهراً فقد ظهر أنه أحدث حدثا ينقض تلك الطهارة ثم حصل الشك فى رفع هذا الحدث فيعمل على بقاء الحدث باصالة الاستصحاب(١) وبطل الاستصحاب الاول (٢) وان كان مُحدِثاً فقد ظهر ارتفاع حدثه بالطهارة المتأخرة عنه ، ثم حصل الشك فى ناقض هذه الطهارة ، والأصل فيها البقاء(٣) وكان الواجب على القانون الكلي الأصولي أن يبقى على ضد ما تقدم » انتهى •

فأجابه العلامة الحلي رحمه الله بقوله « لم أستدل بالاستصحاب بل أستدل بقياس مركّب من منفصلة مانعة الخلو (٤) بالمعنى الأعم عنادية (٥)

---

(١) يعنى استصحاب الحادث على الحالة السابقة المعلومة •

(٢) أى الحدث من أجل تيقنه زوال ذلك الحدث ان كانت حالته السابقة المعلومة ، الحدث والعكس بالعكس •

(٣) وذلك لتيقّنها حيث حصل له متيقن ، ومشكوك فيستصحب اليقين اذا كان قد علم الحالة السابقة ، والا فيرجع الى قاعدة اصالة العدم •

(٤) مانعة الخلو ، قسم من أقسام القضية المنطقية وهى ما حكم فيها بتنافي طرفيها أو عدمه كذبا بمعنى عدم امكان ارتفاعهما معا ويجتمعان فى غير السلب ومعنى ذلك انه لا يخلو من احدهما اما الطهارة ، أو الحدث

(٥) عنادية ، أى عدم جواز اجتماعهما أعنى الحدث والطهارة •
ـ المؤلف ـ

وحمليتين (١) وتقريره :ـ

انه ان كان في الحالة السابقة متطهراً فالواقع بعدها اما أن تكون الطهارة وهي سابقة على الحدث ، أو الحدث الرافع للطهارة الاولى فتكون الطهارة الثانية بعده ، ولا يخلو الأمر منهما لأنه صَدَرَ منه طهارة واحدة رافعة للحدث في الحالة الثانية ، وحدث واحد رافع للطهارة ، وامتناع الخلو بين أن يكون السابقة الطهارة الثانية ، أو الحدث ظاهر ، أو يمتنع أن يكون الطهارة السابقة ، والا كانت طهارة عقيب طهارة فلا تكون طهارة رافعة للحدث والتقدير خلافه فتعيَّن أن يكون السابق الحدث فالطهارة الثانية متأخرة عنه لأن التقدير أنه لم يصدر عنه الا طهارة واحدة رافعة للحدث ، فاذا امتنع تقدمها على الحدث وجب تأخرها عنه (٢) وان كان في الحالة السابقة محدثا فعلى هذا التقدير ، اما أن يكون السابق الحدث ، أو الطهارة، والمتأخر هو الحدث فيكون محدثا ، فقد ثبت بهذا البرهان أن حكمه في هذه الحالة موافق للحكم في الحالة الاولى بهذا الدليل ، لا بالأستصحاب . والعبد (٣) انما قال استصحبه أي عمل بمثل حكمه » انتهى كلام العلامة أعلى الله مقامه .

والحق مع العلامة وقد استحسنه البيضاوي وأثنى على العلامة أبلغ

---

(١) والحمليتان ، أي أنا طاهر ، انا محدث فقد حصل هذا التركيب الخبري من تكوين هاتين الجملتين أعني القضيتين الحمليتين وبينهما تعاند وتضاد وقد حكم على موضوعهما بحكمين متنافيين لا يمكن اتفاقهما .

(٢) الأمتناع ارتفاع النقيضين .

(٣) هكذا كانت الألفة بين الشيعة والسنة قبل أن يفسدها المستعمر فلاحظ كلمة ـ العبد ـ وما تحمله من تواضع وان جاز تأويلها بأنه عبد الله ومع ذلك ففيها حسن مجاملة ودليل محبة . ـ المؤلف ـ

الثناء ، واني أرى صحة برهان العلامة بحيث لا يقبل الجدل فأن الرجل كان متيقنا طهارته وحدثه وهو يعلم أن حالته الاولى الحدث فتيقن بالطهارة الثانية المتيقَنة رفعَ الحدث ، وأما بالنسبة الى الحدث الثانى فهو فى حالة شك بزوال الطهارة وعدمها ولا عبرة ولا اعتداد بمثل هذا الشك حيث لا ينتقض يقينه بشكه لقوله عليه السلام « ليس ينبغى لك أن تنقض اليقين بالشك أبداً » وكذلك فيما لو كان الرجل متطهراً عن يقين ثم تيقَن طهارة وحدثاً ثم حصل شكه فى المتقدم منهما فأنه يعلم بنقض طهارته السابقة وصار شكه ، هل انه أزال الحدث الطارىء على الطهارة ؟ أم لا ؟ ففى هذه الصورة حصل له يقين برفع الطهارة ، وشك فى الطهارة فعليه والحالة هذه البناء على حالته السابقة اذ الأصل فى المسألة عدم زوال الحدث الطارىء .

انني اوردت هذه الحادثة كنموذج لاقتباس العلوم الاجنبية وادخالها فى علم اصول الفقه وهى دليل على ما ذهبنا اليه فى موضوع سابق بأن الفقه الاسلامى لم يتأثر بالثقافة الرومانية أو غيرها وانما هى براهين عقلية دخلت على اصول الفقه وليس على الفقه لا تزيد فى التشريع الاسلامى ولا تنقصه ولكنها ادلة على صحة الحكم الشرعى أو فساده بما لا تخرجه عن دائرة الفقه الاسلامى فالمنطق مثلا وقد ترجموه فى عصر المأمون وهو مجموعة قواعد وأصول توزن بها صحة القضايا وفسادها وليس للمنطق دخل فى نفس القضية وجوهرها فقولنا من الشكل الاول :ـ الماء ضرورى ، وكل ضرورى نافع ، فينتج : الماء نافع ، فهل كان نفع الماء متوقفا على معرفة هذا النوع من الاستدلال ؟ أو نقول ان نفع الماء تأثر بالمنطق ، بحيث لم يكن الماء نافعا لو لم نعرف اقامة هذا البرهان على نفعه ، وكذلك المسألة الفقهية الصحيحة قائمة بذاتها لا تؤثر فيها امثال هذه الثقافة الاجنبية .

الخلاف بيننا ، وبين اخواننا أهل السنّة :

صح ما ورد عن صاحب الرسالة ـ ص قوله : « ستفترق امتى الى الى ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة ناجية والباقون فى النار » ومن هنا نفهم بطريق الملازمة كثرة تشعب الآراء وتباينها ضرورة احتفاظ كل فرقة بمميزاتها والا لما صح التعدد والانقسام ، وكذلك نعلم أن هذه الفرق المتعددة تقف فى سيرها الاعتقادى عند خمس شعب من طريق الاسلام تسمى هذه الشعب (بالمذاهب) وهى المذهب الجعفرى والحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى ، ولأخواننا أهل السنة (٥٨) فرقة من أصل (٧٣) فرقة كالقادرية والزيدية وهى حنفية المذهب وكالنقشبندية والرفاعية والمعتزلة ، وللجعفرية (١٥) فرقة كالأثني عشرية والاخبارية والكشفية والكيسانية ونحن لا نشك أن بعض هذه الفرق قد خالف الاسلام الصحيح ولم نعترف باسلامه كالبابية والعلي اللاهية والكشفية المغالين والاختلاف بين الامامية وبين اخوانهم أهل السنة أقل بكثير من الاختلاف بين الامامية وبعض من يتسمى بالشيعة جزافا كالبابية والعلي اللاهية مثلاً بل وأقل بكثير من الاختلاف بين مذاهب أهل السنة أنفسهم ولعل مسائل الخلاف بيننا وبين السنيَين لا تتجاوز ثلثمائة مسألة فقهية جمعها العلامة الحلي وأفرد لها كتابا اسماه ـ الانتصار ـ أيّد فيه بحكم تشيعه وجهة نظر الشيعة فيما أقامه من براهين وحجج وهذه الخلافات اهدأ من الخلافات بين الحنفى والحنبلى والحنفى والشافعى مثلا .

الأحكام الفرعية :

تنقسم الاحكام الفرعية الى عبادات ، والأصل فيها الصحة ، والى معاملات والأصل فيها الفساد حتى يرد فيها ما يصححها . وتنقسم المعاملات الى ايقاعات ، وعقود ، وأحكام . فالأحكام كاللقطة والقضاء والشهادات

والحدود والصيد والذباحة والاطعمة والأشربة والميراث وأما الأيقاعات فكالاقرار والطلاق والعتق والنذور • واما العقود فنحو عقد البيع والهبة والزواج ويقع في جزئيات هذه المواضيع خلاف بيننا وبين اخواننا أهل السنة ومن أمثلة هذا الخلاف حرمة أكل الثعلب والضب والجرّي وكل سباع الطير وكل ما ليس له فلس من السمك وحرمة شرب النبيذ وعدم طهارة جلد الميت حتى بعد دبغه وكقولنا بصحة ميراث الانبياء لنص القرآن الكريم في قوله (وورث سليمان داود) والذى يدعي ان هذا الميراث في خصوص العلم عليه تحمّل عبء الاثبات الذى يقتنع به الخصم ليصح أن يكون حجة والا فهو مجرد دعوى أو مصادرة على المطلوب فالشيعة بنت رأيها في هذه المسألة على النص وقد جاء عاما واطلاق العام يشمل كافة مصاديقه حتى يصدمه دليل التخصيص كما أن الميراث الأصل فيه الحقيقة واستعماله مجازاً لا بد له من قرينة ثابتة صارفة عن معناه الحقيقى الذى يتبادر الى الذهن عند الاطلاق ومما يدل على ان حديث لا نورث محل تهمة هو تمسك السيدة عائشة ببيتها ولم تتركه صدقة وان سيدنا عمر بن الخطاب لما اراد ان يدفن بجوار ابى بكر استأذن السيدة عائشة كما رواها اهل السير ويكفى أن يكون من رواتها ابن تيمية فقد ذكر ص ١٣٣ ج ٣ من منهاجه في وصية عمر لابنه عبدالله ما يلى [انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه] فهل يستأذن غير مالك ؟ وان كانت تملك الغرفة فأين حديث لا نورث ؟ اما قولهم أن المراد بالميراث العلم فالعلم لايأتى بطريق الوراثة وليس كل عالم يكون ابنه عالما وهذه المسألة من مسائل الخلاف ومن مسائله أيضا نجاسة الكتابيين وكل كافر لقوله تعالى « انما المشركون نجس » واما الاستدلال بآية « وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم » فالمراد بالطعام الحبوب وما شابهها لان من طعامهم لحم الخنزير والميتة

ولفظ الطعام عام فهو احد مصاديقه ، ولقائل أن يجيب بأن استعمال العام في أفراده غير موضع نقاش ولا يخرج بعضه الا بدليل والدليل ما ذكرناه من حرمة لحم الخنزير ولما كانت الحلّية حسب الآية متبادلة من الجانبين ظهر أن المراد بالطعام غير هـذا كما انهم لا يستحلون ذبيحتنا فلم يكن طعامهم كالخنزير والميتة حلاً لنا ولم يكن طعامنا كذبيحتنا حلاً لهم سوى ما ذكرناه ويعضده ما جاء في سورة المائدة من اشتراط التذكية فلا تجوز ذبيحة الا اذا ذكاها المؤمنون ولا يصح المشروط الا بحصول شرطه ولم يقل أحد بالنسخ •ومن امثلة الخلاف تجويزهم للصلاة خلف البر والفاجر ونحن نشترط العدالة لنهيه تعالى عن الركون الى الظلمة وغير العادل ظالم لامتناع ارتفاع النقيضين • ومن أمثلة الخلاف عدم قولنا بالتعصيب ونقول بردّ الفاضل على اصحاب الفروض بالقرابة والدليل العقلي يساعد على القول بالتعصيب غير أن وجود النص يمنعنا من القول به • ومن المسائل التي يختلف فيها الفقه الجعفري عن الفقه السني مسألة نكاح المتعة فقد زعموا ـ ومنهم الاستاذ احمد أمين المصري ـ انها ليست نكاحا لارتفاعها بغير طلاق ، ولا شك ان هذا التعليل عليل اذ يلزمه اولا اثبات أن كل نكاح صحيح يرتفع بالطلاق والا فدعواه سالبة بانتفاء الموضوع • والغريب ذلك من احمد امين فالنكاح كما يرتفع بالطلاق يرتفع بغيره كالفسخ مثلا ويزعم هذا الرجل أن من الاسباب التي حملت الشيعة على التمسك بالمتعة نهي سيدنا عمر عنها وفي هذا وحده ما يكفينا مؤونة الرد فاعترافه صريح ان النهي صادر من سيدنا عمر وليس لسيدنا عمر صلاحية تشريع الاحكام او معارضة التشريع وهذا ما ادركه ابنه عبدالله حيث افتى باباحة المتعة فلما عوتب بأن أباه هو الذي نهى عنها كان جوابه مفحما « قبلنا روايته وخالفنا رأيه » اشارة لقول عمر ـ رض ـ متعتان محللتان على عهد رسول الله وأنا محرمهما » وقد اباحها الله في كتابه المحكم فقال عز من قائل « وما استمتعتم

به منهن فآتوهن اجورهن » وفى قراءة « وما استمتعتم به منهن الى أجل فآتوهن اجورهن » وقوله تعالى « يا ايهـا الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » وهذا قد أيدته حتى صحاح اخواننا اهل السنة انفسهم ففى الجزء الثالث ص ٨٤ من صحيح البخارى الطبعة الاولى بالمطبعة المليجية بمصر وكذلك ص ٧١ س٢ منه تصريح لا غبار عليه بأنها مباحة على عهد رسول الله ـ ص ـ ولم ينزل قرآن يحرمها ثم استمرت حليتها الى خلافة سيدنا ابى بكر وصدر من خلافة عمر ثم ارتأى سيدنا عمر تحريمها وكل ما يقال عن شبهه النسخ يخالف صريح ما ورد فى صحاح اخواننا اهل السنة ويرده عمل امير المؤمنين بها والقول باباحتها وقول ابن عمر وغيره بذلك فلو كانت منسوخـة لمـا استمر العمل بهـا الى عهد عمر ولمـا قال بمشروعيتها عليّ ـ ع ـ وهو باب مدينة العلم وأقضى الصحابة واتقاها كما فصلناه فى كتابنا ـ منهل القضاء الشرعي وفق المذهب الجعفرى ـ كما أن من مسائل الخلاف تقديمنا ابن العم الشقيق على العم لاب فى الميراث وقد امعن فى الشطط من زعم ان ذلك يومي الى تقديم الامام عليّ ـ ع ـ على عمه العباس فى ميراثه من الرسول ـ ص ـ لانه منتفى ، أما عندنا فلابنته فاطمة عليها السلام وزوجاته تمام الميراث وأما عند اخواننا أهل السنة فلعدم قولهم بتوريث الانبياء .

ومن الخلاف انا نقول بالامامة وانها من اصول الدين . ونقول بعصمة الائمـة الاثنى عشر كعصمة الانبيـاء للاشتراك بالسببية ووحـدة الباعث واخواننا يقولون بعصمة الانبياء فحسب وقد ينفونها فيجوزون عليهم المعصية والخطأ والنسيان ، ونقول بالامامة ونشترط النص الصريح ويخالفنا ابو حنيفة فجعل انعقادها بامور ثلاثة بيعة أهل الحل والعقد او استخلاف الخليفة أو ظهور الفاطمى بالسيف وقـد اعتبر سيدنا عمر الخلافـة من الامـور الدنيوية وذلك فى قوله لابى بكر بشأن الخلافة (ائتمنك رسول الله على

ديننا ، أفلا نأتمنك عـلى دنيانا ؟) والحق ان الخلافة من اهم امور الدين لا الدنيا وهو فرق جوهرى بيننا وبين اخواننا أهل السنة ولذلك فشل بعض طلبة العلم حين ذهب الى الازهر فى معالجة هذا الموضوع فى مصر زاعما « امكان قيام الوحدة الاسلامية عـلى أساس ازالـة الفوارق بين الطوائف الاسلاميـة فى الاصول الدينية على الاقل وتقريب شقة الخلاف بين هـذه الطوائف حتى تنحصر فى الفروع وحدها » الخ هذه فقرات من محاضرته فندها شاب ليس من فطاحل العلماء فى مصر وما أدعى زورا أنه رئيس المجلس الدينى الاعلى ولا ادعى ان فى رأسه علم ابن سينا ولا ادعى ان فى صدره فلسفة افلاطون انما هو استاذ متوسط التحصيل العلمى من شباب مصر وهو الاستاذ عبد المتعال الصعيدى فقد رد عليه فأفحمه وقد قرأنا رد الصعيدى على هذا الطالب الذى زعم فى مصر انه رئيس مجلس الشيعة الاعلى ـ فى حين لم يكن للشيعة مجلس كهذا لا أعلى ولا اسفل وهذا الرجل لم يقلده احد ولم يرجع اليه بالفتيا احد وانما لصلته بالحكومة كان يقضى اشغال الناس فيصلى خلفه من يريد قضاء حاجته عليه فاذا انتهت الحاجة ترك الائتمام به وهذا بامكان كل أحد أن يتأكد منه بنفسه فيسأل أهل النجف كافة عن مقامه العلمى وعن لقبه الممتاز وعن ورعه وفضله : ورد الصعيدى منشور فى مجلة الرسالة المصرية وقـد جاء فى الرد قوله : [فاننى أرى أن هـذا الطريق شـأنك لا يوصلنا الى الغاية المطلوبة من هـذه الوحدة لان هناك خلافات حقيقية وكبيرة بين هـذه الطوائف ولا يمكن التقريب بينهـا ولو بذلنا ما بذلنا فلا بد من طريق آخر يوصلنا الى هذه الوحدة غير هذا الطريق ويقوم فيـه بناؤها مع قيام هـذه الفروق وبقاء تلك الخلافات فى الاصول والفروع ، فالخلاف بين أهل السنة والشيعة فى عصمة الائمة خلاف حقيقى وهو خلاف فى أصل من أصول الاعتقاد لا فى حكم من الاحكام الفرعية ، وأهل السنة يرون أن العصمة صفة خاصة بالانبياء والرسل عليهم الصلاة

والسلام ، أما الشيعة فلا يرون العصمة خاصة بهم ويعتقدون العصمة فى الأئمة من أهل البيت - ع - أيضا ولكنهم لا يقولون أنهم أنبياء أو رسل ، وقد تكلف الاستاذ (...) ازالة الفوارق بين أهل السنة والشيعة فى هذا الاعتقاد فقال : ما مؤداه ، ان عصمة النبيين تختلف عن عصمة الأئمة - ع - عند الشيعة وانها فى الأئمة معناها العدل والثقة ونحن اذا وثقنا من رجل فى علمه ودينه وعمله استعدنا أن يقع منه خطأ أو مالت نفوسنا الى استبعاد وقوع هذا الخطأ منه ، أما عصمة الأنبياء فلها معناها الحقيقى فهم معصومون عن كل خطأ والفرق ظاهر فى التقديرين وفى الحكمين الخ] وقد جاء فى كلام هذا الطالب ما يدرك خطأه حتى عوام الشيعة ومن المؤسف أن يتكلم باسم الشيعة فيما يخالف عقيدة الشيعة فى الامامة ويعرفها رجل مصرى ليس من الشيعة فيكشف بجلاء أخطاء رئيس مجلس الشيعة الاعلى - على حد تعبيره - الذى اعتبر عصمة الأئمة مجازية مجرد ثقة وعدل لا تستحيل عليهم المعصية استحالتها على الانبياء لان الامور المستبعدة يجوز وقوعها وهذا يناقض رأى الشيعة فهذا القدر من العلم ضئيل لا يجهله حتى العوام السذج فاذا كانت العصمة كما يقول هذا الطالب أطال الله بقاه وحفظه من قدامه ووراه - فهل يحصر المعصومين باثنى عشر اماما أو انه يهبها للمئات من الناس الذين يستبعد حضرته وقوع المعصية منه أو تميل نفسه الطاهرة الى ذلك الاستبعاد ، ثم نسأله هل يجوز لاحد الأئمة الاثنى عشر أن يرتكب كبيرة فان قال بالامكان فقد خالف عموم الشيعة واذا قال بالامتناع فقد اتحدت عصمة الامام وعصمة الانبياء فرأي الشيعة الاجماعي بالعصمة هو استحالة المعصية على المعصوم عمدا أو سهوا ويستدلون على عصمة الامام بجملة امور منها ما أورده حجة الاسلام النارافى فى كتابه الجليل أنيس الموحدين فى أصول الدين - [الفصل الثالث - فى ان العصمة شرط فى الامامة واشتراطها فى كمال الوضوح لما علم من أن رتبة الامامة مثل رتبة النبوة فجميع الادلة

الدالة على عصمة النبى بعينها دالة على عصمة الامام وكيف يكون الامام غير معصوم ويصدر منه الخطأ والخلل والحال انه هو حافظ للشرع الالهى وناصر النواميس النبوية الخ] وقال [ومتى كان الامام جائز الخطأ فهو أيضا محتاج الى امام آخر واذا كان كذلك فيحتاج الى امام ثالث وهكذا يذهب الى غير النهاية ولا يقف عند حد فلا بد من أن يكون الامام معصوما مأمونا من الخطأ] وقال [وأيضا اذا لم يكن الامام معصوما وجاز الخطأ عليه فهو أسوأ حالا من جميع الرعية من جهة انه اعلم واعرف من جميع الرعية وفساد الخطيئات والمعاصى عنده أظهر ومع ذلك يرتكبها من جهة ان الخطأ من العالم أشد قبحا] وقال [وأيضا متى كان الامام جائز الخطأ وتصدر منه المعصية يلزم الانكار عليه ويرد قوله فى ذلك الخطأ والحال ان الامام فى جميع اموره واجب الاطاعة كما قال الله تعالى (أطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم) والمراد من اولى الامر الخلفاء والائمة بالاتفاق فرد قوله مع وجوب طاعته لا يجتمعان فلابد من أن يكون معصوما وغير جائز الخطأ والادلة على ذلك كثيرة الخ] ومن هنا اشترطت الشيعة أن يكون الامام منصوصا عليه لان العصمة من الامور الخفية التى لا يعرفها الا الله تعالى • فالامامة أو الخلافة كما قال المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فى كتابه (أصل الشيعة وأصولها) ص ٨٠ بأنها (هى الاصل الذى امتازت به الامامية وافترقت عن سائر فرق المسلمين وهو فرق جوهرى أصلى وما عداه من الفروق فرعية عرضية) فلو كان ما قاله هذا الرجل صحيحا لما كان خلاف بين الشيعة وأهل السنة من هذه الجهة وهذا ما لا يقبل الجدل والبحث فيه شبيه بالفضول •

تأريخ تأسيس علم اصول الفقه :

لم يكن هذا العلم الجليل مدونا فى صدر الاسلام ولا عرفه الصحابة والتابعون بالصورة المفصلة التى نعرفها نحن اليوم وان الامام علي بن أبى

طالب ـ ع ـ أول من بحث فيه ، وشواهد ذلك فى نهج البلاغة كثيرة وان الامـام الباقر ـ ع ـ أول من دونه أو أمر بتدوينه ثم جـاء ولده الامـام الصادق ـ ع ـ فأضاف اليه ما أملاه على تلميذه هشـام بن الحـكم المتوفى سنة ١٧٩هـ ذلك الحكيم المتأله الجليل الذى حاجج الجاحظ فأفلجه فزاده فلجا على فلج رغم صغر سنه وهو أول من صنف فى هذا العلم كتاب الالفاظ ومباحثها وهى خلاصة أبحاث هذا العلم ، وهناك من يقول هو يونس بن عبدالرحمن مولى آل يقطين ويسمى كتابه (اختلاف الحديث) وقد ازداد هذا العلم اتساعا وتنظيما بامتداد الزمن فضبط العلمـاء قواعـده وحرروا مسائله وبحوثه حتى وصل الى أيدى علماء عصرنا فأفرغ هؤلاء وسعهم فى تجويده وترتيبه وتبويبه وتيسير تحصيله فألفوا فيه الكتب القيمة نظما ونثرا فمن الكتب المنثورة كتاب ـ مبانى الاصول ، للسيد محمد هاشم الخونسارى، ودرر الفرائد لليزدى والعناوين للعلامة المجاهد الشيخ مهـدى الخالصى والكفاية للآخند الا ان الكفاية ليس فيها الكفاية فقد جاءت معقدة بتراكيب بعيدة عن النهج العربى وغير هذه الكتب ما يعجزنى احصاؤه ، أما المؤلفات المنظومة فى هذا العلم فكثيرة أيضا كمنظومة ميرزا محمد باقر الخونسارى ومنظومة السيد هاشم كمال الدين الشهير بالشرع عالم الـكوفـة المسمـاة ـ بالدرر الفرائد فى الاصول والقواعد ومنظومة الكواكبى ويرى المتتبع أن علماء الشيعة من المجلين فى هذا المضمار وليس صحيحا ما جاء فى مجلة الرسالة المصرية من أن الشافعى ـ رض ـ واضع علم اصول الفقه ، وتحت هذا العنوان نشر الاستاذ الشيخ مصطفى عبدالرزاق استاذ الفلسفة الاسلامية فى كلية الآداب ورئيس الازهر فى مجلة الرسالة سلسلة بحوث جاء البحث الثالث منها ماروا عن الخطيب البغدادى فى تاريخه عن أبى يوسف قال :ـ قال : أبو حنيفة لما أردت طلب العلب جعلت أتخير العلوم وأسأل عن عواقبها فقال لى : تعلم القرآن ، فقلت اذا تعلمت القرآن وحفظته فما يكون آخره ؟

قالوا : تجلس فى المسجد ويقرأ عليـــك الصبيان والاحداث ثم لا تلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منـــك أو يساويك فى الحفظ فتذهب رياستك ، قلت : فأن سمت الحديث وكتبتُه حتى لم يكن فى الدنيا أحفظ مني قالوا : اذا كبرت وضفت حدثت واجتمع عليك الاحداث والصبيان لا تأمن أن تغلط فيرموك بالكذب فيصير عاراً عليك فى عقبك ، فقلت لا حاجة لي فى هـذا ، ثم قلت أتعلم النحو . فقلت اذا تعلمت النحو والعربية ما يكون آخر أمرى ؟ قالوا تقعد معلماً وأكثر رزقك ديناران الى الثلاثة ، قلت : وهـذا لا عاقبـة له ، قلت فأن نظرت فى الشعر فلم يكن أحد أشعر مني . ما يكون من أمرى ؟ قالوا تمدح هذا فيهب لك ويحملك على دابة أو يخلع عليك خلعـــة ، وان حرمك هجوته فصرت تقذف المحصنات ، فقلت لا حاجة فى هذا ، قلت فأن نظرت فى الكلام فما يكون آخره ؟ قالوا : لا يسلم من نظر فى الكلام من شنعات الكلام فيرمى بالزندقة ، فأما أن يؤخذ فيقتل ، واما أن يسلم فيكـون مذموما ، قلت : فأن تعلمت الفقه ؟ قالوا : تسأل وتفتي الناس وتُطلب للقضاء وان كنت شابا ، قلت : ليس فى العلوم شيء أنفع من هـــذا فلزمت الفقـه وتعلمته الخ ..

ان هذه الرواية تفيد أن أبا حنيفة لم يكن قد طلب العلم لوجـه الله وهى رواية ليست شيعية وانما رواها شيخ الازهـر ولكننا مع ذلك نجـلّ مقام ابى حنيفة عن ذلك والله أعلم بحقائق الامـور . وفى هـــذه الرواية سلسلة طويلة من الاسئلة والاجوبة أكثرها غير منطقى فالسبب الذى منعـه عن تعلم القرآن المجيد وحفظه لم يكن سوى ما القاه مستشارة فى روعه من أن بعض تلامذته الاحداث قد يكونون أحفظ منه أو يكونون بدرجته فتذهب رئاسته فكما يجوز الاحتمالان يجوز عدم حصولهما فينفرد بالرئاسة كما أن افتراضه تعلم الشعر حتى لا يكون أشعر منـــه ليس منطقيا فما للشعر غاية وحدود كما لا تنحصر أسباب تعلم القرآن وحفظه بالرئاسة الدنيوية ؟ فيكون

احتمال عدم حصولها مانعا عن تعلم كتاب الله وفضلا عن ذلك نرى ما نعيه هم الذين أمروه وهل ينقض العاقل غرضه ؟ كما أن الذين منعوه عن تعلم حديث رسول الله ـ ص ـ زعموا بأنه اذا كبر وضعف اجتمعت عليه الاحداث فاذا غلط رموه بالكذب وصار عاراً عليه ولا أدرى لماذا خصوا الصبيان والاحداث فى سماع الحديث ؟ فهل حسبوا سماع الحديث من نوع سماع الاغانى ؟ والا فما شأن الاحداث بالحديث ؟ ومن أين يعلم الاحداث والصبيان الحديث الصحيح والكاذب حتى اذا كذب عيروه بالكذب والمعهود ان الذين يذهبون لسماع الحديث الكهول والشيوخ الذين يساعد تقدمهم فى السن على تعلم هذه القضايا واما الصبيان فاللائق بهم اللهو واللعب ولا ندرى كيف اقتنع بملاحظة مستشاريه وهى خاطئة فأعرض عن تعلم حديث الرسول ـ ص ـ وهو من الاهمية بمكان لا سيما والمانع وهمي والدليل على عدم وجاهة هذا السبب اقبال أفاضل العلماء والفقهاء على سماع الحديث وحفظه وتعلمه ولم يعيرهم صبيان ولا أحداث ، اما السبب الذى قدمه مستشاره لمنعه عن تعلم النحو بأنه يقعد معلما واكثر رزقه ديناران الى ثلاثة وهذا لا عاقبة له ، لست أدرى من أين استفادوا هذا التحديد وحصره بهذا المقدار وقد أخبرنا التاريخ ان مسألة نحوية واحدة كانت سببا الى ثروة كبيرة فكيف اقتنع فامتنع لمجرد وهم لا حقيقة له ، ولننظر فى سبب عزوفه عن تعلم الشعر فاننا لم نجد مستشاريه قد قدموا له ما يصلح أن يكون رادعا فأنهم زعموا انه اذا تعلم الشعر اما يمدح أو يهجو فيقذف المحصنات وهل الشعر لم يتجاوز هذا؟ ثم كيف يحكم على نفسه سلفا انه يصير أشعر الناس ، وهل الهجاء منحصر بقذف المحصنات ؟ هذه اسئلة من السهل الجواب عليها بالنفي اما امتناعه عن تعلم علم الكلام فلسبب غير وجيه ايضا وهو جواز خطأه فاما أن يقتل أو يسلم مذموما وهذا التاريخ يحدثنا عن كثير من المتكلمين لم يقتلوا ولم ينلهم ذم حتى حصل أحدهم وهو العلامة الحلي على لقب صاحب الجلالة ولا كتائب

له الا الكتب ولا عدة الا القلم والمحبرة وقد عاش أكثرهم فى أبهة تشبه أبهة الملوك • ثم انهم عندما منعوه عن تعلم النحو كيف سوغ له عقله أن يسأل بعد ذلك عن تعلم الشعر والكلام والفقه وهذه العلوم تأتي بعد النحو ولا يمكن معرفتها والتخصص بها دون تعلمه وحذقه فكان عليه أن لا يسأل عن تعلمها وعن نتائجها لأنه منهي عنها ضمنا ولكنه استمر يسأل حتى انتهى به المطاف الى الفقه واذا كل ما فيه من مشوقات لا يتعدى حطام الدنيا الفانية من ابهة القضاء وجلالة الافتاء ولا ندرى كيف تعلم الفقه دون تعلم النحو ؟ وهذه الرواية أيدها العلامة الشيخ مصطفى عبد الرزاق رئيس الجامع الازهر ونشرها فى مجلة الرسالة العدد الثالث من سلسلة ابحاثه المعنوية بـ (الشافعي واضع علم أصول الفقه) وجاء الشيخ مصطفى بقصة ابى حنيفة للتعبير عن روح ذلك العصر من تلك الناحية ولكنه اعترف بما ينقض عنوان بحثه المنوه عنه فقد أورد ص ١٤٣ قوله : (كان اتجاه المذاهب الفقهية قبل الشافعي الى جمع المسائل وترتيبها وردّها الى أدلتها التفصيلية عند ما تكون دلائلها نصوصا) وهذه الدلائل هى من مفاهيم علم الاصول وقد صرح أنها موجودة قبل الشافعي وليس للشافعي سوى انه بدا له اكمال النقص وليس اكمال النقص معناه الوضع ولذلك غفل الرازى حينما زعم ان الناس متفقون على ان أول من صنف فى علم أصول الفقه هو الشافعي وانه هو الذى رتب أبوابه فذلك مجرد دعوى ونطالبه بالبرهان فقد قام الدليل على نقيضها حيث علمت ان واضع أصول هذا العلم هو الامام علي والباقر والصادق عليهم السلام وتمت أكثر قواعده فى عهد الامام العسكرى ـ ع ـ وفائدة هذا العلم محاكمة الادلة والبحث عن عوارضها من حيث الصحة والفساد والقوة والضعف لأيصال المجتهد الى حقيقة الحكم الفقهى حسبما أدى اليه استنباطه واستنتاجه واجتهاده على ضوء تلك القواعد الاصولية • وقد نهج السيوطى نهج الرازى فزعم فى (الاوائل) ان أول من صنف فى هذا العلم هو الامام

الشافعي وقد أوضحنا أن ائمة أهل البيت قد سبقوا الشافعي فى وضع هـذا العلم اما الامام البـاقر ـ ع ـ فوضع مهمـات مسائله ونهج الصادق ـ ع ـ نهج أبيه والشافعي من تلامذة الامام الصادق ـ ع ـ وقد كان لامير المؤمنين ـ ع ـ فضل تأسيسه ففى نهج البلاغة كثير من مسائل هذا العلم كالناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاص والعام ، ومن أمثلته الكلية (كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهي) وهو ما ندعوه بأصالة البراءة • ومن أمثلته (كل شيء لك طاهر حتى تعلم انه نجس) وهو ما نسميه اصالة الطهارة ومن هذه الامثلة (كل مجهول ففيه القرعة) و (كل شيء يجترُ فسؤره حلال ولعابه حلال) و (كل ما فيه حلال وحرام فهو لك حلال حتى تعرف الحرام منه) وهو ما يسمى اصالة الحل فى المشتبه ومنها (كل ما أسكر كثيره فقليله حرام) و (ما على الامين الا اليمين) ونحو ذلك وقد دوّن عليه السلام من هذا العلم نحو ستين قاعدة وقد خالف بعضها اخواننا أهل السنة كقولهم بتصويب كل مجتهد وكتجويزهم للآمر أن يأمر بما علم انتفاء شرط وقوعه وقت التكليف وغير ذلك حسبما أدى اليه اجتهادهم • والمرء لا يطالب بأكثر من بذل وسعه فى التقصي والبحث وللمجتهد المخطيء حسنة وللمصيب حسنتان •

من شواهد عبقرية هشام :

هشام بن الحكم عبقرى جليل القـدر عظيم الشأن ولعبقرية هـذا الفيلسوف اليافع أمثلة رائعـة كثيرة تحتـل مكانا بارزا من تاريخ النبوغ والالمعية ويكفينا منهـا لوذعيته فى تخلصه من مكيدة يحيى بن أكثم قاضى القضاة وهى مكيدة محكمة ومدروسة قد حاكها للايقاع بهذا الجهبذ النابه وسعى بدمه عند الرشيد وملخص القضية ان يحيى سأل (هشاما) عن امكان اقامة الدعوى بين شخصين على شيء واحـد وكلاهما محقّ فى دعـواه ؟ فأجاب هشام لابد أن يكون الحق فى جانب احدهما ، فعندئذ قال ـ يحيى ـ

فما تقول في علي والعباس حين تداعيا في تراث رسول الله من كان المحق منهما ؟ وقد تبين للقارىء الحقد اللئيم الكامن بهذا السؤال انه حقا سؤال محرج أيقول هشام ان الحق مع علي لقول النبي ـ ص ـ ان الحق يدور معه حيث يدور ؟ فيتعرض بذلك لسخط الرشيد لحكمه على جده بدعوى الباطل أم يقول ان الحق في جانب العباس ؟ فيتعرض لسخط الله وتأنيب ضميره اليقظ ويخالف عقيدته . ولأجل أن نعلم مقدار العوامل التي اعتملت في نفسه ومقدار ردّ الفعل الذي أحدثه هذا السؤال الحاقد لندع هشاما نفسه يحدثنا عنه .

قال هشام : فأسْقِطَ في يدي ثم ذكرتُ قول الامام الصادق ـ ع ـ لي لا زلتَ مؤيَداً بروح القدس يا هشام . فأجبته وقلت : ما تقول في الملكين اللذين تحاكما الى داود من كان المحق منهما ؟ ومن كان المبطل ؟ فقال : كلاهما محق وانما أرادا أن يكشفا لداود ـ ع ـ خطأه في الحكم ـ أي تركه للاولى ـ قال قلت : اذن ؟ بذا نجيبك ، انّ علياً والعباس تداعيا الى أبي بكر ليعرّفاه خطأه في أمره الخ ...

وأبو بكر شأنه شأن الناس ليس معصوما عن الخطأ ولم يوجد من يقول بعصمته مطلقا ومن كان كذلك جاز عليه الخطأ وهو يعترف بذلك حين قال : (من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقوّومه) ومن هنا اشترطنا عصمة الامام لأن وظيفة الامام تقويم اعوجاج الرعية وليس وظيفة الرعية تقويم اعوجاج الامام لأن الامام خليفة الرسول وقائم مقامه فيجب أن يكون معصوما مثله ولكنه ليس بنبي .

الخلاف بيننا وبين الاخباريين :

انّ مسائل الخلاف بين الأصوليين والأخباريين ليست بالأمر اليسير ، ومن هذه المسائل وأهمها ، مسألة التقليد ، التي أوجبها الأصوليون على من

لم يبلغ درجة الأجتهاد ، أو العمل بالاحتياط ، ومنع الاخباريون من تقليد المجتهد وألزموا الناس بالرجوع الى الامام رأساً ودون واسطة المجتهد ، والرجوع الى الامام معناه الرجوع الى أخبـاره ، ولهم على ترجيح قولهم أخبار تمنع من أخذ الدين بالرأى والقياس ومن هذه الاخبار قولهم – ع – « انّ دين الله لا يصاب بالعقول » ويقولون ان علم الاصول لم يرد به نص عن ائمتنا الخ ...

والحق الذى لا غبار عليه انّ علم الأصول وارد عن ائمتنا كما استشهدنا فى نهج البلاغة عليه ويكفى ذلك فى تفنيد هذا الزعم وأما قَدْحُهم بمسألة الأجتهاد فغير وارد أيضا لورود الأخبار فى الاجتهاد وشروطه وفى شرائط من يصح تقليده ومن لا يَصِحّ والغريب انهم ينكرون ذلك قولا لا عملا فأنهم يأخذون أحكام دينهم من علمائهم وهو معنى التقليد الذى ينكرونه ، واستنباط علمائهم لتلك الاحكام هو معنى الاجتهاد الذى ينفرون منه نتبين أنّ النزاع ليس سوى نزاع لفظي . وان منشأ هذا الوهم هو التسمية اللفظية أى تسمية استنباط الاحكام بلفظ الاجتهاد فظنوه عملا بالرأى المحض غافلين عن ان الاصوليين يشاركونهم فى تجنب العمل بالرأى والقياس غير منصوص العلة ، والواقع ان المراد من لفظة الاجتهاد هو الاجتهاد المتحصل من الكتاب والسنة والاجماع وحكم العقل القطعى كحكم العقل بقبح التكليف بالمحال وكحكمه بقبح الظلم وحسن العفو وهى من أوليات الاحكام العقلية ومن أجْلِ توهمهم هذا لم يُوجبوا الاجتهاد كما نوجبه نحن عيناً أو تخييراً .

الادلة :

الأدلة عندنا اربعة : الكتاب والسنة والاجماع وحكم العقل ، ويقتصر الاخباريون على الكتاب والسنة وبعضهم يقتصر على السنة وحدها بناء على

عدم تجويز هذا البعض الأخذ بظاهر الكتاب ، ولكنني لا أدري لماذا يأخذون اذن ؟ بظاهر الرواية لا سيما وتعليلهم فى عدم الأخذ بظاهر الكتاب هو عدم استطاعة كل أحد أن يتفهم نصوص الكتاب وهذا المحذور يوجد أيضا فى الاخذ بظاهر الرواية واذا اتحد السبب يلزم منه اتحاد المسببات فالرواية لا يفقهها كل أحد ولابد من وجود مميز يميز صحيحها وفاسدها ويعرف مؤداها ويجمع بين ما ظاهره التعارض بتخريج صحيح وهذا هو المجتهد •

من أمثلة الخلاف :

١ ـ الاصوليون يجوزون العمل بالظن فى نفس الحكم الشرعى ، والأخباريون لا يعولون الا على العلم وهو فى نظرهم قطعى وواقعى وعادى وأصلي وهو ما توصل عن المعصوم ثابتا ولم يجز فيه الخطأ •

٢ ـ الأصوليون يقولون بجواز وجود غير الصحيح من الاخبار فللتميز بين الصحيح وغيره احتاجو الى المجتهد ، والاخباريون يقولون فى صحة كافة اخبار الكتب المعتمدة ويقولون ان جامعيها أتقنوها وحذفوا منها الضعيف والموضوع ، واتباعهم لهذا القول هو القليد بعينه الذى أنكروه على الاصوليين ، كما ان اعتبارهم القرائن موجبة للعلم بصحة الخبر وصدوره عن المعصوم هو من معاني الاجتهاد ولأجل أن تعرف انه نزاع لفظى يجب وقوفك على أن الأصوليين يمنعون عن الفتيا من لم يكن مجتهدا ويجوزه الاخباريون لمن له اطلاع على الاحكام ومؤدى هاتين العبارتين واحد • فالاطلاع على الاحكام ومعرفتها من حيث الصحة والفساد هو معنى الاجتهاد •

كما أن الخلاف بيننا فى نسبة العلم بجميع الاحكام الى المجتهد ناشىء عن الخلاف فى مسألة تجزئة الاجتهاد أو عدم تجزئته والقائلون بها منا يوافقون الأخباريين فيما يخص اجتهاد المجتهد ، والجهة الثانية فيها نزاع بين الاصوليين أنفسهم أعني مسألة التجزي وعدم التجزي •

٣ ـ الاصوليون يعملون بأصالة البراءة واصالة الاباحة والأخباريون يعملون بالاحتياط فى الموضعين •

٤ ـ لا يقول الاخباريون بحجية الاجماع ويرى الاصوليون حجيته •

ولقد تصدى العلماء الاعلام الى تفصيل هذه الخلافات فى مظانها فليرجع اليها من يريد الزيادة فى الاطلاع •

النهاية عكس البداية :

ابتدأت الحركة الدينية بالنظام الشوري عند اخواننا أهل السنة فاختاروا أبا بكر ـ رض ـ خليفة وبويع يوم سقيفة بنى ساعدة وأعلن سياسته فى خطبته التى خاطب بها الأنصار والتى ورد فيها : « نحن الامراء وانتم الوزراء لا نمتاز دونكم بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور » الخ •• وكانت وصية سيدنا عمر من أظهر الصور للنظام الشوري حين جعلها فى ستة من اصحاب الرسول ـ ص ـ وقد استمرت الحكومة الاسلامية شورية مع أن الشريعة فى الاصل متوقفة على ما ينزل به الوحي السماوى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ولكن نتيجة الأخذ بهذا النظام الشوري لم تكن موافقة لهذا النظام بل معاكسة له حيث انتهى الى نظام ـ بيروقراطى ـ شديد التطرف وضع الزعامة الدينية فى صندوق من حديد وألقى مفاتيحه بأيدى اربعة من المجتهدين هم المذاهب الاربعة وما كان مسموحا لغيرهم بتولي هذه الزعامة ولو كان هناك من هو أعلم وأفقه بواسطة منع اجتهاد المجتهدين الآخرين رغم انَّ التشريع الاسلامى ونصوصه الصحيحة تستدعى فتح باب الاجتهاد لكون الاسلام نظاما لا يختص فى زمان أو مكان فما يراه أبو حنيفة مثلا صالحا حسب مقتضيات عصره لا يكون صالحا فى زمن آخر وهذا يقتضي وجود فقيه مجتهد يقضي بما يتلائم وتطورات الزمن فى جزئيات المسائل بحيث لا يخرج فى اجتهاده عن الدائرة التى رسمتها الشريعة

الاسلامية وهذا الاجهاد هـو القاسم المشترك الاعظم للمصالح المتباينة فى العصور والامم المتباينة فَحَصْرُ التقليد بالمذاهب الاربعة مخالف في جوهره للنظام الشوري الذى ابتدأت به الحكومة الاسلامية حسب عقيدة اخواننا أهل السنة وهكذا ابتدأ النظام شوريّا وانتهى ـ بيروقراطيا ـ ضيق مساحة الحرية والانطلاق •

أما نظام الزعامة الدينية عند الشيعة فمعاكس تماما للنظام السُني حيث ابتدأ بما يشبه النظام ـ البيروقراطى ـ وذلك بحصر الشيعة للأئمة بأثني عشر اماماً لا تجوز مخالفتهم حتى كانت الغَيبة الكبرى للحجة المهدى ـ ع ـ فمنح حق الختيار الزعيم الدينى ، للامة نفسها وفق شروط معينة وبذلك استفادت طريقة البحث وتمييز الصالح من غير الصالح بنظر ثاقب وحرية فكر واستفادت فضلا عن ذلك شعورها بوجودها فتعلمت تحمّل مسؤولية البحث والاختيار وانفتحت لها باب المنافسة على طلب العلم حتى كان للفرد حق رفض الزعيم والعدول عن تقليده الى زعيم آخر يعتقد انه اكثر عدالة وعلماً ولم تكن لهذه الزعامة أبواق للدعاية والتهريج ولا رشوات ولا حفلات ولا نفقات بل تتم فى غاية البساطة ومنتهى السهولة وذلك حين يبرز من توفر فيه شروط الكفاءة بين أخدانه كما يبرز البدر بين النجوم ، ومثل هذه الزعامة هى أرقى ما وصل اليه الفكر فى النظام الديمقراطى والحرية الشخصية الملائمين لطبيعة الحياة الراقية • وقد عرفت مما مضى كيف ابتدأت الزعامة الدينية حسب الرأى السنى شورية ديمقراطية وكيف انتهت الى ـ بيروقراطية ـ وكيف ابتدأت الزعامة الشيعية بما يشبه ـ البيروقراطية ـ وكيف انتهت الى ما يشبه الشورى فكلا المذهبين لم يقطع الطريق الذى بدأ السير منه وانما خالفه وهو فى منتصف الطريق وسلك مسلكا يناقض المسلك الاول ويعاكسه فى جوهره ومادته ، فأن كانت هناك من نقطة للالتقاء فهى نظرتهما الى الاسلام انه دين ودولة وذلك لا يشك به من ينظر الاسلام

بعين الواقع وشواهده كثيرة كمعالجة الاسلام القضايا الدينية والدنيوية على حد سواء فلم يكن روحيا بحتا كالمسيحية ولا ماديا بحتا كاليهودية ولكنه سلك مسلكا وسطا ينتهى بسالكه الى السعادة الابدية والنعيم المقيم •

مناقشة :

صرح الاستاذ الجليل الشيخ عبدالرزاق رئيس الازهر فى كتابه ـ الاسلام واصول الحكم ـ ان الاسلام دين لا دولة ، وهذا خلاف الواقع وانى لمستغرب جدا ان يصدر مثل هذا الرأى عن عالم كبير يتولى زعامة جامعة دينية كبيرة فالاسلام دين لانه يعلّم الناس طريق عبادة الخالق ، والاسلام دولة بما سنّه من نظم الدولة ومقوماتها كنظام الجباية والخراج من الناحية المالية وكنظام الجهاد فى الاسلام ومعاملة الاسرى من الناحية الحربية العسكرية وامره بالصحة العامة من طريق النظافة وكونها من الايمان وسائر نظمه العمرانية والاحوال الشخصية وقواعد المرافعات وتشريع الحقوق واصول المحامات وبحثه فى الزراعة والصناعة وتربية الطفل وحماية العلم ومعاونة المعوزين والعاطلين ونصب الجسور وحفر الترع والانهار وتعبيد الطرق وكل نواحى الحياة • وقد اعترف بذلك خصوم الاسلام فقد جاء فى (كتاب الاسلام فى نظر الغرب) ص ١٢٧ عن وزارة الخارجية ، واشنطن بقلم فيليب وايرلند قال: [ومن الضرورى عند بحث موقف الاسلام ازاء أى رأي سياسى ، معرفة الفكر الاسلامى الذى وضعه محمد ورضي به اتباعه لا من حيث هو دين فحسب بل من حيث هو كيان اجتماعى سياسى وضع نمطا لحياة جميع المسلمين الدينية والاجتماعية والسياسية] وما ذكرناه يكفى لتفنيد رأى الاستاذ عبدالرزاق فى التمييز بين هذين الشقين [ولاية الرسول على قومه ولاية روحية منشؤها ايمان القلب وخضوعه خضوعا صادقا تاما يتبعه خضوع الجسم] [ولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد اخضاع الجسم من

غير ان يكون لها بالقلب اتصال] [تلك ولاية هداية الى الله وارشاد اليه ، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الارض . تلك الدين وهذه الدنيا] الخ ثم جاء حكم الشيخ غير حكيم بعد هذه المقارنة فقال [وما ابعد بين السياسة والدين] ولكننا لا نوافق سماحته فليس كل عمل دنيوى يكون مجردا عن عنصر الدين فطلب الكسب الحلال امر دنيوى معاشى ولكنه من افضل الواجبات واقرب القربات الى الله تعالى كما أن الصلاة توصلنا اليه تعالى فاطاعة امره بالعمل والكسب المشروع كقوله تعالى ـ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ـ ان هذه الطاعة تقرّبنا منه . كما ان قوله ان ولاية الحاكم مادية تعتمد اخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلب اتصال الخ هذا القول يحتاج الى تأمل فان بعض ولايات الحكام تكون موافقة لهوى الرعية ومعنى ذلك انها تتصل بالقلب لان الهوى والرضا من اعمال القلب لا من اعمال الجسم ولو أن المسيحية قالت هذا القول لما كان لنا عليها اى اعتراض لانها روحية خالصة وبسبب روحيتها المتطرفة نشأت فكرة فصل الدين عن السياسة فى الممالك الاوربية المسيحية وقلدتها بعض الحكومات الشرقية ففصلت الدين عن السياسة لمجرد التطرف بالتقليد الاعمى ولدوافع شعوبية حقيرة بعد أن مهدت لهذه الفكرة باعلان الحادها وتنكرها الى الاسلام رغم تمسك شعوبها بالاسلام .

وبقى الاسلام كالجبل الاشم لم يعبأ بهذه العواصف التى لا بد أن تلاشى ويذهب معها ذلك الغبار فللاسلام شخصيته القوية فلن تقوى عوامل الهدم والتخريب ومعاول التفسخ من اقتلاع اسسه المتينة وقطع جذوره الممتدة الى اعماق نفوسنا وضمائرنا وعقولنا ، ولن تقوى اية سلطة مهما كان شأنها على تجزئة سلطة الاسلام وسيبقى الاسلام محلقاً بجناحيه ـ المادى والروحى ـ فى سماء العز والرفعة والخلود حتى يظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون .

ان سلطتي الاسلام ـ المادية والروحية ـ مرجعهما واحد وهو الاسلام بمفهومه العام، اعني نظرته في امور الدين والدنيا واذا كانت عوامل الفصل بين هاتين السلطتين قد فشلت حتى في الشعوب المسيحية التي تتقبل ديانتها هذا الفصل وانبثقت عنها فكرة عزل الدين عن السياسة فكانت (للفاتيكان) دولـة رسمية لهـا شخصيتها الدوليـة فكيف يمكن ان يكتب لهذه الفكرة الانهزامية النجاح في شعوب تدين بالاسلام؟ وقد جرب المسلمون في الادوار الثلاثة صلاحية الاسلام لمعالجة شؤون المجموعة البشرية كدين ودولة حتى بلغت الامة الاسلامية المجيدة في عهد الراشدين والامويين والعباسيين شأواً بعيدا من الرقي والتقدم ووضعوا للمدنية الزاهرة اسسا متينة صمدت أمام التيارات الفكرية المعاكسة واستطاع الاسلام بقوته الآلهية العجيبة أن يستأصل ما بالنفوس من جذور الوراثات الرديئة فصفاها من درن التربية الجاهلية السيئة فكان تجربة ناجحة في انقاذ الناس من اثر الوسط السيء والتدهور الخلقي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي فنال الاعجاب والاحترام حتى من اعظم مخالفيه عنادا وحقدا . أما ما نراه اليوم مع الاسف من بعض المآخذ فهو نتيجة تفاعلات تاريخية طويلة كان مبدأها تساهل بعض المسلمين بامور الدين وانحرافهم عن جادته المستقيمة حتى وصل المروق بهؤلاء الى انقطاع صلتهم بالاسلام او الى وشك الانقطاع كما قلت :ـ

باسلامـه مالـه من صِلات ... وبالرغـم منـه اليـه انتمى

تَفضّـل يوما مديـر النفوس ... عليـه فسجلـه مسلمـا

وانحلال الاخلاق بهذا الشكل حصيلة الجهود الاستعمارية الشرقية أو الغربية فكل امة ابتلاها الله بالاستعمار تسوء اخلاقهـا وتضعف رابطتهـا الدينية ، وامتنا من بعض هذه الامم كواها الاستعمار بناره وأفقدها الكثير من مثلها العليا وامجادها وقد اوهمها المستعمرون ان ذلك المروق ظاهرة من ظواهر التمدن والرقي والوعي الصحيح وان الدين حجر عثرة وأفيون

الشعوب فكانت نتيجة تفاعل هذه الاوهام والاسلام ظهور اضطراب فكرى لا يبشـر بخير فاتجاه نحو تقبل القيم الغربيـة والانفصال التام عن ماضينا المجيد واتجاه آخر نحو تقبل الفوضى الشيوعية وهو معاكس للاتجاه الاول الا فى قطع صلتنا بالماضى حيث يلتقى كلا الاتجاهين فى هذه النقطة وهناك اتجـاه محافظ سـليم يدعو الى التمسك بأهداب الماضي بعـد تخليصه من الشوائب التى شانته نتيجة لعوامل كثيرة ليس هنا مجال الافاضة فيها واتجاه آخر لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء مذبذب فهو يدعو الى الاسلام ولكنها دعوة المتخاذل الجبان فهو يضحّي بشيء من قيم الاسلام بحجة المحافظة على الباقى وهذا اسوأ الآراء فى نظرى وأخطرها وفيه يكمن تأخرنا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا بل ويسهّل السبيل الى محق الاسلام والقضاء عليه قضاء مبرما .

وقد زاد الطين بلة فى تشويه حقيقـة الاسلام الناصعة بعض العوام المتزيين بزي أهل العلم والدين وهم مشعوذون دجالون يسندهم المستعمر ويعزز مراكزهم كعلماء (الخفيز) فى النجف الاشرف الذين أسدوا اليه كثيرا من الخدمـات فى ثورة العشرين و (كعلماء الاحرار) فى ابان المد الشيوعى الاحمر وقد كانوا جميعا من اسفلالناس واوضعهم نفسية وابعدهم عن الدين والعلم وقد أضاف المشعوذون الى الاسلام مجموعة من الخرافات والاوهام وهى بعيدة كل البعد عن حقيقة الدين فحجبوا عن بعض الناس أسرار عظمة الاسلام وتشريعاته العظيمة ومن هذه الثغرات استطاع أعداء الاسلام أن يشنوا هجومهم المضلل بما استخدموه من أنواع التلفيق والدس اللئيم وما جمعوه من خداع وتهويش وتهويل فأصابت المسلمين انتكاسـة وليس بالممكن اعادة عزتهم وكيانهم الا بالرجوع الى حظيرة الاسلام وتفهُّم مبادئه الصحيحة وارتشاف مناهله العذبة والاعراض الكلى عن المشعوذين من أشباه العلماء وعلماء السوء الذين يعارضون كل فكرة اصلاحية ويأبون الرجوع بالاسلام الى سيرته الاولى . فلابد من الاصلاح الشامل الجرىء

ولابد من التضحية ولابد من تفهم الظروف الحالية ودراسة نتائجها وتدبر عواقبها ولابد من أن يبدأ الاصلاح من القمة الى السفح بدون تلكؤ ولا محاباة وبهذا وحده سيعود الاسلام الى صفائه وجاذبيته وسيأخذ سبيله الى النفوس ليغذيها بالايمان ، والى العقول فيغذيها بالمعرفة ، والى القلوب فيغذيها بالوجدان حتى تصبح هذه الامة الضعيفة المتهرئة المتفككة امة ذات كيان ممتاز وشخصية جليلة ويعود نور الاسلام الوضاء بنوره الهادىء فيملأ النفوس الحالكة والعقول المظلمة بأشعة الايمان ونور الحق ولسان حالها يقول [يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي فى عبادى وادخلى جنتي] •

حب الاستقلال والادراك السياسى :

تقول دهاقنة السياسة ، أن حب الاستقلال يسبق الادراك السياسى ، والحقيقة على نقيض ذلك فليس بأمكان هذا الحب أن ينبت ويعيش طويلا فى النفوس قبل معرفتها نتائج ذلك الاستقلال وعوامله وطرق كسبه وهذا هو معنى الادراك السياسى ، ولا شك أن هذا القدر من الادراك السياسى يجب أن يسبق حب الاستقلال لانه هو السبب فى ذلك الحب ، والسبب يجب تقديمه على المسببات بالبداهة ، ويمكن اطراد هذا الادراك فى كل قضية من قضايا المجتمع فالتنظيم الدينى مثلا لما كان سببا لدعم كيان الدين وجب أن نبينّه ونعرف كنهه وغايته وبعد ذلك يترتب عليه حبنا لهذا التنظيم والسعى الحثيث لتحقيقه ، ونحن اذا فكرنا جدّياً فى هذا التنظيم رأينا نتائجه الباهرة وآثاره الرائعة فى حياتنا العملية ونجد بذور تلك الفوائد تنمو لتؤتي ثمارها الطيبة ، والا فليس من المعقول أن تثقب السفينة ونرتقب نجاتها من الغرق •

وان ادراكنا السياسى يجب أن لا يخرج عن دائرته الاصلاح الديني كوسيلة الى اصلاح المجتمع فالدين والسياسة لا يتعارضان بل الدين هو

السياسة الحكية ، سياسة النفس وترويضها على قبول الطاعة ، وسياسة المجتمع وتوجيهه الى ما فيه سلامته وخيره ومتى كان ادراكنا السياسى سليما فاننا نجد حينذاك من الدين ناصرا ومرشدا الى الكمال • وحائلا دون الحركات الهدامة ضد مجتمعنا فيعيدها بمرارة الخيبة والفشل الذريع •

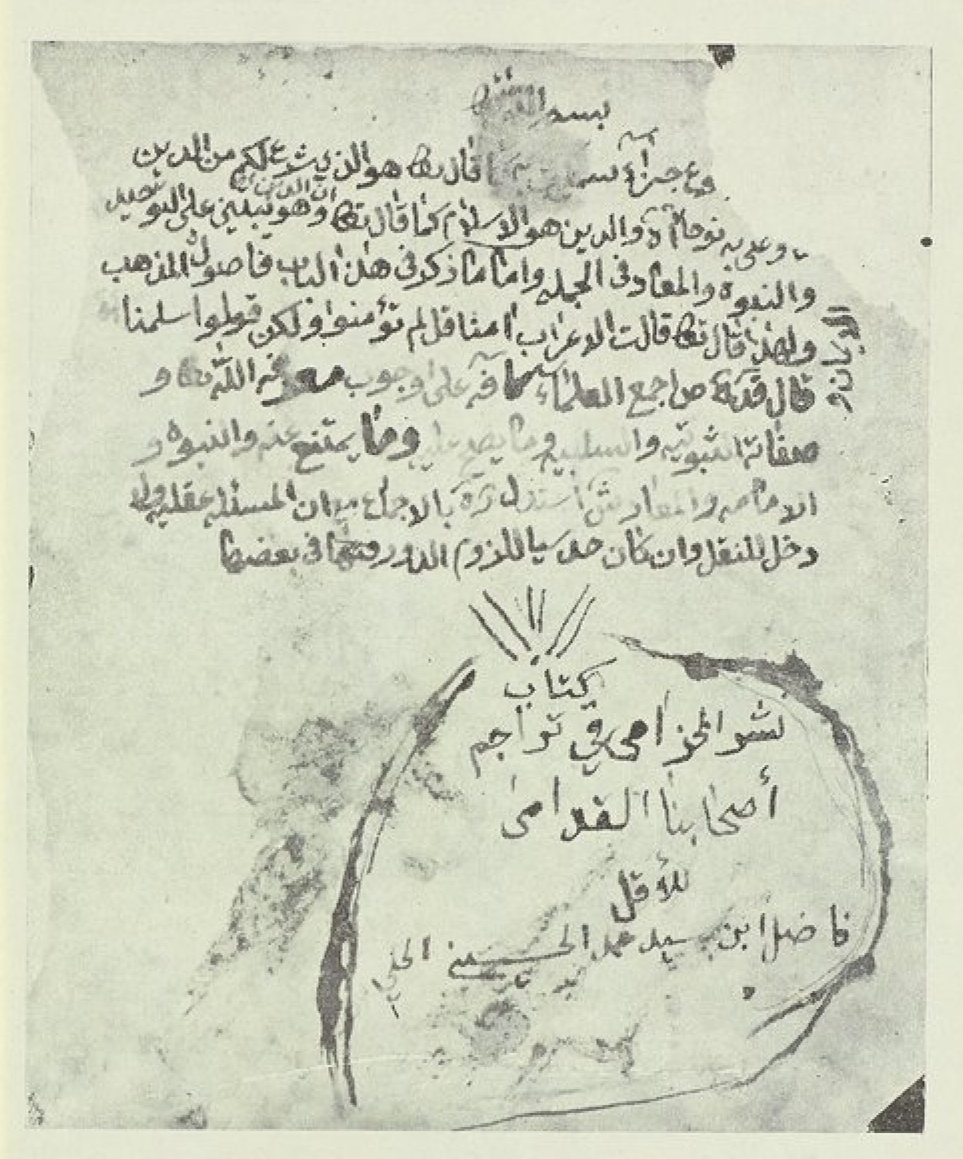
الاجـازة :

الاجازة ، نوعان ، اجازة بالحكم ويشترط فيها الاجتهاد ، واجـــازة رواية كأجازة الاديب محمد علي اليعقوبى ومعناها جواز نقل الرواية عن المجيز ومثل هذه الاجازة ليست بالامر المهم ويجوز اعطاؤها للعامى الحافظ عند الاطمئنان •

كتاب نشر الخزامى :

عثرنا على كتاب [نشر الخزامى فى تراجم أصحابنا القدامى] للعلامة حجة الاسلام جدنا الفاضل السيد فاضل السيد حمد قدس سره وقد قدم له مقدمة نفيسة فى علم الكلام وختمه فى شرحه للباب الحادى عشر للعـلامة الحلي أعلى الله مقامه فى نفس الموضوع ، والكتاب مع الاسف قـــد أتلفته الارضة فلم تتسلسل أوراقه وقد ذهب أكثها وبين الاوراق السالمة من العث والضياع ورقة مرقمة بعدد الف ومائتين وليست هى الصفحة الأخيرة ومن هذه الاوراق ما تلف بعضه وسلم البعض الآخر ففقد الارتباط ولو ساعدنا الحظ بالكتاب كاملاً لاستجلينا منه صفحات مشرقة من تاريخ الحلة الوضيىء ورغم ذلك فأننا استفدنا من هذا الكتاب بعض المعلومات الثمينة فى استجلاء ما انبهم علينا من القضايا الغامضة وقد أخذنا صورة زنكغرافية لصورة الغلاف لتخليد نوع خطه كما توفقنا لتخليد ذكراه العاطرة أسكنه الله فسيح جنانه •

نشر الخزامى


كتاب
نشر الخزامى في تراجم
أصحابنا الفدامى
للمؤلف
ناصر بن سعيد محمد الحسيني

صورة الصفحة الاولى من كتاب نشر الخزامى

ملاحظة وتنبيه :

عند مراجعتنا لمصادر هذا الكتاب وجدنا أن بعض من أردنا ترجمتهم قد ولد في أعقاب قرن ، وتوفي في بداية القرن الذي يليه ، فمثل هذا لا يمكننا اعتباره من أهل هذين القرنين معا فهو اما أن يكون من أهل القرن الذي ولد فيه أو القرن الذي توفي فيه ولذلك تهرّب بعضهم في ترجمته لشعراء الحلة فاعتبر تنسيق كتابه حسب ترتيب الحروف الهجائية فكان نشازا فبينما انت تقرأ ترجمة جعفر المحقق الحلي من مواليد سنة ٦٠٢ هـ واذا بك تطفر عبر القرون لتقرأ ترجمة السيد جعفر الحلي من مواليد سنة ١٢٧٧ هـ فتضيع عليك من أجل تلك الطفرة خصائص ذلك العصر وموجات التطور كما ان بعضهم راعى القرون وهذا أسلم الطرق كصاحب البابليات ولكنه لم يلتزم بخطته هذه فصدرت منه هفوات ـ والانسان معرض للخطأ ما دام دون العصمة ـ كهفوته في اعتبار (شميم الحلي) مثلا من أهل القرن السادس الهجري بينما هو من أهل القرن السابع لأنه توفي سنة ٦٠١ هـ وسها ايضا في تاريخ ابي الحسن السكوني وأبو النجم الضرير والشيباني وعبد الرسول الطريحي وسليمان الكبير المزيدي وغيرهم • اما انا فارتأيت اقتفاء أثر الذين اعتبروا القرون فجعلت الوفاة طريقتي في تبويب تراجم هذا الكتاب وقد جعلت مجموعة كل عصر مرتبة على الحروف الهجائية • متوخيا من القراء الكرام اسدال ثوب الاغضاء عما فيه من هنات فما قصدت الا خيرا والله من وراء القصد •

المؤلف

ـ ١ ـ الحائك

سنة ٣٣٤ هـ

هو أبو رقية ، الحسن بن أحمد بن يعقوب من ذرية ابن الدمينة ورد ص ٩٤ ج٢ من كتاب « الاعلام » لعبد الصاحب الدجيلي عند ترجمته أزاء

رقم [١] ما يلي : (لم يكن أبوه حائكا ، ولا في أصله حائك وانما هو لقب لمن يشتهر بقول الشعر وكان من أجداده سليمان بن عمرو المعروف بابن الدمينة شاعرا فسمي حائكا ، لحوكه الشعر ، وقد صرح بذلك القطيفى فى انباء الرواة وهو غير ما ارتآه الاب انستاس الكرملي فى ترجمته بالجزء الثامن من الاكليل اذ قال :

ـ ان الذين ذكروه باسم الحائك أرادوا تحقيره لأن الاقدمين كانوا يحقّرون الصنائع . وهو رأي لم يستند على أصل . انتهى .

والحق كما يبدو لي لم يكن بجانب الدجيلي صاحب هذا التعليق ولا بجانب الكرملي المعترض عليه ، فأما قول الدجيلي انه سمي حائكا لحوكه الشعر موافقا بذلك رأى القطيفى فهذا القول لا يعضده دليل لانه اذا صح فهو حينئذ من باب المجاز وهو خلاف الحقيقة التى هى الاصل فى الاستعمال واستعمال اللفظ مجازا يحتاج بالضرورة الى قرينة مانعة عن ارادة المعنى الحقيقى المتبادر الى الذهن عند الاطلاق وهذه غير موجودة وعدم الدليل ، دليل العدم فأصل كلمة ـ حائك ـ وضعت فى الاصل لمن يحوك النسيج فاستعمالها فيمن يحوك الشعر يحتاج الى دليل فأين هو ؟ والغريب ادعاؤه أن لفظ ـ حائك ـ لقب لمن يقول الشعر فهل المتنبى والمهيار وابو تمام والفرزدق والاخطل وابن الرومى والمعرى ومئات أمثال هؤلاء اشتهروا بلقب حائك ؟ ولا شك ان هذا العذر البارد يريد به قائله دفع المعرّة عن هذا الشاعر ، ولو فكرنا بانصاف لما وجدنا بالحياكة عابا حتى يضطر أحدهم الى مثل هذا التعسف بالتأويلات البعيدة المتكلّفة فالبحث فى أجداد هذا الرجل بغية العثور على من تسمى منهم بلقب الحائك فيجد ضالته فى أحدهم ويسمى سليمان بن عمرو ويعلله بأنه كان يحوك الشعر كل ذلك نوع من التعسف لا مبرر له .. فسواء كان الرجل حائكا للشعر بكسر الشين أو حائكا للشعر

بفتح الشين لم يكن ذلك مما تنقص به قيمة الشخص الاجتماعية ولعل صاحب هذه الترجمة كان أول أمره حائكا لأن مثل هذا اللقب لا يأتي جزافا فقد اشتهر به ـ الحسن بن احمد ـ دون أبيه ولو كان لقبا لأبيه أو لجده لكان من الاجدر أن يلقب ـ بابن الحائك ـ لا الحائك والفرق بين اللقبين ظاهر ولذلك لم يلقب أبوه ـ احمد بن يعقوب الهمدانى ـ بلقب الحائك ولو كان لقبا لجده لورث أبوه حصته من ميراث هذا اللقب ، هذا أولا ٠ وأما ثانيا فأن رده على انستاس الكرملي بأن ارادة التحقير رأي لم يستند على دليل فهذه هفوة أخرى قد تكون أشد شناعة فالحياكة من المهن المكروهة شرعا ولذلك نجد فى كتاب نهج البلاغة لامير المؤمنين ـ ع ـ تعبيراً لابن الاشعث بقوله بأنه ـ حائك وابن حائك ـ فهل مؤلف الاعلام يريد دليلا أقوى من هذا الدليل ؟٠

لقد سبق وان قلنا ان الحياكة ليس فيها أية معرَّة بذاتها فهى من المهن الشريفة وتعلمها واجب كفائى فى الشرع الشريف وانما لحقتها الكراهة عرضا نتيجة امور اذا أمكن انتفاؤها انتفت الكراهة من جملة هذه الامور عادة الحائك الانزوائية فهو يعيش فى عزلة عن المجتمع فلا يكاد يعرف ما يتجاوز حدود بيته والسوق كما أن طول مكثه بين الصبيان والنساء يجعله قليل الاطلاع على الاوضاع الاجتماعية ويسبب له الضجر والملل فتسوء اخلاقه لعمله المزعج الرتيب والمعروف عنه كثرة أكاذيبه وايمانه الباطلة وغير ذلك وهذه الامور هى التى سببت كراهة الحياكة والا فالتاريخ يحتفظ بمجموعة كبيرة من ـ الحيكة ـ الأفاضل ويكفى الحياكة فضلا ان ادريس النبى ـ ع ـ أول من نسج الثياب وخاطها ولبسها فهو أول مخترع لهذه المهنة شأنها شأن ـ السينمات فحرمة السينما انما كانت بسبب الافلام الخليعة والروايات الحقيرة واجتماع الجنسين بصورة تتنافى والاداب الشرعية فلو كانت السينما محتشمة وتهدف الى مغازى سامية نافعة لما كان لتحريمها

وجـه معقول • فلا يمكن الاستغناء عن الحياكة حتى يمكن الاستغناء عن الملبوس فالكراهة للحائك عند التحقيق لا للحياكة نفسها ومع اسوأ الاحتمالات اذا سلمنا بكراهيتها لنفسها فكل مكروه جائز ويبقى التفاضل بينها وبين المهن والصناعات الاخرى وفي ذلك مجال واسع للتفاضل بمقدار التفاوت في نفعها وشرفها لأن الصنائع لم تكن في صعيد واحد •

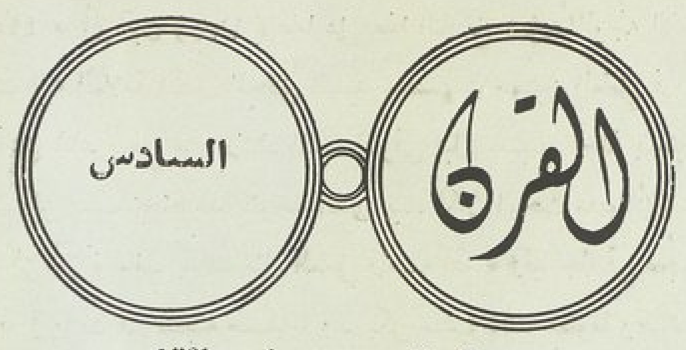
اما خطأ انستاس الكرملي فزعمه أن الاقدمين يحقرّون الصنائع ولاشك ان هذا الزعم من اختراع مخيلة الاستاذ فالصنائع محترمـة اللهم الا بعض الصنائع الحقيرة بطبيعتها كمسح الاحـذية ونزاحة المراحيض ، والا فهل جعلوا الصيرفة والصياغة والتجارة والبناء والهندسة والزراعة وأمثال ذلك من الصنائع التي كان الاقدمون يحتقرونها ؟ ولأمير المؤمنين ـ ع ـ قوله :

لنقل الصخر من قلل الجبال — أحبّ اليّ من منن الرجـال
يقول الناس لي في الكسب عار — فقلـت العـار في ذل السـؤال

ولا شك ان المراد بالكسب بعضه لأن الناس الذين يقولون ان الكسب عار ، هم أنفسهم كانوا أهل كسب •

ان الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني صاحب هذه الترجمة حسبما تشير اليه مجموعة جدنا العـلامة المجتهد السيد فاضل قدس سره المسماة ـ نشر الخزامى ـ (كان يكنّى بأبي رقيـّة الحسن بن أحمد بن يعقـوب الهمداني الحلي) وجاء فيما بقي من ترجمته ما يلي : (كان المومى اليـه شاعرا ماهرا ، وهجاء فحاشا ، لا يعف لسانه عن قذف المحصنات ، ولا يكل ناظره عن رؤية الهنات يعرف من الفقه طرَفا ومن الاداب طُرَفا وشيئا من الاصول ، وفي ميدان النحو يصول ويجول ، فهو أبو عذرته وفارس حلبتـه ولكنه مع ظرافته وأريحيته لم يكن الأنصاف من شيمته وقد سجن حتى مات سنة ٣٣٤ هـ في السجن لأتهامـه بهجـو النبي صلى الله عليه وعلى عترته) ولابد أن يكون هنالك سهو واشتباه اما بتلقيبه بالحلي أو في تاريخ وفاته أو انّ لقبه بالحلي ليس للحلة الفيحاء أو انه للحلة قبل عمرانها فأنها تمصّرت

سنة ٤٩٥ هـ أي قبل (١٦١) عاما على هذا التاريخ ويؤيد الوجه الاخير ما ذهب اليه العلامة الكبير المحقق السيد محسن الامين العاملي في أعيانه بحثه عن شاعر حلي من ارشاد المفيد المتوفى قبل تأسيس الحلة بثمانين عاما فلو لم يكن سبب بحثه هذا الوجه الذى بيناه لكان البحث سهوا بل عبثا ولا يمكن أن يوصف بذلك مثل العاملي رحمه الله • وقد جاء في مجموعة الجد انه [مات في سجنه مسموما ولم يكن سبب ذلك معلوما وقد تناقضت فيه الأقوال وكثر القيل والقال عامله الله بما يستحق فهو علام الغيوب والمطلع على سر القلوب] وهذا دليل على التوقف عن الطعن به لمجهولية حاله وقد حدثني بعض شيوخ الادب عن شخصيته الغامضة بعنوان ابن الحائك ونفى كونه حليا ولم يأت بدليل •



٢ ـ جمال الدين بن ابى القاسم

سنة ٥٣١ هـ

هو السيد الجليل السيد جمال الدين بن ابى القاسم عبد الله بن علي بن ابي المحاسن زهرة الحسينى الحلى ابن أخ السيد ابى المكارم صاحب الغنية • ولد سنة ٥٣١ كما أرخوه فى (نظام الاقوال) ويروي عنه ولده السيد محيىالدين أبو حامد محمد بن عبدالله من مشائخ المحقق الحلي وابن طاوس وغيرهما له كتاب التجريد فى الفقه وقد اقتبسنا ترجمته هذه بتصرف من كتاب الذريعة للمحقق البحاثة الشيخ اغا بزرك حفظه الله •

٣ ـ الحسين بن عقيل

سنة ٥٥٧ هـ

الحسين بن عقيل بن سنان الخفاجى الاصولي الحلي ، عالم متبحر ، ومؤلف مبدع وكاتب مترسل وأديب لامع ، كان من البارزين بين مفكرى المسلمين وأشحذهم رأيا وأحدّهم ذكاء وفطنة • ويستفاد مما ورد فى كتاب « أعيان الشيعة » للمرحوم السيد محسن الامين العاملي جزمه بأن المراد من نسبة ـ اصولي ـ انه العارف بعلم أصول الفقه ، وعندى انه كما يجوز هذا الاحتمال يجوز ايضا أن تكون هذه النسبة الى الفرقة الاصولية فى مقابلة الفرق الاخرى كالاخبارية والشيخية مثلا وحينئذ يستوي فى هذه النسبة

العالم الحبر والعامي الجاهل وذهاب السيد الى ما ذهب اليه ترجيح بلا مرجح بل المرجح في خلاف ما ذهب اليه نستفيد ذلك من قول الذهبي في استطراد صفات المترجم ـ الخفاجي الحلي : المعدل الاصولي الشيعي ـ فقرينه الاصولي الشيعي تؤيد ما ذهبنا اليه ولو قال مثلا : الاصولي العروضي النحوي لجاز احتمال السيد الذي قال (الظاهر انه عم عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشيعي الشاعر المشهور الرائي للحسين عليه السلام سنة ٤٦٦ هـ) الخ ..

ولسنا نرتاب في علم صاحب الترجمة ولا في تضلعه في علم الاصول وانما نخالف صاحب ـ أعيان الشيعة ـ في المراد من كلمة ـ الاصولي ـ هل انه من الفرقة الاصولية أو انه العالم بعلم الاصول ؟. وقد قال فيه صاحب كتاب الميزان انه (من رؤوس الشيعة صنّف في مذهبهم كتابا سماه ـ المنجي من الظلال في الحرام والحلال ـ في عشرين مجلدا ذكر فيه الخلاف وأوسع وقد دلّ على تبحره مات سنة ٥٥٧ هـ) الخ ..

فهو اذن ممن شاهد تأسيس الحلة ومن أول وجبة وفدت اليها وقطنتها وأول من خدمها بعلمه وتآليفه . وان مصنفاته لأول النوافذ التي شع منها نور العلم والمعرفة على ربوع الحلة فليس من العجب العاجب أن نضع اسمه الكريم في رأس قائمة علماء الحلة الافاضل الذين أسدوا أجلّ الخدمات اليها. ووضعوا اللبنة الاولى في أساس مجدها وخلودها وشادوا لها بناء العز والكرامة فأن كان هنالك جانب للحيف والتجني ففي عدم وصول رسالة أماجدنا الاوائل الينا كاملة غير منقوصة فقد ضاعت منها فصول مشرقة لم يحافظ على كنوزها الخلف ولو كانوا أعمق فهماً لقيم هذه الرسالة لما ذهب أكثر فصولها في مدرجة الضياع وقام مقامها هذا التأخر والانحسار .

٤ ـ الجامعاني

لعل أصل نسبته هذه الى محلة الجامعين التي كانت باسمها تعرف الحلة

منذ أول تأسيسها لوجود جامع مقام الامام الصادق ـ ع ـ وجامع عبدالعزيز من اصحاب امير المؤمنين ـ ع ـ المجروح فی صفين والمستشهد فی الحــلة وقبره لا زال قائما في ـ باب المشهد ـ وقد وفق الله حسان مرجان من أبرز وجهاء الحلة في تجديد مرقده الشريف . والنسبة الى ـ الجامعين ـ جامعانى وقد يكون أصل هذه النسبة غير ذلك ولكن الظاهر هـــو ما ذهبنا اليــه و ـ الجامعاني ـ صاحب هذه الترجمة هـو الشيخ الجليل جلال الدين ابو الحسن علي بن شَعْرَة الحلي الجامعاني قال فيـــه صاحب كتاب ـ رياض العلماء ـ ما يلي :

« كان من أجلّة فقهاء أصحابنا المتأخرين[1] ويروي عن ابن‌شهراشوب المتوفى سنة ٥٨٨هـ وقد أجازه وجـاء في اجـازته « استخرت الله تعـــالى وأجزت للشيخ الأجل الفقيه جمال الدين شمس الفقهاء ابی الحسن علي بن جعفر بن شَعرة الحلى الجامعاني وفقه‌الله تعالى للخيرات بجميع ما كتبنا من كتب المشائخ رضى الله عنهـــم وبجميـــع مسموعاتي وقراءاتي ومصنفاتي وأشعاری وكلما يصح عنده من كتب مشائخنا التي ما جرى ذكرها على‌شرط الاجازة ، كتب ذلك محمد بن علي بن شهرا شوب المازندراني بخطـه فی منتصف جمادی الآخرة سنة ٥٨١ هـ » أی قبل وفاته بسبع سنين .

٥ ـ عبد المطلب باد شاه

فقيه نبيه حسيني المحتد حويزى الاصل حلي النشأة والمولد ، شريف من شرفاء الحلة والحلة من أشرف المدن كان مثلا رائعا من أمثلة الرجـــولة والبطولة حلو الشمائل لين العريكة فصيح اللسان قوى الحجة مهذب الطبـع

---

(١) لا أعرف كيف جعله من المتأخرين وهـــو من رجالات القــرن السادس ؟ ـ المؤلف ـ

رقيق الاخلاق متين العقيدة حلو السجايا مر الحفيظة رضي النفس هـادىء الطبع • ورجل هذه صفاته وتلك مزاياه لابد أن يكون محببا للنفوس قريبا من القلوب ، وكذلك كان صاحب الترجمة فقد عاش موضع تقدير عارفيه مكفيّ مؤونة العيش فساعده ذلك على التأليف والتصنيف وقد كانت له مصنفات مفيدة وتآليف لها قيمتها وروعتها •

لقبه ناصر الدين ، وكنيته أبو الكمال ، واسمه عبد المطلب قال فيه صاحب كتاب ـ أمل الآمل ـ [هو صاحب التصانيف السائرة ، فاضل عظيم الشأن ، يروي عن ابن معيّة ، وباد شاه كلمة فارسية بمعنى السلطان] ولعل هذا اللقب لحقه لكونه سلطانا مجازا للعلم والاحكام كما تلقب العلامة الحلي (بصاحب الجلالة) وهذه الالقاب المجازية متعارفة بدون شروط ولا قيود فكيف اذا كان استعمالها فيه بعض المسوغات ؟

اما تصانيفه السائرة فيقال انها كثيرة ولكنني لم أعثر على شيء منها •

٦ ـ البندهى الحلي

الهيئة الاجتماعية كالجسم الانساني فقد تعتوره الامراض فتقعده عن العمل ، وقد تصيبه بتشويه ، وقد تعطل منه حاسة ، وربما يباغته المرض فيضعفه الى حين ثم يتماثل الى الشفاء حتى يعود الى حالته الطبيعية • والحلة تمثل في شتى أدوارها مجموعة كبيرة من هذه الهيئة الاجتماعية قد تعرضت في بعض أدوارها الى انتكاسات كثيرة كالتي أصابتها في أخريات القرن الثاني عشر وصدر القرن الذي يليه بعد نشاطها الثقافي الباهر الذي يبتدىء بالقرن السادس الهجري عصر صاحب هذه الترجمة وهو العصر الذي انطوت فيه غطرسة السلاجقة وتحكماتهم بالدولة العباسية فنالت فيه دولة العباسيين الحرية وتنفست الصعداء وتحطمت أصنام بني سلجوق امام قوة العهد العباسي الجديد ، والتحول الهائل من الذل والاستكانة الى العز في خطوات بارعة

سريعة تخلصت فيهـا الدولة المغلوبة من نير العبودية وسطوة أمـة أسكرها الغرور والترف فأتى بعض المصلحين من خلفـاء العباسيين على بنيانهـا من القواعد فأصيبت بانتكاسة كان من نتائجها خروج السلاجقة من البـلاد فى أبشع صورة وكانت فرصة كافية لبنى العباس لتضميد الجراح الاجتماعيـة وترميم الكيان السياسى المنهـار فلا بدع أن يكون استقرار الوضع السياسى متيحا لقادة الفكر وذوى الرأى فرصة صالحة للانتاج العلمي والادبى يتفاعل فى انسجام تام مع تقدم وضع البلد السياسى والاجتماعى ، وهذا بعينه هـو التفسير الصحيح لوفرة الخصب الثقافى فى تلك الفترة المشرقة من الزمـن فنبغ الكثير من النـوابغ كالشيخ فخر الدين علي أبو الحسن محمد البندهى صاحب هذه الترجمة المعروف بالفضل والفضيلة والذى كان مثلا رائعا فى الصلاح والورع والتعفف مع ما يزينه من فقه فقد كان فقيها نحريرا وعلما من أعلام العلم له رسالة غزيرة المادة فى الدلالة استنسخها الشيخ كمال‌الدين عبدالرحمن العتايقي الحـلي المتوفى سنة ٧٧٨ هـ بخطـه ووصف المؤلف بالامام العالم المحقق أفضـل المتأخرين » • ولكن البحث لم يمـط حجابه عن نواحي هذه الشخصية الفذة لنقف على جوانب حياتها الثقافية التى لم تزل طي النسيان ولم نستطع استجلاء هذه الجوانب الغامضة غير ما أمكن البحث من التوصل اليـه وهو غيض من فيض حيث تعذرت معرفتها كاملـة بسبب تلاطم امواج الاضطرابات والفتن والقلاقل التى ألمت بالعراق فكانت السبب الرئيسى فى ضياع مثل هذه الآثار المهمة وطمر تلك الكنوز من تراثنا الغالى بزوايا النسيان وسدت عنا مجارى تلك الينابيع العذبة وردمتها يد الحوادث والخطوب التى تعاقبت عـلى هذا البلد الـكريم • ولـكننا رغم تلك المآسى استطعنا أن نظفر بدرر لامعة فى مسيل تاريخنا المجيد وهى ان لم ترو الغلة فان فيها بعض التعلة ، والوجود الناقص خير من العدم المحض •

٧ ـ السيد ابن عرفة

هو السيد فخر الدين علي ابو الحسن ابن عرفة الحسيني نسبا والحلي وطنا ومولدا من صدور علماء الفيحاء وفطاحل فقهائها واذا تأملنا النهضة الثقافية فى عصر المترجم له بشيء من العمق فلا يعسر علينا أن نلمح آثار المترجم البنّاءة تشرق اشراق الشمس فى انارة سبيل العلم والأدب فى ذلك القرن الذى يعدّ من خيرة القرون التى مرّت على الحلة بخصائصه ومميزاته التى كلها فخر ومجد .

ورد فى كتاب ـ نشر الخزامى ـ فيه ما يلي [وابن عرفة علوي جليل، وبهلول سليل بهاليل ، لقد تمكن من علم الكلام ، فلم يكن لغيره فى اندية العلم كلام ، حتى كان منه على طرف الثمام ، وبلغ من المعالى أوجها فكان لسان الحلة ووجهها ، فهو والمجد فرعا نبعة ، وهو والفضل غصنا دوحة ، فريد زمانه ، وقريع دهره ، ونادرة عصره ، وزهرة فيحائه ، ونظورة اكفائه نال من الفقه أشرفها سنا ، ولم يرض لنفسه من القطوف ما دنا ، وله فى ميدان الشعر جولات ، وأبيات أبيات ، اذا اسمعك قوافيه ظننت الدر قد تناثر من فيه ، فى الفاظ حسان فصاح ، ومعانى ملاح ، كزجاجة فيها مصباح ، فهو للعلم أجوع من ذؤالة ، وللأدب اعطش من ثعالة ، بذّ بفضائله الفضلاء ، وسبحان من علّم آدم الاسماء ، استفاد من تجارب دهره ، فيما ذاقه من من خلّه وخمره ، وحلوه ومره ، فهو زين المجالس وأنيس النوادى ، وبهجة الحواضر والبوادى تلقى اوليات علمه من] ـ ١ وقد وصفه بعض مترجميه بأنه (فاضل صالح يروي عنه ابن معيّة ولعليّ ابن عرفة هذا ولد نجيب هو الشيخ الامين زين الدين جعفر بن علي بن عرفة

---

(١) يؤسفنا أن يعبث العث ببقية هذه الترجمة .

ـ المؤلف ـ

من مشايخ تاج الدين محمد بن السيد جلال‌الدين بن جعفر القاسم الديباجي المتوفى فى الحلة سنة ٧٧٦هـ وهذا الابن الصالح حذا حذوَ أبيه وسلك تلك المحجة البيضاء ، وزسم اتجاها خاصا من الاتجاهات الادبية والعلمية وساعد على تطور الذوق الادبى وخدم الثقافة العامة كما خدمها أبوه من قبل فهو مثله فضلا ونديده علما ولا جرم ، ومن يشابه أبه فما ظلم •

اما الشيء المؤسف حقا فهو التراجم المبتورة او المشوّهة والذى يحز فى النفس اكثر هو ضياع تراجم الكثيرين من حملة مشعل الثقافة ونحن على يقين ان مجموعة ضخمة من هذه التراجم لا زالت فى زوايا البيوت الحلية اساء اهلها الى العلم والثقافة باهمالها وعدم نشرها للاستفادة منها وهذا عقوق ما بعده من عقوق •

٨ ـ محمد ابن الكيّال

٥١٥ ـ ٥٩٧هـ

فى مجموعة الجد ـ نشر الخزامى ـ جاء ما لفظه [ابن الكيّال رجل ليس كالرجال ومفخرة خالدة مدى الاجيال ، ان كان العلم كتابا ، فهو العنوان ، وان كانت للأدب دولة فهو السلطان ، لا يدانيه فى علمه مدانى وشعره كالعقود فى أجياد الغوانى ، يلعب شعره كالراح فى الارواح والعقل ، ويُعرب مبناه ببراعته عن فصل خطاب ووصل ، فتشعبت عيون موارده الشهية ، وتنظمت صحاح عقوده الجوهرية ، أما العلم فهو ابن بجدته والفقه فارس حلبته ، والكلام ابو عذرته ، اقتطف من حدائق العلوم اثمار الفوائد ، واقتنص من‌الافكار شوارد الاوابد ، كأنه الشمس ولكن لا يمسها كسوف أو افول ، والسيف الجراز ولكن لا يشينه ثلم أو فلول ، كل فضل الى نضيلته انتهى ، فهو الجوهر الفرد الذى حيّر النهى ، بغدادى الاصل ، حليّ المولد ، اكتحلت عين الوجود بمولده الميمون المسعود ، عام خمسة

عشر وخمسمائة من الهجرة النبوية الشريفة على مهاجرها وآله الف الصلاة والتحية ، في الحلة السيفية المزيدية ، واختاره الله الى جواره سنة سبع وتسعين وخمسمائة[1] وهو أبو عبدالله محمد بن هرون بن محمد بن كوكب بن ابى سعيد الحلى صاحب التصانيف الشريفة والتآليف المنيفة ، كمختصر التبيان فى تفسير القرآن وكتاب متشابه القرآن وكتاب بصائر السالكين فى اصول الدين (٢) وكتاب قلائد النحور فى اثبات البعث والنشور ، وكتاب درر البحور وقلائد النحور فى الدراية ، وكتاب بساط النشاط فى مواضع الاحتياط ، وكتاب اللحن الخفي واللحن الجلي ، وديوان شعره الكبير ، توفى فى الحلة وفي تربيتها دفن ، ولانت للحِمام قناته وأي شديد للزمان لم يلن ؟]

وانا لم نعثر على زيادة فى كتب التراجم سوى كونه كان المقريء فى حانوت له بالحلة كما وجدتها تنعته تارة بابن الكلل واخرى بابن الكال ولعل سقوط الياء من لفظه (الكال) من بعض سهو النساخ • وجاء فى بعض التراجم ان ديوانه قد رتبه صاحبه على جميع حروف المعجم فى مدح بعض امراء الحلة ونعتت التراجم شعره بكل وصف جميل وقالت عنه انه فى غاية الجودة وقد نسب اليه بعضهم هذين البيتين :ـ

اجعل همومك واحداً ... وتخلَّ عن كل الهموم
فعساك أن تحظى بما ... يغنيك عن طلب العلوم

والبيتان رغم سطحية الفكرة ليسا لصاحب الترجمة وانما هما لسبط ابن التعاويذى المتوفى سنة ٥٨٤ هـ اى قبل ١٣ عاما على وفاة المترجم له وابن التعاويذى من فحول شعراء العراق فى القرن السادس الهجرى وله ديوان مطبوع يتداوله الناس وقد وصفه ابن الجوزى بالاستاذ الكامل •

---

(١) يوجد هنا نحو ستة أسطر أتلفها العث •
(٢) لم يذكرها الشيخ أغا بزرك فى الذريعة •

٩ ـ الفرضي الحلي

الفرضي نسبة للعارف بعلم الفرائض ويراد به علم المواريث من باب اطلاق الجزء وارادة الكل والمترجم له كان من العلماء الاعاظم في هـــذا العلم وعلم الحساب والهندسة والمساحة ، وعلم النجوم والرياضيات وعلم الفلك والميقات واطلاع كامل على علميْ الفقه والاصول ومعرفة عميقة فى علم الكلام وعلم الحـديث والتفسير وهو مع ذلك فارس لامع من فرسان الادب اسمه محمد بن شعيب المعروف بابن الدهان وكنيته ـ أبو شجاع ـ أو أبو شجاع الدين ـ ولقبه ـ برهان الدين ـ بغدادى الاصل حلبى النشأة والسكنى والتحصيل والوفاة ، لقد تعلم الشعر وقرضـه فأحسن قرضـه كان عالما بفنونه عارفا بأسراره مجيدا نظمه ولولعه بالعلوم لم يكن ينسـى فى شعره تضمينها وله من ذلك ما أشار به الى قاعدة فقهية وهى بطـــلان الصوم يوم العيد فقال وأحسن :ـ

نَذَرَ الناسُ يوم برؤك صوماً   غير أني عزمت وحديَ فطرا[١]

عـالماً أنَّ يـوم بـرؤك عيـد   لا أرى صـومـه وان كان نذرا

قال فى أثناء ترجمته صاحب كتاب (انسان العيون فى مشاهير سادس القرون) عن الصورة الفوتغرافية الموجودة بالمكتبة المستنصرية ببغداد تحت رقم ـ ١٩٥ ـ ص ٥١ [أبو شجاع محمد بن علي بن شـعيب أبو شجـاع برهان الدين المعروف بابن الدهان الفرضى الحاسـب البغدادى الاديب ولـد ببغداد وانتقل الى لموصل ، كانت له اليد الطولى فى علم النجوم وحلّ الازياج توفي بالحلة السيفية] ولم يذكر نشأته فى الحلة وقضاءه الشطر الكبير من عمره فى مدارسها ومنتدياتها التى صقلت مواهبه فكان درة فى تاريخ الحلة

(١) ورد : يوم برك ، والأصح ما اخترناه فبرؤك لا برك هو المراد .

من درر القرن السادس الذى كان من أبرز القرون فى تاريخ العرب والاسلام فى الدور العباسى ، الذى هيأ الله له ــ الناصر ــ أحد أبطال العباسيين فكان عصره فاتحة عهد جديد بدّد دياجى الذل والعبودية واستقبلت الخلافة العباسية أشعة التحرر واستعادت أبهتها وسلطتها ولا شك أن الامور التى أفاضت روح الحياة على خلافة بني العباس لم تبخل بافاضة تلك الروح على الشعر وهو من أفضل دلائل حياة الامة فكان صاحب هذه الترجمة من الشعراء الفحول الذين قدّموا أمثلة حية من الشعر العربى الخالد وعسى أن يهيىء الله تعالى بعض الغيارى على تراثنا الاسلامى فيتصدى الى نشر ديوانه فيزين المكتبة العربية بأثر أدبى ثمين ، لقد كانت وفاة هذا الجهبذ بالحلة سنة ٥٩٠هـ وسني وفاته تقابلها ــ نمقت ــ غفر الله له وعامله بلطفه .

١٠ـ ابن ادريس

لم اجد أحدا سبقنى الى تأليف كتاب خاص بفقهاء الحلة او غيرها وكل ما نعرفه ان نجد تراجم الفقهاء بصورة عرضية فى كتب التاريخ ، على أن الفقهاء جديرون باحتلال المكان البارز من التاريخ والعناية بأحوالهم فى كتب خاصة لصلة الفقيه بديننا ودنيانا فلم يكن للمؤرخ المسلم مجال للعذر باهمال هذه الناحية والتقاعس عن افراد البحوث عنهم لتسجيل ثمرات نبوغهم تخليدا لذكرهم مكافأة لتلك المواهب والجهود والثروةالثقافية من جهة ولحث النشىء الصالح على احتذاء نهجهم القويم من جهة ثانية والغريب ان نرى جمهرة المؤرخين قد اغفلوا هذا البحث المثمر وعكفوا على تراجم ادباء العصور وكتابة الفصول المسهبة عن حياتهم وتسجيل أتفه اعمالهم مع أن الادباء يأتون بعد العلماء درجة بالنسبة الى المركز المهم الذى

منحه الله للعلماء ورثة الانبياء الذين منهم صاحب هذه الترجمة الشيخ الفقيه النبيه فخر الدين عبدالله محمد بن أحمد بن ادريس بن الحسين بن القاسم بن عيسى الحلى العجلى نسبة الى عجل بن لجيم قبيلة من بني ربيعة القرس •

ان هذا الشاب الفقيه العلامة الجهبذ قد شاهد أول مواكب النهضة العلمية فى الحلة يغذ السير فكان رحمه الله فى أول القادة ولم يتخلف عن الركب فهو زهرة شذية من أزاهير الحلة لم يسع حتى المتزمنين من رجال القانون والمشتغلين بالحقول الثقافية الا أن يحنوا رؤوسهم اجلالا أمام عبقرية ابن ادريس صاحب السرائر • ولعلك تحسب من طغيان الخيال لو قلنا أنه فلتة من فلتات الدهر قلما سمح بمثلها ، أقول ذلك دون تعصب للحلية التى تجمعنا ولا للعقيدة التى توحدنا ولكن للحق وللحق وحده والحق أحق أن يتبع •

ان لهذا الرجل العظيم الفذ عبقرية طاغية سبقت زمانها بقرون ولمؤلفاته اكبار واجلال ودوي فى محافل دراسة الفقه والاصول فهو من أكابر مجتهدى الشيعة قال فيه العلامة النوري فى مستدركه انه [العالم الجليل المعروف أذعن بعلو مقامه فى العلم والفهم والتحقيق والفقاهة أعاظم الفقهاء فى اجازاتهم وتراجمهم فقال الشهيد محمد بن مكي فى اجازته لابن الخازن الحائرى بن معد وابن نما : مصنفات الشيخ العلامة المحقق حبر العلماء والفقهاء ، فخر الملة والحق والدين أبو عبدالله محمد بن ادريس برد الله مضجعه وشكر سعيه] والحق انه كان كذلك معروفا بالجرأة والكياسة والتحقيق والبحث الحر وهو الذى جرأ الناس على مقام جده لامه شيخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن بن على الطوسى تلميذ الشيخ المفيد وعلم الهدى المرتضى والقمى ولد فى رمضان من سنة ٤٠٨هـ وسكن بغداد ثم هجرها مهاجرا الى النجف الاشرف اتقاء الفتنة التى حدثت بين الطائفتين الاسلاميتين الشيعة والسنة سنة ٤٤٨هـ تلك الفتنة

الرعناء التى ذهبت ضحيتها النفوس البريئة واستُحلت الاعراض والدماء المحرّمة مما أدى الى احتراق كرسيّه الممتاز الذى لا يعطى الا لوحيد عصره يجلس عليه للبحث العلمي والكلام كما التهمت النيران مكتبته الفخمة وداره فى باب الكرخ واستقر فى النجف آمنا من الاغتيال الذى تكرر فى بغداد فنشر العلم والثقافة وانتظمت حلقات التدريس وكثرت تلامذته فصارت النجف مركز هجرة لطلاب العلوم ورواد الثقافة من أكثر الاقطار الاسلامية للانتهال من موارد علمه العذبة حتى توفي فى الغري الأغر ليلة الاثنين ٢٢ محرم الحرام سنة ٤٦٠ هـ ودفن فى داره ، وقبره لا يزال حتى الساعة من المراقد المقدسة التي تزار ويتبرك الناس بها، وبعد فجيعة الناس بوفاته بدأ الفتور يدب فى نفوس طلاب العلم كما يدب الفتور فى نفوس الجنود عند موت القائد الحكيم المغوار فكان هذا الفتور سببا مهما لانتقال المركز العلمى الى الحلة الفيحاء التى كانت مركزا ثانويا للعلم بالنسبة الى النجف الاشرف فى القرن السادس فكانت المركز المهم فى أوائل القرن السابع الهجرى فى عصر المحقق الحلي الذى كان يحضر ندوته العلمية أكثر من اربعمائة مجتهد عدا الذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد ومن المجتهدين أولاد طاووس وبنو المطهّر وبنو سعيد وأبناء نما وآل عوض وآل السيورى وغيرهم من البيوتات العلمية المعروفة التى طبق صيتهم الآفاق واستمرت هذه الحركة العلمية على شدتها حتى القرن العاشر الهجرى ثم فترت الحركة العلمية فى الحلة فعادت ثانية الى النجف الاشرف فى عصر المقدّس الاردبيلي المتوفى سنة ٩٩٣ هـ وبقيت مركز الثقل بالنسبة للحركة الثقافية الاسلامية حتى الآن ولكنها لم تصل للدرجة الممتازة التى كانت قد حصلت عليها أيام أبى جعفر الطوسى جد ابن ادريس لأمه الذى سعى جهده لنشر راية العلم الخفاقة وهو مصنف كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن ذلك الكتاب الجليل الذى بلغ من الجلالة منزلة عظيمة فمكث العلم الدينى فى النجف متحديا من يقول ان العلم عالمى

لا يعرف سدودا ولا حدودا ولكن المترجم له ابن ادريس كان قد تصدى لهذا العالم العظيم بالرد والنقد لا حسدا لمقامه لأنه ليس من أبناء عصره أولا ولأن الذي يشنع عليه هو جده ويعود فخره اليه مما يدل أن السبب ارفع من هذا الظن الأثيم ولكنه لما رأى كثرة تلامذة جده وتسالمهم على قبول رأيه دون محاكمة لشدة شعور هؤلاء التلاميذ بعظمة استاذهم الطوسي فخاف أن يظن ظان ان آراء الطوسي اجماعية وهي ليست كذلك كما حاذر من سوء مغبة الركود العلمي فكانت انتقادات ابن ادريس لجده الطوسي من أهم الاسباب لتموجات التيارات الفكرية ودفع الثقافة الى مرحلة جديدة في طريق التطور الفكري ، فلولا انتقادات ابن ادريس لآراء جده الطوسي لاستمر الركود الفكري طويلا ولو استمر لانطفأت تلك الشعلة الوهاجة ولكن تلك التجريحات والتنديدات القاسية ومخالفة المترجم له لقدماء الاصحاب كانت أكبر مشجع للعلماء على استمرار فتح باب الاجتهاد والمحاكمة العلمية وكانت نتيجة خطته الجريئة أن تعرّض الى انتقادات لاذعة غير منصفة من خصومه الذين استباحوا منه ما استباحه هو من جده وأكثر خصومه وحساده من التشنيع عليه الا أن ذلك النقد اللاذع والتشنيع لم يكن ليفت في عضد ابن ادريس الجريء فتغلب بشجاعته وحكمته على تلك الصعوبات الوقتية مستمرا على نقد جده الطوسي حتى أشبعه توهينا وتجريحا ويكفينا لمعرفة مقدار ما أصاب علماء عصره من داء الجمود ما نقله السيد رضيّ الدين ابن طاووس الحلي في كتابه ــ البهجة ــ ما هذا نصه : [اخبرني جدي الصالح ورّام ابن ابي فراس ، أن سديد الدين محمود الحمصي حدثه أنه لم يبق للأمامية مفتي على التحقيق بل كلهم حاكٍ] الخ .. وعقبّ السيد ابن طاووس على ذلك بقوله : (فقد ظهر الآن أنّ الذي يُفْتى به ويجاب على سبيل ما حُفظ) الخ .. وهذه الجملة اوضحت لك بأمانة ما كان عليه فقهاء ذلك العصر من الجمود والركود وهو ما يصح أن يكون مبرراً لموقف ابن

ادريس الصارم من جده وتلامذته وقد ضحى ابن ادريس بتعريض كرامته العلمية الى النقد الجارح فى سبيل الاستقلال العلمى وتسخيرالطاقات الفكرية الهائلة للبحث فى العلم وهو الميراث الانسانى المتطور الذى من ألد أعدائه الجمود • اما سهام خصومه فلم تكن نافذة الى قلب كرامته وكيـانه العلمى فغايـة ما طعنـه به العلامـة الحلي أنـه ـ شـاب مُترف عفى الله عنـه ـ واكثر المحقق الحلي وسديد الدين الحمصي من الرد على ابن ادريس حتى وصفه الحمصي بأنه ـ مُخلِط لا يُعتمد على تصنيفه ـ قول بلا برهان يثبت به ذلك التخليط المزعوم ويكفي من وهن هذا النقد أخْذُ العلماء بآراء ابن ادريس والاعتماد عليه وكانت تلك الطعون به هى ايضا من بركة فتحه لباب النقد وحمله الناس على ولوجها راضين أو كارهين ولم يكن نقد العلمـاء قبله مستساغا فى عُرف ذلك العصر ولكن جاء ابن ادريس وفتحـــه على مصراعيه ولم يقف ابن ادريس بعد تلك الحملات التى شنها عليه مناوئوه موقف المتخاذل بل هاجمهم بعنف ولقبهم بالمقلّدة ازراء بجمودهم وعـدم حرية البحث العلمى عندهم وقد جاء المنصفون بعده فحاكموا هـذه التهم المتبادلة فحكموا لابن ادريس بالفضل فنقل صاحب روضات الجنات عن كتاب منتهى المقال قوله (محمد ابن ادريس العجلي الحلي كان شيخ الفقهاء بالحلة متقنا فى العلوم كثير التصانيف) ولعل صاحب منتهى المقال نقل هذه العبارة عن كتاب رجال ابن داود الحلي •

والآن سنزيح الستار عن هذه الشخصية الممتازة ليعلم القارىء مدى ما أصابها من اجحاف وتحيـُف فقد اتحف هذا الشاب المترف المكتبة العربية بأثمن الكتب العلمية والفقهية ومنها كتابه الجليل ـ السرائر ـ وهو بمثابة موسوعة فقهية تشهد بطول باع مؤلفها وباجتهاده وفضله ونبوغـه ، ولذلك أثنى عليـه المتأخرون وعلى تصانيفه لتجردهم عن الغرض ولبـُعدهم عن عصر الطوسى ومؤثراته العاطفية التى مصدرها استنكار رد شاب على آراء جده المعـروف

الفضيلة العلمية ولما للطوسى من كرامة الشيخوخة والجهاد والتضحية وقد تخطاها ابن ادريس حتى رتبة القرابة واذا تنازعت الشيخوخة والشباب ، فللشيخوخة المقام الاول من الأجلال والعطف والاحترام اما الآن فقد زالت تلك المؤثرات الوقتية والعوامل العاطفية فأصبحت قضية رده على آراء جده موضع نقاش علمى بحت فكان الانتصار لابن ادريس نتيجة حتمية فلا يمكن لمنصف تجاهل آثاره وآراءه التى احتلت مكانة مكينة من النبوغ واللوذعية ، مع الاعتراف بالقصور عن معرفة شخصيته معرفة تامة من ثنايا مؤلفاته المهمة التى تعجز عن الوقوف بنا على عمق وسعة الفكر الذى منحه الله لهذا الشاب المترف وذلك لأننا لم نقف على كافة تلك المؤلفات الجليلة التى دفعت الفكر خطوات واسعة الى الامام ، وانما وقفنا على بعض أثرها فى تطور الفكر ولو أتيح للباحثين من ذوى الاختصاص الوقوف على تلك المؤلفات لحظوا بنتائج باهرة وأمثلة حية من العبقرية والنبوغ أكثر بكثير من النتائج الماثلة أمامهم الآن أجل ؟ لقد كان ابن ادريس من أجلة فقهاء عصره وأوسعهم فكرا محيطا بنواحى واسعة من الثقافة وكفاه فضلا أن يكون من تلاميذه مثل الشريف نظام الشرف ابو الحسن علي بن ابراهيم العريضي وعن ابن ادريس يروي ابن نما جعفر ومحمد ابن نما والسيد فخار بن معد . اما ابن ادريس فيروي عن خاله الفيلسوف المحقق محمد بن محمد الجهرودى نسبة الى جهرود من أعمال قم فى موضع يسمى وشاره على وزن عبارة وامارة وهذا الفيلسوف هو الملقب بنصير الدين الطوسى ولد بطوس سنة **٥٩٧** هـ وتوفى يوم عيد الغدير المبارك سنة **٦٧٢**هـ ودفن في جوار الامامين الجوادين (ع) وله آثار مهمة كثيرة منها كتاب تجريد الكلام الذى انبرى لشرحه عدة من المجتهدين اولهم تلميذه العلامة الحلي كما لهذا الطوسى كتاب التذكرة النصيرية وكتاب تحرير أصول الهندسة لاقليدس وغيرها ويكفيه فضلا انه هو الذى عمل الرصد العظيم فى مدينة مراغة لضبط حركات الكواكب

ورواية ابن ادريس عن خاله هذا بواسطة ودون واسطـة كما يروي عن جده الطوسي وعن ام امه بنت الشيخ مسعود ورّام وعن عربي بن مسافـر العبادى وابن رطبة السوداوى •

الحملة الظالمة ضد

ابن ادريس

ذكرنا آنفا ان ابن ادريس قد تعرّض الى حملة ظالمـــة ويمكننا أن نلخص أسبابها بثلاثة أمور الاول كونه شابا كان عليه أن يراعي مقام الطوسى لكونه جده ولشيخوخته الصالحة ولخدماته الجليلة التى خـدم بها الاسلام والثقافة ، وثانى هذه الاسباب حسد بعض الناقدين لمقام ابن ادريس الممتاز الذى ناله وهو فى عنفوان شبابه • وثالثها مخالفته لبعض الآراء الفقهيـــة المألوفة كالخلاف فى حجيّة خبر الواحد مع انه لم يكن رأيا خاصا له بل هو من مسائل الخلاف وعلى رأيه السيد المرتضى علم الهدى وابن زهـرة وابن قبة والمسائل الخلافية لا تستوجب الطعن والتشنيع لو لم تجتمع معهـا بقية الاسباب حتى لو افترضناها خطأ فللمجتهد المخطىء حسنة وللمصـيب حسنتان، اما قضية حجية خبر الواحد وقَدْحُها بأنها مبنية على الظن و (ان الظن لا يغني من الحق) شيئا ولقوله تعالى ايضا (ان بعض الظن اثم) فهذا الاحتجاج بارد فمن جملة أدلتنا الاربعة القرآن الكريم وهو ظني الدلالة والحديث وهو ظنّي السند فليس كل الظن عديم الاعتبار وقوله تعالى ان بعض الظن اثم صريح ان بَعْض الظن الآخر ليس اثما وانما مسألة كون الظن لا يغني من الحق شيئا فهو لا يتنـاول خبر الثقـة المعتبر حسب جريان السيرة ومحلّ تفصيل هذا الموضوع الكتب الأصولية فليرجع اليها من يريد زيادة التفصيل•

آثاره العلمية :ـ

انها حقا لآثار جليلة ممتعة أهمها كتاب ـ السرائر ـ فى الفقه ويليه كتاب التعليقات وهو عبارة عن اعتراضات وايرادات على كتاب ـ التبيان فى علوم القرآن ـ لجده الطوسى وهذا الكتاب يقع فى نحو عشرين مجلدا قيل فيه (انه لم يُعمل مثله) ووصفه آية الله بحر العلوم فى فوائده الرجالية بقوله (ان كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن كتاب جليل كبير عديم النظير فى التفاسير) وتعليقات ابن ادريس عليه فيها ايرادات وحواشى مهمة كما تتضمن أجوبة اشكالات واعتراضات على الطوسى .

ولادته ووفاته :

كما يوجد طوسيان وهما جده وخاله فهناك فاضلان يدعى كل منهما بابن ادريس ، فابن ادريس الآخر هو محمد بن ادريس بن مطر الحلي توفي سنة ١٢٤٧ هـ بالطاعون الكاسح وهو نبيه فاضل ولكنه ليس من رجال العلم والفقه عكس صاحب هذه الترجمة فأنه من أجلّة العلماء النابهين ولد سنة ٥٤٣ هـ وتوفي سنة ٥٩٨ هـ كما عليه جملة المؤرخين ومنهم الكفعمي فى كتابه ـ وفيات العلماء ، والسيد الفاضل الصدر فى كتابه تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام الا انه وقع له سهو واشتباه فى تاريخ ولادة ابن ادريس فظنه من مواليد سنة ٥٥٨ هـ راجع ص ٣٠٥ من الكتاب المذكور ، والحقيقة ما ذكرناه لأن السيد الصدر ذكر ، أنّ عمره (٥٥) عاما وأن وفاته كانت سنة ٥٩٨ هـ وعند اجراء عملية طرح سني عمره (٥٥) من سني وفاته البالغة (٥٩٨) فأنّ الباقى تاريخ ولادته وهو ٥٤٣ هـ وليس ٥٥٨ ، وبصورة أخرى نقول : أنّ لدينا نقطتين ثابتتين حسب رواية الصدر وهما عمره البالغ ٥٥ سنة وتاريخ وفاته المضبوطة فى سنة ٥٩٨ عاما فاذا جمعنا عمره مع

تاريخ ولادته لكان الناتج ٦١٣ وهـو مخالف لما أثبته بكتابه (تأسيس الشيعة) فيجب ملاحظة ذلك ويؤيده ما رواه كتاب روضات الجنات من انه (نقل من خط الشهيد قال : قال الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الامامي العجلي بلغت الحلم سنة ٥٥٨ هـ) فحذف ١٥ سنة وهي أعوام البلوغ تكون ولادته سنة ٥٤٣ هـ .

مرقد ابن ادريس :

كانت على ضريح ابن ادريس قبة من آجر وجص متواضعة لم تتناسب وكيانه العلمي بنيت في مدرسته التي تهدم سورها ولم يبق من آثاره شيء وهذا المرقد المقدس يقع على الجهة اليسرى للذاهب الى قرية الطهمازية في بقعة مهملة تحيطها الاوساخ والقاذورات لوقوعها في طرف بلدة الحلة بعيدة عن مراقبة الناس ومحل عنايتهم ولحسن سرائر اصحاب السرائر وفق الله بعض الغيارى على التراث الاسلامي المجيد وعلى سمعة الحلة العلمية والادبية فبذلوا ـ جزاهم الله خير الجزاء جهودهم المشكورة لتسوير المدرسة واقامة جدرانها التي عفى عليها الزمن وصرفوا الوف الدنانير وفي مقدمتهم المحسن الوجيه التاجر ابو محمود الحاج حسان مرجان والتاجر النبيه الشاب الحاج عبد الخالق الياسين والحاج عبد بدير (تصغير بدر) والحاج عباس بيعي وغيرهم مما سنفصله في كتابنا التاريخي (الحلة بين الحاضر والماضي) وان عمل هؤلاء الامجاد لخليق بالاعجاب والثناء وسجله لهم التاريخ بالاكبار والاجلال فجزاهم الله خير جزاء المحسنين .

اما اجازة البناء فقد كانت باسم رئيس الطائفة المجتهد الكبير آية الله المحسن الحكيم ـ سيد محسن الحكيم ـ دام ظله وقد صادف هذا المشروع الخيري العظيم الذي لم يسبق له مثيل في الحلة في هذا العصر ولا في العصر الذي قبله رضا كافة أهالي الحلة وتأييدهم له تأييدا مطلقا الا المرتدين عن

الاسلام من طغمة الفوضى أخزاها الله فى دنياها وأخراها ووفق الله العاملين الى الخير وقد أرخت هذا المشروع الجليل بعدة تواريخ منها قولي :

هذا ابن ادريس لـــه ـــسرائر معطـــره
لقـد هـدى الله كـرا مـاً ليعيـدوا أثـره
شـادوا لـه مسجـده وقبـــة مطهـــره
اولهـم حسان مـر جـان جليـل المأثره
اسرعَ للخير ، ومن يعمـل من الخير يره
للخير راح مسرعـاً ارخ : وتلك مفخرة سنة ١٣٨١هـ

وقلت فى تاريخ منارة مسجد ابن ادريس :

للحـلة الفيحـاء حسينية تفخر فى طـرازها الشرقى
قـد شيدتها معشر للهـدى انّ الهدى من أنبل الخُلق
ببابها منـارة قـد غـدت مضـاءة كالبـدر فى الافق
بمنتهى الاعظـام ارختهـا عالية منارة الحق ١٣٨١ هـ

وقلت ايضا :ـ

النـاس انـواع وأفـ ضلهـا الكرام المحسنونْ
أمثـال حسـان ابن مـر جـان الذى مـلأ العيـون
شـهم أتـى بمآ ثـر تبقى على مـر القـرون
وبنـى مقـاما لابـن اد ريس كأحسـن ما يكـون
لأجهـلَ بالتـاريخ فليتنـافس المتنـافسون ١٣٨١ هـ
بحيـاتهم ارخت : كـل المتقين يخلـدون ١٣٨١ هـ

وقلت ايضا :ـ

حسان بن مرجـان بنى مئذنة ومسجـداً على طـراز راقى
وقبـة الى ابن ادريس الذى بالعـلم كان آيـة الحلاق

الله قـد وفقـه ارخ : له		هذا هو الذكر الجميل الباقى ١٣٨١

وقلت ايضا :ــ

قـد شاد حسان حسينية		تؤيـد الاسلام والحقـا
ما نظـر الدنيـا كأهل الغنى		بالنظـرة الخاطئـة الحمقى
ان أنفق المال بها ارخـوا		فبعدها آثاره تبقى ١٣٨١ هـ

وقلت ايضا :ــ

حسـان مرجـان بنى قبـة		الى ابن ادريس فحاز الثناء
وحولهـا شـاد حسينيـة		تشهد فى رقيّ فنّ البنـاء
فى عمل الخيرات ارخته : اهتمّ جـزاه الله خـير الجزاء ١٣٨١

وقلت ايضا :ــ

قبر ابن ادريس بنتـه معشر		بالصالحـات والتقى مفتتنـة
لذاك فى مسجده قد شيدت		مئذنـة ذات جمـال حسنـة
بمنتهى الثنـاء راح ارخـوا		حسان مرجان اقام المئذنة ١٣٨١

وقلت ايضا :ــ

حسان مرجان فتى قـد سعى		فى نهج أخيـار وأبـرار
الى ابن ادريس بنى مسجـدا		بهمّـة الغضنفر الضـارى
قـد قلت فى تاريخـه : بادئاً		تمّ بتوفيقٍ من البارى ١٣٨١

وقلت أيضا :ــ

احسنْ بهـا منارةً شُيدت		رمـزاً لاسـلام وايمـان
قـد شادهـا حسان رب التقى		فخلـدت احسـان حسـان
ذا واحـد الفضل اتى ارخوا		ذكر جميل لابن مرجان ١٣٨١

وقلت أيضا :ــ

الى الحسينيـة قـد تبرعت		بالمـال قـوم سفل اغمـار
فمـا وفت بمـا بـه تبرعت		ان الوفـاء اهلـه الاحـرار

وجهلاء كثرت اموالهم　　والمال قد يحمله الحمار
عموا عن الرشد فلم ينفع بهم　　ارخت انذار ولا اعذار **١٩٦١**
حتىانبرى حسان مرجان ومن　　يحكيه خُلقا وهمو الابرار
فشيدوها فهى خير أثر　　لهم اذا ما تُذكر الآثار
سفَّ اللئام والى اوج العلا　　ارخنهم حلقت الاخيار **١٣٨١**

وقد انبرى صديقنا الاديب الوفى السيد محمد علي النجار فقال مؤرخا :

قسما بمرقدك المقد　　س يا ابن ادريس المجدّْ
لولا (سرائرك) النقيـ　　ـة لم تكن تبقى مخلد
بالهدم والتخريب كا　　ن ضريحك الزاكى مهدد
حتى انبرى حسان مرجان　　الذى لحماك جدد
ارخت : فى مجهوده　　حسان حاز رضا محمد **١٣٨١**

١١ ـ الشيخ سديد الدين الحمصى الرازي ـ ٦٠٠هـ

الحمصّي علَمٌ من اعلام ائمة علم الاصول وفقيه متبحر من فقهاء أهل البيت ـ ع ـ بلغت الحركة العلمية فى عصره بفضل ابن ادريس ومن وقف بجانبه شأواً بعيداً من القوة والازدهار وفتحت آفاقا بعيدة المدى من النضوج وقدمت الواناً شتى من النشاط الفكرى وساهم المترجم له مرغما او طائعا فى فتح هذه الآفاق الجديدة ومشاركته فى وضع الخطوط الرئيسية لتلك النهضة الثقافية التى كانت من تصميم ابن ادريس فى ثورته العارمة على الجمود والتقليد حتى انه تحدى القول المشهور بالاعتداد بحجية

خبر الواحد حيث كان يشترط فى الخبر أن يكون قطعيّ الصدور ولكن هذا الخلاف بينه وبين القائلين بحُجيّة خبر الواحد لم يكن عن جفاء وقطيعة ومما يدل على ذلك رواية ـ روضات الجنات ـ عن بعض كتبه أن صاحب هذه الترجمة سأله ذات يوم عن معنى ردّ الحبيس وانفاذ المواريث قال محمد ابن ادريس : سألنى شيخنا محمود بن على بن الحسن الحمصّي الرازى رحمه الله عن معنى هذا الحديث وكيف القول فيه فقلت له : الحبيس معناه المُلك المحبوس على بنى آدم من بعضنا على بعض مدة حياة الحابس دون حياة المحبوس عليه ، فاذا مات الحابس فأنّ المُلك المحبوس يكون ميراثا لورثة الحابس وينحلّ حبسه على المحبوس عليه) ـ الى أن قال ـ فأعجبه ذلك ثم أثنى الحمصى على ابن ادريس مما يدل أن النزاع لا يتعدى النزاع العلمى كخصومة المحامين فى المرافعة حتى اذا انتهت عادوا الى ما هم عليه من صفاء واخاء • ولم يكن رأى ابن ادريس منفردا به بل هو رأى جماعة آخرين كالشريف المرتضى وابن زهرة وابن قبة وغيرهم ، وحتى لو انفرد بهذا الرأى فقد انفرد بعض فقهائنا بعدم اعتبار اتحاد الفحل فى نشر الحرمة كما هى مفصلة فى موضوع الرضاع وفى غيرها أيضا •

أصل سديدالدين من مدينة حمص وهى من المدن الشامية تقع على نهـر العاصى ولكنه ولد فى الحلة وبها نشأ وترعرع وفى مدارسها درس وعلى علمائها تخرّج وهى أول أرض مسّ جسمَه أديمُها •

تفقّه على فطاحل العلماء حتى لم يمض طويل مدة الا وهو عَلَمٌ خفاق فى الفقه والاصول والعلوم الشرعية الاخرى اللسانية والعقلية فدرس بالاضافة الى العلوم الدينية علم الحكمة والمنطق والعروض وقرض الشعر فكان درة لامعة فى تاج ادباء الحلة ثم أهلّته علومه أن يكون مرجعاً للفتيا ذا نفوذ روحى

ومركز زعامي ممتاز وقد استقامت له امور الرآسة حتى شهد بفضله وفضيلته محمد ابن ادريس العجلي الذي لقبه بلقب ـ شيخنا ـ وتمدح برضا الحمصي على تفسيره الحديث المذكور آنفاً وتعبير ابن ادريس عنه بلفظ شيخنا كلمة لها معناها فيما يتمتع به الحمصي من مكانة علمية رفيعة الشأن • قال فيه صاحب كتاب ـ اللؤلؤة ـ (كان هذا الشيخ علامة زمانه في الأُصُولَيْن ، ورعاً ، وثقة ، وله تصانيف ، منها التعليق القصير والتعليق الكبير وكتاب المنقذ من التقليد والمرشد الى التوحيد) الخ وقد أثنى عليه جماعة من مؤلفي التراجم منهم صاحب كتاب ـ أمل الآمل ـ وصاحب كتاب روضات الجنات وصاحب كتاب لؤلؤة البحرين ومؤلف أعيان الشيعة وغيرهم وأطروا تصانيفه غاية الاطراء وامتدحوا جهوده العلمية وانتاجاته القيمة وهي ثروة ثقافية ضخمة اجبرت حتى حساده أن يشيدوا بمركزه الاجتماعي المتفوق المرموق ، فالرجل كان بجدارة تامة من مشاهير فقهاء الشيعة وهو استاذ فخر الدين الرازي صاحب التفسير ومن أكابر المحدثين في القرن السادس الهجري ، ولصاحب الترجمة كتب قيمة منها ثلاثة كتب في علم الكلام كلها في مبحث الامامة ، مسهب ، وموجز ، وبين بين ، وله التعليق العراقي الكبير في علم الكلام الفه سنة **٥٨١** هـ وكتاب التبيين والتنقيح في التحسين والتقبيح، وكتاب بداية الهداية وكتاب المصادر في اصول الفقه وكتاب نقض الموجز للنجيب أبي المكارم •

يروي الشهيد الثاني عن تلامذته عنه وفيه قال الحر العاملي (ومن شعره ما وجدته بخط الشهيد الثاني للشيخ سديد الدين الحمصي وهو يسلك فيه طريق أهل العرفان :ـ

قد كنتُ أبكي وداري منك دانية ... فحق لي ذاك ان شطَّت بيَ الدارُ
أبكي لذكرك سراً ثم أعلنه ... فلي بكاءان ، اعلانٌ واسرار

انتهى ما قاله العاملي ، وقد استفاد من الحمصي كثير من طلابه وتلامذته

يأتى فى مقدمتهم الشيخ العابد الزاهد الشيخ ورام ابن أبى فراس ، ومنتجب الدين الذى حضر درسه سنة ٥٨٣هـ وسمع أكثر كتبه التى نوّه عنها فى (فهرسه) وكان من طلابه النجباء اللامعين وقد اختار الله لقاء سديدالدين فى سنة ٦٠٠هـ بعد كفاح مرير لأجل العلم والفضيلة ٠

١٢ ـ الشيخ ابن حُميدة

٤٨٦ ـ ٥٥٠هـ

حُميدة ، على وزن قتية بضم الحاء المهملة وفتح الميم ، تصغير حَميدة وهو أبو عبيد الله محمد بن علي بن أحمد الحلي النحوي كان معاصرا للحسين بن عقيل الخفاجى ومشاركا له فى العلوم ومُزاولا له فى الأدب وهو من الرعيل الأول الذى دشّنَ عمارة الحلة أول تأسيسها فكان وردة شذيّة من باقاتها العطرة تنفح بأريج العلم والأدب ، قال الحافظ السيوطى فى كتابه طبقات النحاة (قال ياقوت : كانت له أي لأبن حميدة معرفة جيدة بالنحو واللغة وقرأ على ابن الخشاب ولازمه حتى برع وصنّف كتبا كثيرة منها شرح أبيات الجمل لأبى بكر بن السراج وشرح اللمع لأبن جني وشرح المقامات للحريرى وكتاب فى الصرف والروضة فى النحو والأدوات ، والفرق بين الضاد والظاء ، مولده سنة ٤٨٦هـ ومات سنة ٥٥٠هـ ٠ أنشدنى محمد بن علي ابن حُميدة الحلّي لنفسه :ـ

سلام على تلك المعاهد والربى ... وأهلا بأرباب القباب ومرحبا
وسقياً لربات الحجال وأهلها ... ورُعياً لارباب الخدور بيثربا
أحنّ لتياك الجمال وان غدت ... ربائبها تبدى اليّ التجنّبا
وأصبو لربع العامريّة كلما ... تذكرتُ من جرعائها ليَ ملعبا
فلا همّ الا دون هميَ غُدوة ... اذا جرت النكباء أو هبّت الصبا

وقد اورد السيوطى البيت الثالث فى كتابه بغية الوعاة هكذا :ـ

أحن لذيّاك الجمال وان غدا　　ربائبه عن روضتيّ مُجنّبا

كما أرى من الأصوب أن يقول ـ ورعياً لربات الخُدور بدلاً عن أرباب الخدور رعاية للتأنيث • والذى يظهر لي ان هذا الشعر من أول نظمه فتعبيره جيد ينمّ عن معانى سطحية التفكير فامتزاج لفظه الجيد بمعانيه غير العميقة أشبه بامتزاج أشعة الفجر في ظلمة آخر الليل ، والذى نسمعه انه من فحول الشعراء ولذلك حكمنا ان هذا الشعر من أول قوله الشعر ولعل شعره الجيد قد عثت به يد الدهر كما تعبث العاصفة بثمر النخيل فيتساقط الرطب الجَني ويبقى الحشف •

١٣ ـ شرف الكتّاب ابن جيا ـ ٥٧٩هـ

هو محمد بن أحمد بن حمزة بن جيا أبو الفرج من علماء القرن السادس الهجرى ، نشأ وتعلّم في الحلة ، فكان نحويا لغويا كاتبا أديبا محدّثا فقيها ، ذهب الى بغداد واستفاد من علمائها فقد حدّثنا عنه ياقوت الحموى فى ارشاد الاريب فقال (هو محمد بن أحمد بن حمزة بن جيا أبو الفرج من أهل الحلة المزيدية يلقب شرف الكتاب كان نحويا لغويا فطنا شاعرا مترسلا ورسائله مدوّنة ، قدم بغداد فقرأ على أبى السعادات هبة الله بن الشجرى النحوى وأخذ عنه ثم أخذ بعده عن أبى محمد بن الخشاب وسمع الحديث على القاضى أبى جعفر عبدالواحد بن أحمد الثقفى ، وأصله ومولده من مطير آباد قرية على النيل بجوار الحلة وصحب ابن هبيرة الوزير وله رسائل مدوّنة قد عملها أجوبة لرسائل أبى محمد القاسم ابن الحريرى • حدثنى أبو علي القيلوي قال : أنا رأيته ومات فى سنة ٥٧٩ هـ وقد نيف على الثمانين • أنشدنى ابن الدبيثي قال : انشدنى أبو الثناء محمود بن عبدالله بن المفرج الحليّ قال : أنشدنى شرف الكتاب أبو الفرج محمد بن أحمد ابن جيا لنفسه :ـ

حتام اجرى فى ميادين الهوى لا سـابق أبداً ولا مسبوقُ
ما هزّني طرب الى أرض الحمى الا تعـرّض أجـرع وعقيـق
شوقى بأطراف البـلاد مفرّق نحوي شتيت الشمل منه فريق
ومدامع كفلت بعـارض مزنة لمعتْ لها بينَ الضلوع بروق
فكـأن جفني بالدموع موكّل وكأنّ قلبي للجـوى مخلوق
قدم الزمانُ فصار شوقى عادة فليتركنّ دلالـه المعشـوق
قدكان فى الهجران ما يزع الهوى لو يستفيق من الغـرام مشوق
لـكنني ءابى لعهدى أن يُرى بعـد الصفاء ووِرده مطروق
ان عـادتِ الايام لي بطويلعٍ أو ضمّني والنازحـين طريق
لأبهنّ عـلى الغـرام بزفرتي ولتطربنّ بمـا أبثّ النـوق

حدثنى ابو العلي القيلوي قال : سمعتُ شرف الكتاب يحدّث انه كان يوما فى مجلس الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فجـاء فراش من دار الخلافة وحدّثه بمحضرى شيئا كان يحب كتمانه عن كل أحد . قال واتفق خروج الفراش وقد اجتمع عنده الناس فشغل بهم وقمتُ أنا وخرجت فما وصلت باب العامة حتى جائنى من ردّني الى حضرته فلما وقفت بين يديه قلت : أحسنَ الله الى مولانا الوزير ـ بيت الحماسة ـ فقال : نعم امض بارك الله فيك ، وخرجتُ من عنده ولم يفهم أحد شيئاً مما جرى وانمـا أردت قول شاعر الحماسة :

وفتيان صدق لستَ مُطلعَ بعضهم على سرّ بعض غير أنيّ جماعها

انتهى مقتبساً من بابليـات اليعقوبى الذى اقتبسه بدوره مـن كتاب ارشاد الأريب من معجم ياقوت وهذه القصة تدلك على شدة ذكاء صاحب الترجمة فى ايراد غرضه بطريقة لم تدع طريقا لحاضري المجلس الى معرفتها كما تدل على ذكاء الوزير فى فهمه غرض الشاعر باشارة غير واضحـة ، وابن جيا شاعر لامع معروف قد أتقن أدوات الشعر من نحو ولغة وتاريخ ولـه

بصيرة تامة بالصرف والنحو والعلوم الثلاثة واستفاد من استاذه أبي الكرم عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد الشهير بابن الخشاب من علماء بغداد الذى أفرط الاصبهاني في الثناء عليه في (خريدته) المتوفي سنة ٥٠٥هـ بعد أن لمس استاذه ابن الخشاب فيه من الجدارة والقابلية في تقبل ذهنه الوقاد الى دروسه في العلوم العربية حتى أصبح صاحب الترجمة علما من أعلام هذه العلوم .

ونسبته الى ـ جيا ـ قد يكون أصلها (جيان) وهي من كبريات مدن الاندلس كما هي اسم الى قرية بأعمال الري تعرف في ـ جيان ـ أيضا وذكر ياقوت في معجمه انها قرية في أرض بابل قرب حلة بني مزيد منها كان أبو الفتح بن جيا الكاتب الشاعر الخ وهذا هو الاقرب الى الصواب والله أعلم .

١٤ ـ أبو سعيد ابن حمدان ـ ٥٦١هـ

كنيته أبو سعيد واسمه محمد بن علي بن عبدالله بن أحمد بن جابر بن أحمد بن أحمد ابن أبي الهيجاء أو ـ ابن الهيجاء ـ بن حمدان الحلّي من معاصري شرف الدين أبي الطيب أحمد بن محمد ابن أبي الوفاء الهزبر المعروف بابن الحلاوي الشاعر المجيد المتوفي بالموصل سنة ٦٥٥هـ بعد أن عاش ٥٣ عاما كان أبو سعيد ابن حمدان من طبقته الممتازة ومن أفاضل رجالات القرن السادس ومن مشاهير نبهائه ، رزقه الله فهما حادا وقريحة وقادة وذهنا نيّرا فاستوعب أبو سعيد شتى ألوان العلم والأدب ، فبرع بالفقه فكان فقيها بارزا واتقن النحو فكان حُجة فيه وانكبّ على اللغة درسا وحفظا وتدريسا فكان من أئمتها الذين يشار اليهم بالبنان ، له مصنفات مهمة منها شرح مقامات الحريري ومن مؤلفاته كتاب الذخيرة لأهل البصيرة ، والبيان لشرح الكلمات ، ومسائل الامتحان ذكر فيه العويص من المشاكل النحوية وغوامضها ، وله كتب اخرى لا تقلّ شأنا عما ذكرناه

من كتبه • وقد ارتأى الاقامة في بلدة ـ اربل ـ في شمال العراق ثم غادرها الى ايران وتوفى في ـ خفتيان ـ قرب ـ اربـل ـ ونُقـل جثمـانـه الى ـ البوازيج ـ ودفن هناك ، وكان قد سمع من محمد بن الحسين البرجي ، وسمع منه أبو المظفر ابن طاهر الخزاعي وفي البابليات أيضا (قال أعني أبا المظفر ، وحدثني في ذي الحجة سنة ست وخمسمائة انه سمع تفسير الكلبي عن ابن عباس علي بن أبي علي القطيعي وقال الصلاح الصفدي نقلا عن ابن النجّار : قدم بغداد صبيا وتفقه على الغزالى وبرع وتميز وقرأ المقامات على الحريري وشرحها ، وكان اماما مناظرا وله كتاب عيون الشعر ، والفرق بين الراء والغين مات سنة احدى وستين وخمسمائة ومن شعره :ـ

دعـاني من ملامكما دعـاني ... فداعي الحب للبلوى دعاني
أجاب له الفؤاد ونوم عيني ... وسارا في الرفاق وودعاني

وله أيضا :ـ

عبـاد الله أقـوام كـرام ... بهم للخلق والدنيا نظامُ
أحبّوا الله ربهموا فكلٌّ ... لـه قلـب كئيب مستهـام
سقاهم ربهم بكؤوس أنس ... فلذَّ لهـم برؤيتـه المقام

وأورد الخاقاني البيت الثاني مغلوطا هكذا (أحب الله ربهموا) الخ وكان عليه أن ينتبه الى كثرة المنبهات كلفظة (عباد الله) و (أقوام) و (وكرام و(بهم) و(ربهموا) و(فكلٌّ) و (سقاهم) و (لهم) فان بعضها يكفى للتنبيه أن صياغة الابيات للجمع وليست للمفرد فلا يصح ايراد (أحبوا) بصيغة المفرد فيقول (أحبَّ) كما توهَّم الخاقاني سامحه الله •

١٥ ـ العبادي الحلّي

أبو محمد عربي بن مسافر العبادي الحلي ذكره التاريخ في اقتضاب فلم نعرف من أحواله سوى شذرات قليلة لا تميط الحجاب الكثيف عن هـذه

الشخصية العلمية الجليلة فنعرف ما قام به من خدمات وما انجزه من تأليف ونطلع على سيرته العطرة ونقف على أسماء أساتذته وتلاميذه ومدى مساهمته في نشر الوعي الثقافي في ربوع الحلة الفيحاء فان بين ذلك وبيننا حجب مظلمة سوى نوافذ قليلة ترسل النور الخافت فتظهر بعض مزايا صاحب هذه الترجمة الجليل فأن 'جل' ما عرفناه عنه اشتات من المعلومات المجملة شأنه في ذلك شأن المئات من علماء الحلة وعباقرتها الذين أسدل عليهم الدهر ستارا سميكا من النسيان • وهذا لا شك من بعض جنايات الأحفاد على الاجداد الذين لم يحفلوا بهذه الثروات الطائلة وأهملوا تلك الكنوز العلمية والادبية فعبثت بها أيدي الغير وذهبت شذر مذر وغاية ما وقفت عليه من سيرة هذا الرجل انه من فطاحل علماء الحلة وانه فقيه جليل ورع صالح قال فيه صاحب كتاب رياض العلماء انه « شيخ جليل كبير معروف من أصحابنا رضي الله عنهم ، يروي عنه ابن ادريس الحلي ونظراؤه ويروي هو – أي المترجم – عن الشيخ محمد بن أبي القاسم علي الطبري عن الشيخ أبي علي ولد الشيخ الطوسي ويروي عنه الشيخ علي بن يحيى الخياط ، وبتوسطه يروي عنه ابن طاووس على ما يظهر من كتاب اليقين ، وكتاب جمال الاسبوع وكليهما لابن طاووس » •

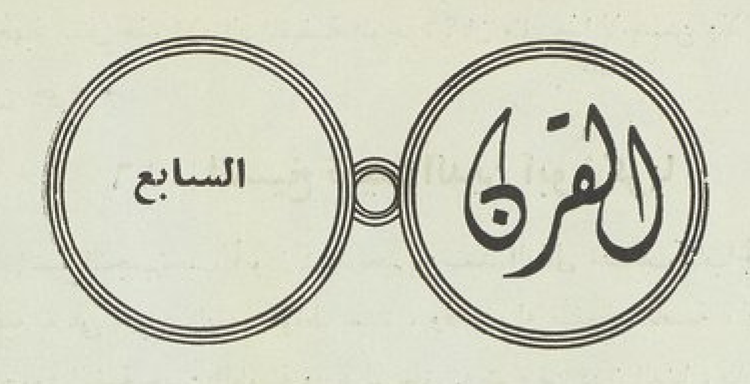
أما صاحب كتاب أمل الآمل فقد حدثنا عنه بايجاز أيضا قائلا « الشيخ عربي بن مسافر العبادي فاضل جليل فقيه عالم يروي عن تلامذة الشيخ أبي علي الطوسي سنة ٥٧٣هـ » •

هذا ما تصدت لبيانه التراجم ونحوه وان معرفة الرجل لتحتاج الى بيان أوضح والا فهذا كذكرهم مثلا للشيخ أبي الفضل بن الحسين الاحدب الحلي بأنه عالم من مشائخ السيد فخار بن معد الموسوي مؤلف كتاب الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب قرأ عليه سنة ٥٩٥هـ فهل يمكننا أن نعرف مثل هذا

الجهد بمثل هذه الاقوال المقتضية الموجزة ؟ ان مثل هذا لا يسمن ولا يغني من جوع •

١٦ ـ الشيخ نجيب الدين أبو زكريا

الشيخ النجيب نجيب أبو زكريا يحيى بن سعيد الهذلي مصنّف كتاب الجامع، فقيه له في حلبات الفقه أشواط بعيدة ، وفاضل له صفحات ناصعة ، وعالم محمود النقيبة حسن الطويّة ورع لم يعلق به شيء من درن الدنيا ، فتاريخه نظيف شريف ، وهو جد المحقق جعفر بن الحسن الحلي ومن الطبقة الاولى من علماء الحلة قد ذكره الشهيد الاول وأثنى عليه في اجازتـه يروى عن عربى بن مسافر العبادي • كما ذكره ابن داود في طرقه ويروي عنه ولده الفاضل الحسن وحفيده المحقق المار ذكره آنفا ، وقد أعقب صاحب الترجمة ولده الحسن فأورثه الذكر الحسن كما ورث منه علمه وورعه وفضله وتقواه، وقد تتلمذ لصاحب الترجمة جماعة من أفاضل علمـاء عصـره ، ويكفي أن يكون بينهم مثل ولده ومحمد الاعرج العلوي الحسيني وأمثالهما من النجوم الطوالع في سماء العلم والفكر • فأبو زكريا اذن ؟ من النخبة الخيّـرة الذين غرسوا شجرة المعرفة وتكفلوا اروائها ولكنما هي جناية الاحفاد الذين لم يقتطفوا من هذه الثمار الشهية وتركوا تلك الشجرة المباركة مهملة فعرّضوها للاعاصير فلم تمهلها حتى اقتلعتها من الجذور •



١٧ ـ الشيخ الشامي الحلي

هو العلامة الورع الجليل جمال الدين أبو شهاب أحمد بن الحسين بن جعفر الشامي محتدا والحلي مولدا ومنشأ ، كان رحمه الله من فقهاء الشيعة ومتبصريهم وذوي المكانة العالية والرأي المسموع عشق العلم فأفنى زهرة شبابه وأطيب أيامه وأحب الادب فلم يفتأ يمارسه حتى ملك ناصيته ، وتولّه بالفلسفة فملك زمامها وجال أشواطا في مضامير الفقه والاصول فكان من أبطالهما وقد عرف اسرارهما وحل عويص مسائلهما ووفق لاكتشاف كنوزهما الثمينة الدفينة وقد وصفه بحق صاحب كتاب ـ رياض العلماء ـ (بالشيخ الفقيه العالم العامل) واذا علمنا أن الاوائل أمثال صاحب رياض العلماء لا يلقون الكلام على عواهنه ولا يحكمون جزافا كما يفعل مع الاسف بعض فقهاء زماننا في كيل الالقاب الجزافية لمن يستحق ولمن لا يستحق حتى ان بعض عوام الحلة وهو ذو تاريخ ملوّث مخزي قذر ومرابي معروف حصل على نعوت لا يحلم بمثلها في الزمن السحيق الا من آتاه الله بسطة في العلم فكان لهذا الاسفاف ردّ فعل سيّء مصحوبا بخيبة أمل كبيرة وقد أشبعنا مثل هذا الموضوع بحثا في جريدتنا ـ التوحيد ـ بالعدد (٢٢) الصادر في ١ ـ آب ـ ١٩٥٩ .

ومما يحز في النفس أن بعض الفضلاء من علماء النجف قرض كتاب ـ الميزان ـ فمنح طالبا لقب العالم فعاتبته فأجاب أقصد : انه عالم بوجود الله تعالى

وبهذا التصرف تشوهت سمعة العلم والعلماء كما قال الشاعر :

ولو أن أهل العلم صانوه ، صانهم ولو عظّموه فى النفوس لعظـّمـا

ولكن الشامى السامى المقام الرفيع القدر حصل على تلك الالقاب بجدارة ولياقة لان زمانه لم يكن قد تدهورت فيه المقاييس الى هذه الدرجة التى قاسينا شرورها وكفاه فضلا أن يمتثل أمره مثل محمد بن مكى العاملى الجزينى مؤلف كتاب اللمعة الدمشقية الشهير بالشهيد الاول فى تأليفه كتاب ـ الدروس ـ الذى ألفه الشهيد الاول سنه ٧٨٠هـ ويُعدّ هذا الكتاب من أهم الكتب وأجلّها قدرا حتى كان محورا لتعليقات العلماء وحواشيهم كتعليقات الشيخ عزالدين الحسن بن الحسين بن مطر الجزائرى الأسدي تلميذ الشيخ أحمد بن فهد المتوفى سنة ٨٤١هـ ، والشيخ عزالدين هذا كما يقول فيه صاحب كتاب رياض العلماء انه (فاضل عالم كامل ، يروي عن ابن فهـد ويروي عنه الشيخ جمال الدين حسن بن عبدالكريم الشهير ـ بالفتال ـ استاذ ابن جمهور الاحسائى) الذى اشتغل فى حقل الثقافة وهو حقل منوّر الحواشى مخضّل الخمائل شذى الرائحة قد أينعت فيه ازهار زاهية من العلم والادب ، ورياحين من الثقافة والفهم .

١٨ ـ أحمد بن الخطاب ٦٠٣ ـ ٦٥٦هـ

هو أبو شهاب أحمد ابن محمد ابن أبى الوفاء ابن الخطاب ابن الزهير، الاديب شرف الدين أبو الطيب ابن الحـلاوي كان من مشاهير شعراء عصره ومن العلماء النابهين أتقن العلوم اللسانية وبرع بالادب ودرس طرَفا من علم الفقه ولكنه كبا جواده فى هذا المضمار ومن ثم كان صيته فى الشعر أبعد مدى حتى لو أننا سجلنا شعره وحفظنا بنات أفكاره لـكنا قـد سجلنا الاعاجيب ، تسرى فيه عَدْوى الملازمة بين الاجادة فى الشعر وبيئة الحلة التى تخلق امثال ابن الخطاب فى ذلك العصر الروحى الراقى قبل أن تطفو

جيفة هذه الحضارة المادية على امواج الحياة البائسة المتكسة ، وقبل أن تغرب عن هذا الافق الصافى الصاحى تلك النجوم المضيئة حيث كانت للفضيلة حرمة ، وللعلم عز ، وللشرف قدر ، وللحياء مكان وللثقافة سبل لا تعرف الحدود والسدود والقيود ، فى مثل ذلك العصر قد ولد صاحب الترجمة فنشأ على ما عليه أخدانه وأترابه من محبة العلم وعشق الكمال والجمال الروحى فى حياة ضاحكة مرحة وكانت اجادته للشعر سببا رئيسيا فى وصوله الى بلاط الخلفاء ودواوين الامراء فمدحهم وحظى بجوائزهم فعاش سعيدا فى رغد من العيش حتى آل به الامر أن يكون من حفدة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومن اقرب المتقربين اليه من بطانته واشتغل فى خدمته مدة كان فيها موضع ثقته وهو بين فترة واخرى يُسمعه من شعره العذب ما يرنّحه طربا ، فيه كثير من صور الجمال فى اطار سحرى من صنع خيال الشاعر الموهوب أضف الى ذلك ما تحلى به ابن الخطاب من ظرافة ورقة طبع وخصال حميدة • وقد عاش هذا الشاعر فى بلهنية عيش ومات وله من العمر (٥٣) عاما وترك من شعره روائع باهرة لولا تجنّي الدهر فى ضياع أمثلة حية كثيرة من شعره المعجب المطرب ، ومن شعره الغزلى هذه الأبيات وفى مطلعها جناس لم يتكلف فيه والشعر من الطويل :

حكاه من الغصن الرطيب وريقُه ... وما الخمر الا وجنتاه وريقه
هلال، ولكن افق قلبي محله ... غزال، ولكن سفح عيني عقيقه
وأسمر يحكي الاسمر اللدن قده ... غدا راشقاً قلب المحب رشيقه
على خده جمر من الحسن مضرم ... يشبّ ولكن فى فؤادي حريقه
أقرّ له من كل حسن جليله ... ووافقه من كل معنى دقيقه
بديع التثنّي راح قلبي أسيره ... على أنّ دمعي في الغرام طليقه

وله يمدح الناصر من الكامل

أحيا بموعده قتيل وعوده ... رشأ يشيب وصاله بصدوده

وكان صاحب هذه الترجمة من بين اعضاء الوفد الحلي الذى اجتمع بـ (هلاكوخان) التترى بصحبة بدر الدين لؤلؤ للمداولة بشأن أخذ الأمان منه الى الحلة برآسة سديد الدين والد العلامة أعلى الله مقامه كما مرّ عليك فى أول هذا الكتاب . توفى ابن الخطاب سنة ٦٥٦ هـ .

١٩ ـ أبو الفضائل ـ ٦٧٣هـ

آل طاووس اسرة كريمة من اشرف الاسر العلمية فى الحلة نبغ فيها علماء فطاحل ، ومن هؤلاء العلماء السيد جمال الدين ابو الفضائل أحمدبن سعد الدين أبي ابراهيم موسى بن جعفر الداودي الطاووسي الحسني ، وان صاحب هذه الترجمة شقيق السيد رضى الدين الذى ستأتى ترجمته ، توفى بعد أخيه بتسع سنين فى الحلة ، وله أخوان آخران هما شرف الدين وعزالدين وحَسْبَ ذلك قد كان لوالده موسى اربعة اولاد كلهم أهل علم وفضل وتقوى وصلاح ولم يبق من ذريته سوى من كان من عقب أبى القاسم رضي الدين ، ففى هـذا الجهد انحصرت ذرية آل طاووس فكان انتاجه التناسلي شبيها بانتاجه العلمى ، فقد كان من ابرز فقهاء الامامية حتى وصفه تلميذه الجليل الحسن بن داود الرجالي فى كتابه ـ الرجال ـ الذى اشتهر به فقال (سيدنا الطاهر الامام المعظم فقيه اهل البيت جمال الدين أبو الفضائل مصنّف مجتهد كان اورع فضلاء اهل زمانه قرأتُ عليه اكثر ـ البشرى ـ و ـ الملاذ ـ وغيرذلك من تصانيفه ، وأجاز لي جميع تصانيفه ورواياته ، وكان شاعرا مفلقا ، بليغا ، منشئا مجيدا) الخ وقال فيه صاحب كتاب أمل الآمل انه (كان عالما فاضلا صالحا زاهدا عابدا ورعا فقيها محدثا ثقة شاعرا جليل القدر عظيم الشأن) وحدثنا عنه صاحب كتاب عمدة الطالب بما يليق بشأنه من صفات المدح والاطراء ووصفه (بالعالم الزاهد المصنّف) وفضائل أبي الفضائل لا تحصى فقد نال من شرف النسب وطيب الارومة

والعلم والفقه والشعر والرجال والادب والزهد والتعفف والتقشف ودقة الفهم وسرعة الخاطر ونباهة البال وحصافة الرأى ورجاحة العقل وشدة الورع وحسن الحلم والشجاعة والسخاء والتواضع ونكران الذات وصدق اللهجة ونباهة الذكر ما يجعله حرّياً بأن يكون من دعاة الارشاد وقادة الرأى وزعيما يليق للزعامة الروحية والزمنية ويكفى من فضله أن يكون اول من اخترع تنويع الاخبار الى اصولها الاربعة المعروفة ، الصحيح • والموثق • والحسن • والضعيف ، حيث استنبط ذلك من نظره السديد فى أحوال رواة الخبر ، واختلافهم فى العدالة والايمان والاتقان بعد أن كان المدار قبله على مجرّد ورود القرائن أو التصريح فما يسمى بالصحيح من هذه الاخبار هو ما اتصل سنده بالمعصوم بواسطة نقل العدل الضابط عن نظيره العدل الضابط واحداً بعد واحد حتى تنتهي سلسلة هؤلاء العدول الضابطين المتقنين الى المعصوم ـ ع ـ والصحيح نوعان ، اولهما ما ذكرناه وثانيهما اطلاق لفظ الصحيح مضافا الى بعض الرواة بنص وتعين على ما جمع السند اليه الشرائط خلال الانتهاء الى المعصوم وحينئذ يقال لمثل هذا الخبر ، صحيح فلان اذا اعترى السند اختلال ما كالارسال ونحوه ، واما الحسن فهو ما اتصل سنده الى المعصوم ـ ع ـ بطريق الامامى الممدوح دون أن يتعارض مدحه بذم • والنوع الثالث ، يسمى ـ الموثق ـ وهو ما كان فى سلسلة سنده ـ موثوق ـ من غير الامامية عند الاصحاب اذا لم يشتمل طريق السند على ضعف من جهة اخرى ويسمى ـ القوي ـ أيضا • ورابع هذه الاقسام ـ الضعيف ـ وهو ما فقد الاوصاف المقررة لأحد الاقسام السالفة الذكر ، ويدخل فيه ما يرويه مجهول الحال وتسمى هذه الاقسام الاربعة ـ اصول الحديث ـ وقد زيد على هذه الاقسام أقساما اخرى فى زمن آية الله العلامة المولى محمد باقر بن محمد تقى المتوفى سنة ١١١٠هـ المعروف ـ بالمجلسى ـ

رحمه الله ولابد انك استشعرت مما ذكرناه عظمة صاحب هذه الترجمة ولمست جلالة قدره فحريٌّ به قول من وصفه بأنه (كان مجتهدا واسع العلم اماما فى الفقه والاصول والادب والرجال ، ومن أورع أهل زمانه حقق الرواية والرجال ، تحقيقا لا مزيد عليه وهو من اساتذة العلامة الحلي وصهر الشيخ الطوسى على ابنته وأول من وليَ النقابة ـ بسوراء ـ وأول من نظر فى الرجال وتعرّض لكلمات أصحابها من جرح وتعديل) ولهذا يذهب لفظ ابن طاووس فى كتب الرجال ومباحث الفقه اليه بالتبادر ، يروي عن جماعة من أكابر الفقهاء كالسيد فخار بن معد الموسوى ونجيب الدين ابن نما .

لقد كان ـ رحمه الله ـ كثير التأليف والتصنيف حتى صنّف فى فنون العلم نحوا من (٨٢) كتابا كلها مفيدة ومن جملة هذه المصنفات المهمّة كتاب ـ ملاذ العلماء ـ وكتاب بشرى المحققين فى الفقه فى ستة مجلدات ، وهذان الكتابان هما اللذان قرأهما عليه تلميذه الحسن بن داود الرجالي ، ومن مؤلفاته أيضا كتاب ـ حل الأشكال فى معرفة الرجال ـ فرغ منه سنة ٦٤٤هـ وحرره صاحب المعالم وأسماه ـ التحرير الطاووسى ـ فى أربعة مجلدات ، وكتاب نقضٍ على ابن أبى الحديد المعتزلى وكتاب عين العِبرة فى غَبن العترة ، وكتاب شواهد القرآن وكتاب الازهار فى شرح لاميّة مهيار وكتاب المقالة العلويّة فى نقض الرسالة العثمانية وغيرها كما ان له ديوان شعر وله ردود مفحمة على أبى عثمان الجاحظ صاحب البيان والتبيين المتوفى سنة ٢٥٥هـ ، وانّ لأبي الفضائل ماثر اخرى ليس فى وسعنا استقصاؤها اختاره الله الى جواره سنة ٦٧٣هـ ودفن في الحلة مسقط رأسه في محلة تُعرف باسمه تسمى بمحلة أبى الفضائل وقبره فيها من المزارات الجليلة لم تزل للناس موضع تقديس واحترام ولهذا المرقد الطاهر قيم وخدم وقد جدده بعض وجهاء الحلة من آل مرجان فى الآونة الاخيرة وهو عمل يُذكر فيُشكر وهذه الاعمال هى الباقيات الصالحات ، ومَن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .

٢٠ ـ ابن ردّة الحلي النيلي

الشيخ مهذب الدين ، أبو شهاب الدين الحسين بن أبي الفرج ابن ردة الحلي النيلي ، كان مترددا بين الحلة ، والنيل حتى استهوته أنديتها العلمية وما أكثرها يوم ذاك فاجتذبته اليها اجتذاب الزهرة للنحل واحتضنته كالام الرؤم ، وأرضعته من ثديّ علمها ومعارفها وآدابها وحنت عليه حنوّ المرضعات على الفطيم ، فتفتح ذهنه الى تلك المعارف كما تفتح الأزاهير لأنداء الربيع ووعى عقله شيئا كثيرا من النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع وتفهّم علم المنطق تفهما جيدا ودرس الفقه والاصول وعلم التوحيد والحديث والتفسير واطّلعَ على أسرار اللغة العربية ودرسها بتعمق واذا به عَلَمٌ من أعلامها وزهرة عاطرة من رياضها وكوكب لامع من كواكبها التى أفلت وما يزال ضياؤها ملء الافق يخطف الابصار .

حدثنا سيدنا السيد محسن الامين العاملي رحمه الله فى موسوعته ـ أعيان الشيعة ـ نقلا عن مجموعة الجباعي انه رحمه الله توفي بالليل سنة ٦٤٤هـ وحُمل الى الحلة وصُلي عليه ثم حملوه الى المشهد المقدّس مشهد الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فدفن فيه الخ .

والنيلي نسبة الى ـ النيل ـ قرية من قرى الحلة على مقربة منها على نهر النيل الذى حفره الحجاج بن يوسف الثقفي ـ جنكيز العرب ـ وسمّاه بهذا الاسم ولا تزال آثاره وآثار القرية باقية الى اليوم . وقد لُقب ـ ابن ردّة ـ بمهذب الدين وقيل شهاب الدين وقد يحذف المترجمون لقبه ويكتفون باسمه مجردا عن الالقاب فيعنونون ترجمته بـ ـ الحسين بن ردة ـ وقد يزيد بعضهم كلمة ـ النيلي ـ زيادة فى التعريف وقد يكتفي بعضهم من العنوان ـ بابن ردة الحلي ـ وعلى كل حال نرى أن هذه التعابير كلها تعود لصاحب هذه الترجمة دون غيره . نقل السيد محسن العاملى عن مجموعة

الجباعي المذكورة آنفا وصفه اياه بـ (الشيخ الفقيه الامام العلامة الحسين ابن ردة الحلى) الخ وفى كتاب أمل الآمل (الشيخ مهذب الدين الحسين بن ردّة ، عالم محقق جليل له مؤلفات يرويها العلامة عن أبيه عنه) وورد فى كتاب رياض العلماء فى ترجمته (الشيخ الفقيه الفاضل مهذب الدين الحسين ابن ردة) ولهذا المجتهد الجهبذ الكبير كتب كثيرة ومؤلفات فى غاية الاهمية وآثار جليلة نافعة ذهب اكثرها فى مدرجة الضياع قال صاحب كتاب ـ الرياض ـ (اعلم أن هذا الشيخ مع جلالته ووفور مؤلفاته ورواته لم يشتهر له كتاب) ثم نقل انه رأى على ظهر نسخة عتيقة من كتاب ـ نزهة الناظر فى الجمع بين الاشباه والنظائر ـ مقروءة على بعض الافاضل انها من مؤلفات الشيخ الفقيه العالم العامل مهذب الدين الحسين بن محمد بن عبدالله وتاريخ كتابة النسخة سنة ٦٧٤ هـ .

٢١ ـ السيد أبو عبدالله الحسين بن محمد المهنّا

هو عزالدين ابو عبدالله الحسين بن محمد المهنا العلوي العبدلي ، كان رحمه الله من فضلاء السادة وسادة الفضلاء ، برز فى العلوم اللسانية والعربية وتمكن من ناصية العلوم العقلية وفك رتاجها وتضلع بالفقه والاصول والادب فكان زينة محافل الحلة وبلبلا من بلابل رياضها الاريضة الغناء ، قال فيه صاحب كتاب ـ مجمع الآداب ـ انه (من السادة الاكابر أخو جمال الدين بن محمد بن المهنا) كما نقل مؤلف هذا الكتاب أن صاحب هذه الترجمة كتب فى بعض مراسلاته الاخوية ومطارحاته الادبية الى أخيه جمال الدين هذه الابيات وكلها حب وعاطفة :

أشغلتَ نفسى عن الدنيا ولذتها ... فأنت والقلب شيء غير مفترق
وحقِ مَن أوجد الدنيا وزينتها ... وصوّر العالم الأنسىَ من علق
لقد هجرتُ لذيذ النوم بعدكموا ... أساهر النجم حيرانا من القلق

فأنْ تطابقتِ الأجفان عن سِنة ... سهوا رأيتك بين الجفن والحدق

وهذه الابيات جيّاشة بالعواطف المشبوبة والروح الأخوية النبيلة والشعور الرقيق ، وقد كان صاحب هذه الترجمة معاصرا للسيد أحمد البدوى المغربى الصوفي المدفون فى مدينة ـ طنطا ـ بمصر ، وابن المهنا من العلماء المغمورين المنسيين ولكنه رغم ذلك النسيان قد سطعت ومضات من نوره هنا وهناك وسطع نجمه فى سماء العلم والادب كما يلمع نور القمر وراء السحاب ٠

توفى تغمده الله برحمته سنة ٦٧٥هـ فخسرت الحلة بموته كنزا ثمينا وتوارى عن افقها كوكب متألق من كواكبها المشرقة ٠

٢٢ ـ ابن الباقلاني ٥٦٨ ـ ٦٣٧هـ

حلّي أصيل تكفيك فى اصالة حليّته نسبته الى ـ الباقلاء ـ التى كانت الحلة من أشهر المدن المعروفة بزراعة هذا النوع من البقول وكثرة انتاجه والولع بأكله والتفنن باعداده للغذاء وحسن تحضيره وشدة الشغف به حتى يقال أن أحد أكابر مجتهدى الشيعة الاقدمين من أهالى الحلة ضرب مثلا فى كتابه للماء المضاف بماء الباقلاء دون غيره من سائر الأمواه ٠ ، وقد حسبها بعض الحمقى عارا لاهل الحلة وهو يجهل قيمتها الغذائية وانها كانت يوما ما أُمنيّة لبنى اسرائيل حين طلبوا من النبى موسى ـ ع ـ أن يدعوا الله ليخرج لهم من بقول الارض حتى فضلوها على المن والسلوى ، وظلت الباقلاء مادة للمزاح والدعابة مدة طويلة من الزمن وقد داعبنى موظف كبير قائلا (هذه الباقلاء فأين خيوطها) ؟ فأجبته لعل (الخويطات) برأس السائل فخجل ولم يجسر بعد ذلك على ممازحتى وكفى الله المؤمنين القتال ٠ ولي مثل ذلك فى مداعبة صديق وهو من أول قولى الشعر :ـ

ولي صديق قد أتاني مازحا ... لكوني حليا فكنت منتبه

يقول لي : خيطك ماذا لونه ... يا من تسامى فى رفيع أدبه
قلتُ : كأى لونِ خيطٍ قد غدا ... يُعجبك اليوم بأن تُربط به

وقد تفضل الاستاذ الفاضل الديني الشيخ جلال الحنفى فأهدى اليَّ (سبحة) من الفول ومعها قصيدة جاء فيها ما يلى :-

(الى فضيلة العلامة السيد هادى كمال الدين الشاعر الفحل والفقيه الجليل)

الى الفقيه العَلَم الـ ... ـبحاثة المصنّفِ
الشاعر الفذ الاريب اللوذعى الصحفي
ذي القلم الحر الذي ... أخاف من لم يَخَفِ
فربما تنطفىء النـ ... ـار وما أن ينطفي
ما حدّه الا كحد المشرفيّ المرهف
أتحوفة تختال من ... روعتها فى التحف
(سبحة فولٍ) رائق ... في سمطه مؤتلف
فاق رطيب اللؤلؤ ... المُودَعِ طيّ الصدف
تصلح للخيرة اذ ... تكتنف السر الخفي
أفي بها ما قد لقيـ ... ـنا منك من تلطف
أيام زرناك وقد ... زرنا مناط الشرف
مع الصديق (الشوبكيّ) الشاعر المؤلف
ولست بالرائي امرءاً ... مثل (عليّ) مِنْ وفى
فى (حلة ابن مِزْيَدِ) ... يوما ولا فى النجف
وما أرى من سلف ... يشأوه او من خلف
فكم له من موقف ... نحسده من موقف
دقّ على (معنٍ) فلم ... ينهد له ولاحنف
اني غدوتُ منه فى ... غلالة من دنف
وبتّ من هواه كالشارب كأس قرقف ؟

فهـل تـراك قط قـد　　كلفتَ يـوما كلفي ؟
اني اُعيـذه بكـل　　آيـة فـي المصحف
وبالحـواميـم التي　　قـد عظمت في الاحرف
أدامـه الله برغـم　　العـاذل المعنّف
لابـن كمـال الدين والشيـخ جـلال الحنفي

فأجبته بقولي :ـ

وجدتك حقـا يا (جلال) مهذبا　　وفضلك أمسـى كالكواكب نيـّرا
لذاك اليَّ اليوم أهديت (سبحةً)　　من (الفول) كانت للمسرة مصدرا
فلا غرو أن تهـدى اليَّ : فهـذه　　بضاعتنا رُدَّتْ الينا كمـا تـرى

وقـد جرت مداعبـات كثيرة بين الحليين الـكرام وأصدقائهـم فيهـا لذة ومتعة ولكنها ليس مما يجوز نشره في كتاب كهذا وقد جرت لي حادثة تتعلق ـ بالباقلاء ـ مع الدكتور يوسف عبود فنظمت بسببها ارجوزة في جلسة واحدة تتجاوز (٤٠٠) بيتا ولكنني حذفت منها عند الطبع ما لا يجوز نشره ودونك هذه الارجوزة التي طبعت بمطبعة الجامعـة ببغـداد بتـاريخ ٩ـ٣ـ١٩٤٩ وقد سميتها ـ مداعبات ، أو ـ القصيدة الهنگارية ـ .

المقـدمـة

في يوم نحسٍ من الايام التي كان قد عيّنها الفلكي الطهراني حلت مدينة بغداد فالتقيت بصديق لي كان قد أكمل دراسته العاليـة في مدارس أوربا فرحب بي أجمل ترحيب ودعاني الى بيته لتناول طعام الغذاء فاعتذرت له ثم اعتذرت ولكنه أصرَّ ولم يقبل العذر فاضطررتُ نزولا عند رغبتـه الملحّة أن أقصد داره العامرة فألفيته لدى الباب منشغلا بغسل سيارته فبادرني التحية ثم تقدم مني فأعلمني أنه قد نسي الدعوة ، ثم أخذني الى داخل داره العامرة وبعد أن قطّع أنفاسي بمحاضرة طويلة حول شباك قديم كان قـد

وضع على جبهة الدار ولم يكد يستقر بى المقام حتى فاجأنى بأكلة مرعبة مزقت منى الامعاء وتركتنى حائرا لا أعي فلما انصرفت من حيث أتيت تجلّى لي شيطانى الشعرى وأوحى اليّ بهذه القصيدة ـ الهنگارية ـ التى لن أتوخى من ورائها الا الظرافة والمداعبة فإلى الضائف الكريم أهديها راجيا منه القبول والمعذرة :

« القصيدة الهنگارية »

أشكو وشكواى الى الاله | وليمة كانت من الدواهي
هيهات هيهات بأن انساها | وكيف ينسى عاقل أساها
حيث دعانى بعض أصدقائى | لداره فى وجبة الغداء
أجبته بدافع الاخوه | و(ان دعيتم فأجيبوا) الدعوه
وفقا الى آدابنا الشرعيه | وانها آداب انسانيه
وانما حضرته دكتور | بفضله وجوده مشهور
أحسن مضياف غدا شهيرا | يستقبل الكبيرَ والصغيرا
رام الحسود ذمه وما صدق | قال: بخيل، قلت: كذب وحمق
من أطعم الخمسة قرصا واحدا | ليس بخيلا، بل كريما ماجدا
وقد دعا معى فتى الاخلاق | من خيرة الحكام فى العراق
أعنى به (محمد القشطينى) | مَن قد سما فى خلقه المتين
وعيّن المكان والزمانا | فى موعد أتقنه اتقانا
وقد أتيناه بذاك الموعد | لاجل الحاج له مؤكد
وعندما شاهدنا عن كثب | رحّب فينا، ليت لم يرحّب
حتى وصلنا بيته المعمورا | بلطفه الكلُّ غدا مغمورا
وفى جدار الباب قد لاح ليا | شبيه شباك ضريح الاوليا
أبدع شباك ثمين اثري | قد زيّن الباب بأحلى منظر

وهو الى الحناء في احتياج   كذاك للشموع والسراج
قد كان من عصر بني العباس   معجزة الفن لكل الناس
براعة الصنعة فيه ساحرة   ودقة الفن تراها ظاهرة
بديع صنع لم تجد أغلاطه   كأنه اُستخرج من(غرناطه)
وهو يُعَدّ من نفيس التحف   فهو اذن بحاجة للمتحف
ثم دخلنا الدار ذات العظمة   والكل منا غيظه قد كظمه
وقد جلسنا باحتشام وأدبٌ   والاحتشام خير عادات العرب
والدار كانت زينة (الصليخ)   ويوسفٌ فيها شبيه الشيخ
فيها تبادلنا النكات الجيدة   لكنه كالخشُب المسنَدة
اذ لم تثره نكتة لطيفة   كلا ولا ظريفة طريفة
فلم يَفُهْ الا قليلا وسكتْ   فما أحبَّ الاشتراك بالنكت
من حيث امسى باله مبلبلا   حار بشبع هؤلاء الثقلا
فقد دعانا لا لأن نجيء له   بل أكد الدعوة عن مجامله
وانما غلطتنا المهولة   تصديقنا الدعوة في سهوله
لأنه لم يقسم الأيمانا   بأنه حقيقةً دعانا
والذنب كل الذنب من زوجته   اذ وافقت حالاً على دعوته
وكان في امكانها أن تزجره   وكان بالامكان ألفُ معذره
وربما اراد أن يجربا   في بيته مقياس أكل الادبا
فكان هذا سببا مبررا   لدعوتي وان يجدها خطرا
وأكلة الاديب ليست تُجهل   وانما يُضرب فيها المثل
كاد الاديب حين قاسى فقره   يُمسي من الفصيلة المجتره
لانه يعيش وهو مُعْدَمُ   فلو أتته فرصة يغتنم
زاويةٌ يقال بطن المؤمن   فلا تظن أنه يُشبعني
لذلك الداعي الذي دعانا   قد كان في دعوته جبانا

وهو فتى يعرف بالامانة   لذلك الطعام عنا صانه
لم يعطنا المطاعم الشهية   وجاد بالراحة والحرية
وهل ترى نال امرؤ مثلهما ؟   فأن تشأ خير الحياة ، فهما
فكيسه ان لم يكن قد ضره   لا عجب : فالعفو عند المقدرة
وانه من الكرام (التازه)   قد ادخرناه لوقت (العازه)
ما بيننا قد وزّع الغذاءا   كالقلب اذ يوزع الدماءا
مثّل دوراً هزليا في الكرم   أعجب في اخراجه كل الامم
فقل له: (بيش ابلشت يابوبشت)   ولست تدعو مثلنا لو تلتفت
لكن بدت منه لنا العجائبُ   لأنه قد عاد وهو الغالبُ
قد جائنا ونحن نحو خمسة   بقرص خبز لا نجيد (علسه)
وهذه معجزة لا تُدفع   اذ في رغيف خمسة قد شبعوا
ثم أتانا بقليل (تمن)   لم يكف للخمسة ، بل لم يكفني
وبعد ذا أسمعنا (عياطه)   كي يسرع الخادم (بالزلاطه)
وأيّ أي خادم جهول ؟   أثقل من واش ومن عذول
ذي (شارب) أسود مثل القار   يزري بذيل القرد والحمار
الى البواسير رباطا يصلح   لو أنه يسخو به ويسمح
وابتدأ الدكتور في محاضره   بحسنها قد تعجب (الدكاترة)
وهو يقول مذ أتانا بالمرق   (كلشي كتبه بالورق الا الزلق)
وهو يظنّ قوله لن نسمعه   لذاك ما أحتاج لأن يرقعه
ثم انبرى الي وهو قائل   انك يا (هادى) الاديب الفاضل
وهذه الدعوة تقديراً لكا   لأنني ممن يرون فضلكا
فأنصت اذا شئت ، الى نصيحتي   فأنني أقول عن تجربتي
كُلْ ههنا ما تستطيع هضمه   فكثرة الأكل دواعي التخمه
كم أكلة من أكلات حرمت   ثم اسأل التخمة كم قد قتلت ؟

فلا تكن مستكثرا مما تحب ... نصيحة الناس على الناس تجب
واشرب من الماء بدون شحه ... فكثرة الماء تفيد الصحه
كالسلسبيل أو تراه أحلى ... فاشربه عباً ، أو أردت نهلا
والماء سهل نافع ممتزج ... وكل شىء منه حيا يخرج
والماء من لوازم الحياة ... وفضله ما احتاج للاثبات
وأيّ ماء لذّ طعماً وصفا ... يقصر عنه كل من قد وصفا
كأنه راح لذيذ فى قدح ... وأين منه الراح فى نشر الفرح ؟
وقد تعبنا لك فى صنع مرق ... ان دخل الرزدوم كالسهم مرق
وانه يعرف فى (هنگاريا) ... لم تدره (افرنسا) ولا (ايطاليا)
ولا بلاد (الروس) و (البلغار) ... ولا سوى ذاك من الأقطار
ما كاد أن يفرغ منه الطاهى ... حتى تراه مضغة الافواه
قد راق لونا واستطيب ذوقا ... لذا له كدت أذوب شوقا
فلحمه من كبش (اسماعيلا) ... وماؤه قد كان زنجبيلا
أو انه من كوثر الخلد أتى ... أتعب فى أوصافه من نعتا
وفضله لم يخف بين البشر ... الا على البوم ضعيف البصر
وحسّن الجميع عندى أكلا ... ما فيه قد كان من (الباقلا)
وهو من الامراق كالملوك ... وغيره أشبه بالصعلوك
وانه من أفضل الامراق ... يلذ للابصار والاذواق
مذ جائنى بالعجب العجاب ... خرجت عن دائرة الصواب
فلأنتعاش خلتُ أني (مسيو) ... (ور گه فجل كَلْها العجل زعريو)
ترى عليه رنة الملاعق ... شبيهة بزجل الصواعق
فيا لها من مرقة معتبره ... فى حسنها بين الملآ مشتهره
حتى (الفسنجون) لها قد خضعا ... لن يدعي لذتها ولا ادعى
لها أحن ، والحنين دابى ... مثل حنين الشيخ للشباب

فهـي تشافينا (كبنسلين)   اذ جمعت جميع (فيتامين)
بنفعها لو كان يدرى الصيدلي   ما ركب الدوآ ولم يحلل
لأنها تكفيه عن أدويته   مع انها زينة صيدليته
تشفي الضنا وان يكن عضالا   فأن شكوت الداء خذها حالا
(فللكليرا) وهو طاعون خطر   أوشك فيها برؤه أن ينحصر
وهى الى (الكساح) والجذام   والسل والقولنج والسرسام
وانها تنفع فى (الملاريا)   كما غدت تشفي من (السحايا)
و (للوحام) وفساد الشهوة   نافعة لو مزجت بالقهوه
وفى (البواسير) غدت مجربه   اذا لها أضيف شحم أرنبه
وفى شفا (الصداع) حازت الثقة   منها اذا شربت نصف ملعقه
مع انها أحسن كل مرهم   لوجع الظهر وأمراض الفم
وليحتس من عدم الشاهية   من مرقة حسناء (هنگاريه)
يشربها قبل العشا وبعده   فهى كسحر فى شفاء المعده
رأي (ابقراط) بها قد سلفا   بأنها خير دواء عرفا
تنفع للنسيان وهو مرض   عند تغيّر الدماغ يعرض
بشكل معجون لذيذ الطعم   فهى دواء نافع للفهم
وفى (النيوفوبيا) تزيل النوبة   ان يشرب المصاب منها شربه
أو أكل المجذوم منها بُرءا   وذو الخطآ فانه لن يخطأا
وقال (جالنيوس) فيها قوله   بأنها تشفي جميع علّه
وقال : حتى علة العشق بها   تشفى اذا ما أكثروا من شربها
وان طلى الممسوخ فيها جسده   فلا يراه المرء الا حسده
أو كانت العاقر منها تكرع   لأولدت أكثر مما تطمع
والخفقان ، لامتلاء المعدة   بها يشافى فى أقل مده
كذا (ابن‌سينا) قال فى (القانون)   بأنها تشفي من الجنون

وواجب الأرمد أن يحتقنا		بمائها ، وعينه أن تدهنا
وكان (افلاطون) فيها مغرما		وهو يقول : انها تشفي العمى
وقال (اقليدس) ذات مرة		بأنها لو مزجت بالخمره
لكانت الأكسير ، بل وأفضلا		تحيا بها الاموات من رمس البلى
أما (فثاغورس) الطبيب المشتهر		قد قال انها الدوا لما ذكر
كذا (دمقراطيس) فيها معجب		فهى الدواء الساحر المجرب
فهى اذن ؟ أعجوبة الزمان		وخير ما نالت يد الانسان
والغرب فيها اخترع العجائبا		بالطب ، حيث حوت الغرائبا
كالمنّ والسلوى وأحلى مطعما		مائدة قد نزلت من السما
وكم لها فى الناس من فوائد ؟		فلقبوها زينة الموائد
تزف بالاناء كالعروس		ومهرها بشاشة النفوس
أمست الى مدحي العظيم صالحة		اذا فاقت المسك بطيب الرائحه
فيا لها من لذة لآكل		قد وافت الناس بسحر بابل
فلو أريقت بالثرى لكانا		وجه الثر الدر أو المرجانا
بمثلها ان كنت يوما سامعا		للمستحيلات أعتقده رابعا
لو لم تكن تعرفها (اوربا)		لما استطاعت أن تذل شعبا
فهى التى قد غذت العقولا		وهى التى أنجبت الفحولا
ولا تسل عن طعمها اللذيذ		فأنه ينعش كالنبيذ
وصفتها مذ أسكرتني جيدا		خيال سكران هذى وعربدا
فليعذر الدكتور خله الوفي		فلم أكن أقصد غير الظرف
ارجوزة أتيت فيها صاخبة		على سبيل المزح والمداعبة
فانني أن تطلب الحقيقة		أشكره حقا بلا (بلتيقة)
كما الى زوجته المبجلة		أرفع عذرى آملا أن تقبله
فقد أرتنى أغرب الغرائب		من كرم الخلق ولين الجانب

وفى الاخير أرجو منه المعذرة   لأنه أهل لهذى المفخرة

وللباقلاء ينسب الشيخ التقى حسن بن معالى بن مسعود بن الحسين المعروف بأبى علي الحلي النحوى الذى اشتهر بأبن الباقلانى كما أثبته ياقوت الحموى فى ـ معجم الادباء ـ وأشار اليه صاحب كتاب الوافى بالوفيات وقد شذ عبد المجيد بن عبد الحميد المعتزلي شارح نهج البلاغة فدعاه بابن الباقلاوى ولعله من تصحيف النسّاخ ، وقد اشتهر بالباقلانى رجل آخر من مشاهير القرن الرابع للهجرة وهو شاب يافع لم يتخط دور الكهولة قد وصفه مترجموه بالعلم الوفير والجرأة التى لم تقف عند حد والادب الغزير انتهت اليه رئاسة الفرقة المالكية احدى الفرق السنية الاربعة قيل أن هذا الشاب كان من أبرز علماء نحلته وأكثرهم فهما أورد صاحب كتاب الكنى والالقاب ج ٢ ص ٥٧ قوله عنه (القاضى ابو بكر محمد بن الطيب البصرى البغدادى ناصر طريقة ابى الحسن الاشعرى كان مشهورا بالمناظرة وسرعة الجواب يحكى أنه ناظر شيخنا المفيد عليه الرحمة فغلبه الشيخ المفيد فقال للشيخ ألك فى كل قدر مغرفة ؟ فقال الشيخ نِعْمَ ما تمثلت بأدوات أبيك توفى سنة ٤٠٣ هـ ببغداد) ولا تدافع بين نسبته للمالكية تارة وللا شعرية تارة أخرى فالنسبة الاولى للمذهب والثانية لطريقة الاعتزال وقد ذكرت مجلة الثقافة بالعدد ٢٤ فى ١٢ كانون الاول سنة ١٩٦٠ من سنتها الخامسة لجبار الاعظمى أن (ابن المعلم حضر بعض المجالس مع أصحاب له اذ أقبل هذا الشاب الاشعرى وكان يوم ذاك قلد القضاء فلما رآه ابن المعلم قال لاصحابه : قد جائكم الشيطان ، فسمع القاضى الشاب كلامه وهمهمة جماعته ، أقبل على ابن المعلم وصحبه وقال لهم : انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ، أى ان كنت أنا الشيطان فأنتم كفار وقد أرسلتُ عليكم) الخ .. وفى هذا الجواب مآخذ فأنه بالنسبة الى الباقلانى اعتراف واقرار بأنه شيطان واما بالنسبة الى ابن المعلم وجماعته فمجرد دعوى تحتاج الى بينة لان الاقرار

حجة قاصرة على المقر وحده ، كما أن رميه المسلمين بالكفر بهذه السرعة لمجرد الانتقام ليس مما يرتضيه الاسلام وليس من صفات قاضي المسلمين وكان على ـ الباقلاني ـ اما الحلم وهو الارجح أو الجواب بالمثل ـ وان تعفوا أقرب للتقوى ـ وقد قالت الثقافة التي يسميها صاحبها الثقافة الاسلامية في عددها المذكور (وأما مناظراته ودفاعه عن الدين الاسلامي ورسالة المشرع محمد صلى الله عليه وسلم[1] فمنها المناظرة المشهورة في مجلس ملك الروم وأخباره معه وقد جاء في التمهيد قوله ـ أي قول الباقلاني ـ لما وصلنا الى القسطنطينية وأخبر الملك بقدومنا ارسل الينا من يلقانا . وقال لنا : لا تدخلوا على الملك بعمائمكم حتى تنزعوها وتلبسوا مناديل لطاف . فقال : أنا لا أفعل ولا أدخل الا بما أنا عليه من الزى واللباس فأخبر الملك بذلك فقال : أريد أن أعرف السبب لماذا يمتنع ؟ فسئل القاضي عن ذلك فقال : أنا رجل من علماء المسلمين وما تريدونه ذل وصغار ، والله تعالى قد رفعنا بالاسلام وأعزنا بنبينا محمد ـ ص ـ الى أن قال ـ أنا رجل من علماء المسلمين فان دخلت بغير هيئتي ورجعت الى حكمك أهنت العلم ونفسي وذهب عندالمسلمين جاهي ، هذه هي الصلابة التي تمثل الرفعة وسمو الخلق الخ ..) ونحن نرى أن هذه القصة قريبة من الوضع والاختراع شبيهة بالاساطير فليست المناديل من لباس الرأس ولم يكن من عادات الملوك تبديل أزياء الوفود الاجنبية التي تفد الى بلادها لا سيما مثل هذا الوفد العلمي المفروض فيه أن يكون محترما مكرما لانه كان قد وفد بناء على سبق طلب من الملك فاذا كان لباس المنديل بدل العمائم ذلا فلا يمكن بالعرف الدبلوماسي أن يأمر به الملك

(١) هنا غلطتان قوله المشرع ويعني الرسول ـ ص ـ والواقع ان المشرع هو الله تعالى ومحمد ـ ص ـ رسول لايصال التشريع السماوى والغلطة الثانية قوله (صلى الله عليه وسلم) وقد نهى الرسول عن الصلاة البتراء .

رجلا عالما استقدمه لبلاده لمناظرة علمية مهمة واذا كان لبس المناديل سمة للذل فلماذا طلب الملك أن يسألوا القاضى عن سبب امتناعه عن لبس المناديل؟ والرواية غير محبوكة فبعد أن كانت بصيغة المتكلم واذا بالكلام ينقلب فجأة الى صيغة الغائب كقوله ـ فقال أنا لا أفعل ـ الخ .. كما اننا نجد فى هذه الاسطورة ان سبب امتناعه عن لبس المناديل هو الخوف من ذهاب جاهه عند المسلمين والاحرى أن يخاف من ضياع جاهه عند الله وقد قيل ـ صانع وجها واحدا يكفك الوجوه كلها ـ فليست الوجاهة الدنيوية مما يرغب به العلماء المفروض بهم الزهد والتواضع . وكقوله : رجعت الى حكمك فما هناك حكم وانما هو نهي عن دخولهم بعمائمهم . كما أن ما نقلته هذه الترجمة من أن أبا الخوارزمى قال فيه : بأن صدره حوى علمه وعلم الناس ـ فكلام بارد ـ لأن علم الناس اذا كان فى صدره فهو علمه لا علم الناس وكل عالم يحصل علمه من علم الناس ـ والعلم بالتعلم ـ ولا نريد ان نطيل النقاش فلنضرب عنه صفحا ، قد توفي ابن الباقلانى هذا يوم السبت من ذى القعدة سنة ٤٠٣ هـ ويجب عده من رجالات القرن الخامس حسبما التزمنا به وكان مدفنه فى داره بدرب (المجوس) من نهر طابق وهو غير ابن الباقلانى الحلي ولا بأبيه والفرق بين عصريهما نحو ٣٧٣ عاما وأحدهما بصرى والآخر حلي كما أن الباقلانى من اخواننا أهل السنة وابن الباقلانى من أعلام الشيعة ومن أكابر ائمة العربية وهو شيخ لكثير من فقهائنا الاعاظم ومن الدرر اللامعة الثمينة فى القرن السابع قال فيه صاحب كتاب ـ رياض العلماء ـ انه (من أجلة مشائخ اصحابنا قرأ عليه المحقق جعفر بن الحسن بن سعيد الحلي) وقد أفاد ياقوت فى كتابه معجم الادباء أن ابن الباقلانى كان من مواليد سنة ٥٦٨هـ وانه من ائمة العربية فى عصره سمع من ابى الفرج ابن كليب وغيره وقرأ العربية على ابى البقاء العكبرى ، واللغة على ابى محمد ابن المأمون ، وقرأ الكلام والحكمة على نصير الدين الطوسى وانتهت اليه الرسالة فى هذه

الفنون • وفي علم النحو ، وأخذ فقه الحنفية على ابى المحاسن يوسف بن اسماعيل الدامغاني الحنفي ، ثم انتقل الى مذهب الامام الشافعي وكان ذا فهم ثاقب وذكاء وحرص على العلوم وكان كثير المحفوظ وكتب الكثير بخطه ذو وقار مع التواضع ولين الجانب لقيته ببغداد سنة ٦٠٣ هـ وكان آخر العهد بـه انتهى ملخص رواية معجم الادباء وتعرّض ابن الفوطي الى ترجمتـه فوصفه بأنه شيخ وقته في علم الادب والنحو • قدم بغداد واستوطنها وقرأ علم الكلام وسمع الحديث وكَـتَـبَ بخطه كثيرا ، وكان شديد الحرص على المطالعة مع علوّ سنّه وضعف بصره ، وكان حنفيا فترك مذهبه وانتقل الى مذهب الشافعي ، كانت له زوجة قدكبرت فأشار عليه بعض أصدقائه بطلاقها فقال :ــ

وقائلٍ ليَ قـد شابت ذوائبهـا ... واصبحت وهي مثل العودفي النحف
لِمْ لاتجدُّ حبال الوصل من نصفِ ... شمطاء من غير ماحسنٍ ولا ترف
فقلتُ : هيهات أن أسلو مودّتها ... يوما ولو أشرفت نفسي على التلف
وأن اخونَ عجوزاً غير خائنـة ... مقيمـة لي عـلى الاقلال والسرف
يكون منّي قبيحـا أن اواصلهـا ... جنىّ وأهجرها في حالة الحشف

وابن الباقلاني قد اختلفت الروايات به فصاحب كتاب رياض العلمـاء جازم انه شيعي المذهب وانه من اكابر علماء الفرقة الاثنى عشرية وان المحقق الحلي من تلاميذه بينما نجد رواية ياقوت وابن الفوطي صريحة انه من اخواننا أهل السنة كما تشعرنا روايتهما هذه ان العقيدة لم تأخذ طريقها المستقيم الى الاستقرار في ضميره فهـو ينتقل من مذهب الى مذهب ونستنتج من هـذه الرواية أن انصرافـه عن المذهب الحنفي الى مذهب الشافعي بسبب الجاه الدنيوي والاغراض المادية ولم يكن نتيجة مقارنة ودراسة مستفيضة اذ لو كان كذلك لما تمذهب من اول الامر بمذهب الشافعي حتى يقارن ويستنتج ثم يعتنق من المذاهب ما شاء وانتقاله لمذهب الشافعي لا بد لمؤثرات اخـرى

غير عقائدية لأن كلا المذهبين يستقيان من منبع واحد ونحن اذا أمعنا النظر في هذا التباين فلا يمكننا الخروج منه بنتيجة منطقية صحيحة الا أن نقول بتعدد ابن الباقلانى فأحدهما شيعي والآخر من أهل السُّنة أو نسعى الى تكذيب الروايات المعارضة .

توفي يوم السبت ٢٥ جمادى الاولى من سنة ٦٣٧ هـ على الاصح ، وعمره يناهز التاسعة والستين عاما .

٢٣ ـ ابو يحيى الحسن بن نجيب الدين

ان من المتعة والجمال ازاحة ستار النسيان عن الشخصيات التاريخية المهمة حتى كأنك تراهم وتتحدث معهم وان حالت بين عصرك وعصرهم سدود من الزمن . واكثر متعة اذا كان ذلك الحديث عن افذاذ ونوابغ تربطك بهم روابط من المواطنة والعقيدة والدم ، لا سيما اذا كان ذلك الحديث مجرّدا عن الاغراض والمقاصد السيئة ومن هذا النوع من الحديث الشهي ما ستقف عليه من ترجمة ـ ابى يحيى ـ موضع بحثنا هذا فهو ابو يحيى الحسن بن نجيب الدين ابو زكريا يحيى بن سعيد الهذلي ، كان مفخرة من مفاخر جيله فى العلم والدين والصلاح وفى طليعة الفقهاء البارزين والفضلاء السباقين فى ميادين الثقافة وكفاه سؤدداً أن ينجب ولداً نابها كالمحقق صاحب المواهب والكفاءات المتعددة والقابليات الممتازة ذلك الرجل الخالد الذى كان لأقواله وآراءه دويّ الصاعقة تُسمع الصُم وفيها النور الذى يخترق الظلام ، وهو الذى كتب لأبيه ـ أبي يحيى الحسن ـ قوله :ـ

لِيُهنك أني كلّ يوم الى العلا   اقدّم رِجلا لا يزلّ بها النعل

وسنذكرها فى ترجمة ولده ـ المحقق الحلي ـ والتى اثارت صاحب الترجمة فأجابه بما يشبه اللوم والتأنيب والتوجيه السديد والنصيحة الأبوية

الرشيدة حيث أشار على ولده البار بهجران الشعر ليتفرغ لما هو أهم منه وهو العلم حسب استنتاجنا وليس مقصوده توهين شأن الشعر فالشعر شيء آخر فوق الصورة والموسيقى هو الجمال المجرد السامى ، هو الرسالة الانسانية بكاملها .

ولذا رأينا ان رغبة الأب العطوف بجعل ولده عالماً دينيا مرشداً أفضل من أن يخلق منه شاعرا يهيم بأودية الخيال ، دون بخس لفضل الرسالة الشعرية التى تأتى بالدرجة الثانية بعد العلم ، وهذا هو السبب الاصيل فى نظرى فى توجيه ولده نحو العلم وأمره بهجران الشعر ، ولقائل أن يقول : ليس ثمة مانعة جمع بين التحصيل العلمى ودراسة الشعر وقرضه . وقد يكون الجواب ما ذكرناه ليتفرغ للعلم وحده دون ان يشغله الشعر ولو الى حين لأن العلم اشرف وافضل والاهم يتقدم على المهم فاستجاب المحقق رحمه الله الى رغبة أبيه صاحب هذه الترجمة فهجر الشعر ولم يزاوله حتى انه لم ينظم بعد هذه النصيحة بيتا واحدا ، وهذا كان مثلجا لصدر والده الذى رأى هذا البر والطاعة واستمر الوالد باعداد الولد الاعداد الصالح السليم وأهلّه لأن يكون من فطاحل العلماء وكان له ما اراد وواصل صاحب الترجمة اصلاحاته وتوجيهاته القيّمة ليس لولده ـ المحقق ـ فحسب وانما للمجتمع برمّته فكافح البدع ونشر راية الاسلام ورفع مستوى العقيدة فى النفوس وجعل للعلم هيبته وللدين نفوذه وفق المخطط الحكيم الذى رسمه بيده الشريفة ووفق الطريقة المثلى التى سار عليها فى حياته العامة من شدة التمسك بأهداب الدين والزهد الحقيقى فى هذه الحياة الفانية والتخلق بالاخلاق الفاضلة الكريمة ، واذا كان العالم الديني عاملا بعلمه تقيا صالحا اصبح قدوة صالحة للعامة وكان لاقواله وارشاداته مفعول السحر ، اما اذا لاحظ الناس الرجل الديني يقول ولا يفعل ويعظ ولا يتعظ فانه حينئذ أمثولة سيئة وكان مسؤولا امام الله تعالى بما يصدر من انحراف الناس عن

جادة الدين بسبب ردَ الفعل الذى تحدثه تصرفاته الشائنة ولهذا قيل (ذَنْبُ العالِم كالعالَم) فعلى رجال الدين أن يحاربوا رجل الدين الذى يشوه سمعتهم بأعماله التى لم يلتزم بها الجانب الدينى ولا شك أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الاسباب التى بيّنه تعالى فى كون الامة العربية خير امّة أُخرجت للناس .

٢٤ ـ القزويني الحلي

قزوين اسم ثان لبحر الخزر ، وفى جنوبه مسافة تزيد على مائتى كيلو متر مدينة تسمى بقزوين ينتسب اليها خلق كثير كما ينتسب الناس الى أية مدينة أخرى كبغداد والحلة والنجف مثلا وفى قزوين أخلاط منهم المسلم ومنهم الكافر ومن هذه المدينة صاحب هذه الترجمة (عماد الدين زكريا بن محمود) يتصل نسبه بمالك بن أنس خادم الرسول الاعظم والذى لا يجهل أحد موقفه من امير المؤمنين علي ـ ع ـ ولد القزوينى فى قزوين ثم هاجر ذووه الى العراق وهو صغير لم يبلغ الحلم واستقر مع أسرته فى الحلة الفيحاء فنشأ بحكم البيئة نشأة عربية وتعلم العلم والادب وما أكثر هذه الموارد فى الحلة حينذاك حتى تمزيت كمركز دينى وعلمى وأدبى ممتاز فارتاض عقله الكبير وتثقف ثقافة اسلامية وكان استعداده كبيرا لهضم كل ألوان الثقافة ، فكشف بنور ذكائه النافذ آفاقا واسعة من الفكر فجرى ذكره على كل لسان ونفذ حبه الى كل قلب ، فكان كالمخدرات تفتح للخيال ابواب الاحلام الجميلة حتى اذا زال أثر المخدر ذهبت تلك الاحلام وتلاشت كما يتلاشى الدخان فى الريح العاصف ولكنه مع كل ذلك احتفظ بمجموعة من المعجبين به ضلوا معه على طول الخط فبالغوا فيه حتى أوصلوه بخيالهم الى مكانة لم يبلغ اليها شأوه ولا أريد بذلك الحط من كرامته وانما أريد انه وان كان يستحق الثناء على مواهبه الكثيرة ولكن بقدر ما بها من الحقيقة كى

لا تتجاوزها الى الخيال فتضيع تلك الحقيقة ، فهـو عالم كبير ، ولكنه ليس نسيج وحدِه • وأديب بارع ولكنه ليس فريد عصره • فالحلة تحتضن فى عصره مثله وأفضل منه ما يفوت الاحصاء ومما حبب صاحب الترجمة الى القلوب نزوعه الى كره البطالة والعيش على مروءات الناس وفضلات الموتى، حتى سما به طموحه واباؤه ، لا جدوده وآباؤه أن يتـولى فى الحلة أمـر القضاء والافتاء سنة ٦٥٠ هـ وهى سلطة واسعة يوم ذاك كما تولى القضاء والافتاء فى ـ واسط ـ الواقعة بالقرب من قضاء الحى اليــوم وذلك سنة ٦٥٢ هـ واُضيف اليه التدريس بمدرسة الشرابى ـ فى واسط المذكورة ، وكان جيد الخظ والخط رحل الى دمشق ثم عاد الى الحلة وعنــد عودته أنيط به أمر القضاء والأفتاء فى عصر المستعصم العباسى قبل وبعـد غـزوة ـ هلاكو خان ـ الهمجية • وهو وان كان أصله فى بلاد العجم ولكنه نزع به عرق العروبة من أجـداده فكان له ما أراد من طموح واباء ووجاهــة ونفوذ ، وهو صاحب كتاب عجائب المخلوقات ، ولم يكن بين هذا القزوينى وقزاونة الحلة أية صلة سوى النسبة الى مدينة قزوين التى هجا بعض ولاتها أحد الشعراء ، والوالي هو الذى كان واليا من قبل نصير الدين أبى سعيد بن جعفر صاحب الجزيرة و الموصل وكان الوالي قــد بلغ به الاستهتار والرعونة والطيش والتعسف ما يفوق الوصف •

ولمدينة قزوين تُنسب جماعة من أهل العلم والفضل كالعلامة السيد مهدى القزوينى البصرى وولده العالم الفاضل السيد امير محمد والمغفور له السيد جواد عالم الكويت عم السيد امير محمد والعالم المرحوم السيد مهدى القزوينى الحلي الذى قال فيه صاحب كتاب الكنى والألقاب فى كتابه الموجز ص ٥٤ ج ٣ أن جدهم المرحوم السيد احمد أول من أنتقل من قزوين الى العراق وقطن النجف ثم انتقلت ذريته من النجف الى الحلة لنكبة أصابتهم واستوطنوها وهم الآن من وجهائها •

وفاته :

بعد أن سجل ـ عماد الدين زكريا القزويني ـ صائف مختلفة الالوان من الثقافة والنضوج الفكرى أدركه أجله المحتوم سنة ٦٨٢ هـ الموافقة لسنة ١٢٨٣ م وحملوه من الحلة الى بغداد ودفن فى بعض مقابرها .

٢٥ ـ سديد الدين سالم بن محفوظ

سديد الدين سالم بن محفوظ بن عزيزة بن وشاح السوراوى الحلي ـ من أفاضل النابهين من علماء الحلة ـ كان مفخرة لعلمائها واننا لنقف مندهشين حينما نقرأ سيرته المعطرة وتاريخه الحافل بجلائل الاعمال فى تلك الفترة التى كانت من أبرز فترات النضوج الفكرى فى الحلة وتاريخها الثقافى فقد حلّقت نفسه الرفيعة الى السماء الصافية فاقتبست من صفائها واشراق كواكبها ، وراحت روحه تستشف من و راء الحجب الكثيفة أسرار الكون وألغاز الوجود وفلسفة الحياة ودقائق العلم ، والمؤمن ينظر من وراء زجاجة ، فلم يكن يخفى على بصيرته ما يخفى على بصره وانّ له من ايمانه قوة خارقة تدفعه دفعا الى استكناه اسرار الوجود وفلسفة الحياة فيتذوق حلاوة المعرفة ولذة العلم ما يجعل الدنيا فى عينه أحقر من نواة فى فلاة . ولذلك كان لسديد الدين شأن خاص مهد لأن يحجز له صفحة ناصعة من سجل الخلود ، فهو من جهة العلم ، عالم نحرير له قيمته وكيانه ، وهو من ناحية الفلسفة فيلسوف له نظرياته وآراؤه وهو فى علم الكلام ، متكلم ضليع له مصنفات كثيرة يرويها العلامة الحلي عن أبيه عنه ، منها كتاب المنهاج فى علم الكلام ، وكتاب المحصّل ، والتبصرة وهى غير تبصرة العلامة الفقهية وله كتب جليلة أخرى والسوراوى أحد أساتذة المحقق الحلي فى علم الكلام قرأ عليه كتاب منهاج الاصول السالف الذكر وشيئا من المحصل كما تذكره التراجم والذى يلوح لي ان هناك كتابين للسوراوى باسم المنهاج أولهما فى

علم الاصول والآخر فى علم الكلام أو أن هناك خلطا فى التراجم فتارة تجعل كتاب المنهاج فى علم الاصول وتارة تعتبره فى علم الكلام والفرق بين علم الاصول وعلم الكلام كبير فالاول موضوعه أصول الفقه من مسائل الحرام والحلال ونحوهما ، وعلم الكلام ويسمى أيضا علم التوحيد يبحث فى العقدة الدينية كوجود البارى وعدله ونحو ذلك وتذكر كتب التراجم أن العلامة قرأ عليه شيئا من علوم الاوائل والذى أكاد أجزم به أنه يقصد بالاوائل السلف الصالح وليس المراد بهم أهل الجاهلية وان كانت العبارة توحى بالمعنى الثانى لأن من علوم الجاهلية القيافة والكهانة والعرافة والزجر فهل درس العلامة هذه العلوم على السوراوى ؟ ولا شك أن فى التعبير ركة ملحوظة • قال الشهيد فى بعض أسانيد (أربعينه) ان (السيد علي بن طاووس يروى عن الشيخ الامام العلامة رئيس المتكلمين سالم بن محفوظ بن عزيزة الحلي عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الاكبر عن عربى بن مسافر العبادى) وذكر الشهيد أن ابن طاووس قرأ عليه التبصرة وبعض منهاج الاصول كما مر عليك ، ويكفيه من علو المنزلة أن يكون مثل ابن طاووس ومثل المحقق الحلي من عداد تلاميذه ، فهو بحق أصبح رئيس الطائفة بوقته • وقد قال محمد علي اليعقوبى التبريزى فى ترجمة هذا الفذ انه ليس بابن الشيخ محفوظ بن وشاح الاسدى ، معللا ذلك بقوله ـ لان سالما الذى ذكره فى الروضات يروى عن رضي الدين بن طاووس وقرأ عليه المحقق وأنهى عليه كتاب منهاج الاصول فى علم الكلام وشيئا من علوم الاوائل وأخذ عنه أيضا والد العلامة الحلي وهؤلاء من مشائخ شمس الدين محفوظ فكيف يصح أن يكون سالم ولدا له مع تقدم عصره بكثير على محفوظ ومشائخه انتهى •

وكان الجدير أن يكون الرد من حيث سلسلة النسب فذلك هو محفوظ بن وشاح بن محمد ، وأما سالم هذا فهو سالم بن محفوظ بن عزيزة بن

وشاح ، فوشاح يكون والد محفوظ ووشاح جد محفوظ والد سالم فبين وشاح ووشاح ظهر" فلا يمكن أن يكون سالم ولدا لمحفوظ لعدم اتفاق الاسم فى سلسلة الآبا وان كان هنالك تشابه فى أسماء بعضهم ، كما أن سالما هذا ليس حلي الأصل وانما أصله من ـ سورى ـ وهى سوراء أيضا المعروفة الآن بأطراف قضاء الهاشمية من أقضية لواء الحلة باسم ـ سورة ـ واما محفوظ فأنه من صميم أهل الحلة وليس من أطرافها وملحقاتها وهذان الفرقان جديران بالاعتبار والانتباه اما ما ذهب اليه اليعقوبى والخاقانى وغيرهما من أسباب عدم بنوّة سالم بن محفوظ الى محفوظ بن وشاح لأن سالما الذى ذكره فى الروضات يروى عنه رضي الدين ابن طاووس وقرأ عليه المحقق ـ الى آخر قول اليعقوبى ـ وهؤلاء من مشائخ شمس الدين محفوظ فكيف يصح أن يكون سالم ولدا له مع تقدم عصره الخ .. فهذا القول من توهمات اليعقوبى فسالم ومحفوظ كلاهما من رجال القرن السابع وكلاهما قد عاصر المحقق الحلي فأما محفوظ فبينه وبين المحقق مراسلات ، وأما سالم فهو استاذ المحقق فأين ما زعمه اليعقوبى ومن لف لفه من تقدم عصر سالم بكثير على محفوظ وهما كما عرفت من عصر واحد وقد تلمذ سالم لنجيب الدين يحيى بن سعيد الاكبر وغيره فكان من أفضل تلامذة نجيب الدين وأنجبهم ومن شعره الابيات التى أولها :ـ

ان كنت تتبع الهوى   فعليك بالتقليد دابا

٢٦ ـ شميم الحلي سنة ـ ٦٠١هـ

هو أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر ـ أو عنترة ـ بن ثابت الملقب بمهذّب الدين شُمَيْم على وزن زبير بصيغة التصغير . هو ممن أنجبته الحلة فيمن أنجبت قال فى ترجمته ابن خلكان فى الجزء الاول من وفياته انه (كان أديبا فاضلا خبيرا بالنحو واللغة وأشعار العرب حسن الشعر وكان

اشتغاله ببغداد على أبى محمد بن الخشاب ومن فى طبقته من ادباء ذلك الوقت. ثم سافر الى ديار بكر ومدح الاكابر وأخذ جوائزهم واستوطن الموصل وله عدة تصانيف وجمع من نظمه كتابا سماه الحماسة ضاهى به كتاب الحماسة لأبى تمام الطائى وكان جم الفضائل الا انه كان بذىء اللسان كثير الوقوع فى الناس مسلطا على ثلب أعراضهم وذكره أبو البركات فى المستوفى فى تاريخ اربل وفتح ذكره بأشياء نسبها اليه من قلة الدين وترك الصلاة المكتوبة ومعارضته للقرآن الكريم واستهزاءه بالناس وذكر مقاطيع من شعره ، وفى شعره تعسُّف" وقال : سُئل لِم سُمِّيَ شميما فقال أقمت مدة آكل كل يوم شيئا من الطيب فاذا وضعته عند قضاء الحاجة شممته فلا أجد رائحة فسمّيتُ لذلك شميما) انتهى • وهذه الرواية لا تخلو من الدس اللئيم والافتراء المفضوح ـ شنشنة أعرفها من اخزم ـ مصهورة فى بوتقة الطائفية الحقيرة فقد اعتاد الناس سماع أمثال هذا التحامل المغرض لمجرّد المخالفة فى العقيدة وما أكثر التشنيعات التى ألصقوها الناس بخصومهم دون أن يراعوا حرمة الحق ودون أن يضعوا أيديهم على ضمائرهم تجاوبا مع احقادهم المتجحة فاذا لم يجد المؤرخ المتحيز المغرض من تجاهل شخصية مناوئة فأنه يذكرها مرغما وله طريقان الى التحدث عنها فاما أن يقتضب الحديث اقتضابا دون أن يعطى فكرة واضحة عن صاحب الترجمة ترفع من شأنه ، واما ان يحرّف ويخرّف فلا يبدى من تلك الشخصية الا الوجه الاسود وقد يكون اسودا بسبب سواد حقد المؤرخ وسواد ضميره كما فعل ابو البركات وكما فعل ابن خلكّان فى وفيات الاعيان ولكن هذا الرجل كان له بعض ورع وبقية من حياء فكان أقلّ تطرّفا فى محاربة الحق ولكنه لم ينس تلك الشنشنة بصورة نهائية فى ترجمة ـ شميم الحلي ـ فبعد أن اعترف بفضائله الجمة الحق قوله دون فصل باستدراكه التافه فقال (ولكنه كان بذىء اللسان كثير الوقوع فى الناس ولا يُثبت فى الفضل لأحد شيئا) ومما يدل على كذب

هـذه الرواية واختلاقها ما جاء فيها انـه صنف كتاب ـ أنيس الجليس فى التجنيس ـ فى مدح صلاح الدين فالرواية التى صرحت انه لم يُثبت لأحد فضلا هى نفسها التى حدثتنا انه صنع كتابا فى مدح صلاح الدين ومعناه انه يعترف بفضل الناس كصلاح الدين هذا وكذلك اعترافه بفضل المتنبى وابن نباتة وابن الحريرى حسب هذه الرواية المغرضة المتناقضة ولما كانت اعترافات الخصم مقبولة فى حق خصمه دون الطعون فيه فأننا نستنتج من الرواية فضل ـ شميم ـ الذى اعترف به المؤرخ ثم نغفل تلك الطعون حتى يقام دليل على صحتها • وعلى كل فأن أبا الحسن شميم النحوى الحلي من فقهـــاء الحلة البارزين ومن مجيدى ادبائها • يقترن ذكره بتاريخ فجر النهضة الثقافية فى الحلة التى نفثت فى العلم والادب روح الحياة والتجدد فنبغ فى عدة علوم وله فيها عدة مؤلفات وقد ساعده ذكاؤه المفرط على تفهمها فأتقانها ونبغ بنوع خاص فى علم النحو حتى اشتهر به فلقب النحـــوى لذلك وتبحر فى علم الصرف والمعانى والبيان والبديع وحذق علمى الفقه وأصوله واغترف من بحار علم العروض ما ينقع الغلة وأتقن علم المنطق وعلم الكلام وهـو يشبه الى حد بعيد ـ ملك النحاة ـ فى اعتداده المتطرف بنفسه وقد كان نضو أسفار فتجول بين الحلة وبغداد والشام والموصل ، وزمّ رحاله الى ديار بكر وله فى كل هذه المدن آثار من شعره وأدبه ثم انه آثر الموصل أن تكون له مسكنا فكانت له مدفنا و ـ النحوى ـ من علماء الشيعة المعمرين ومن هذه الجهـة وخزة خصومه تارة بالعقيدة وتارة بسوء التصرف وسوء التفكير ليقللوا من شأنه العلمى ويزروا بمقامه الرفيع ولكن تلك الوخزات آلمت القادح قبـــل المقدوح فزعموا أنه عارض القرآن الكريم وانه بذيء وانه وقد ضم كتاب المستوفى لأبى البركات الوانا شتى من هذه المعائب المفتعلة • كما أن الحموى أفرط فى خياله باختراع هـذه الاكاذيب فمما قاله فى ـ شميم ـ انه زار ـ آمد ـ فى شهور سنة ٥٥٤هـ فرأى اجماع أهلها على وصف هذا

الشيخ فقصده الى مسجد الخضر فوجده طاعنا فى السن فى حجرة من المسجد وبين يديه ـ جامدان ـ مملوء كتبا من تصانيفه فسلم عليه وجلس بين يديه فأقبل عليه وسأله عن بلده فأخبره بأنه من بغداد فهش به ثم زعم انه جاءه ليقتبس من علومه فأجابه بأن علومه كثـيرة واستطلع رأيه عن العلم الذى يحاول اقتباسه ، وانه كلما وجد الناس يستحسنون كتابا فى الادب عارضه بكتاب مثله ثم ان الحموى سأله عمن تقدم من العلماء فلم يُحسن الثناء عليهم، ثم زعم الحموى انه بسط للشيخ رغبته بالاستفسار منه عن شيء فتبسم وقال : ما أراك تسأل الا عن معضلة هات ما عنـدك . قلت : لِم سُمّيت بشميم ؟ فشتمنى ثم ضحك ثم أجاب الخ .. والذكى الفطن لا يخفى عليه تلفيق هذه الرواية وسخافتها وأهدافها المغرضة فقد ارسلها ارسال المسلمّات دون دليل والدعوى اذا خلت من الدليل فهى أشبه بالهذيان فالحموى اذا لم يطلع على أحوال شميم ولم يكن عارفا بعلمه وأدبه فكيف يقول له انه جاء ليقتبس من علومه واذا كان عارفا بشذوذه هذا وانحطاط قواه العقلية الى هذه الدرجـة التى تستوجب السخرية فكيف يزعم انه جاءه ليقتبس من علومه فالحموى اما كاذب أو صادق فان كان كاذبا فشأن الكاذبين معلوم فى القرآن المجيد وكيف نعتمد على رواية كاذب ؟ وان كان صادقا بأنه ذهب لاقتباس العلوم من شميم فلابد انه درس حاله وعرف تضلعه بالعلوم ولهذا سافر من أجل ذلك من بغداد الى الموصل وهذا اما يكذب ما وخزه به من هنات أو يجعل الحموى بمنزلة من الحماقة والجهل لا يحسد عليها بحيث يتحمل وعثاء السفر البعيد ويترك علمـاء بغـداد وعددهم وفـير ليدرس عند رجـل أحمق أرعن فاذا أردت أن تزيل الحيرة والشكوك فأسهل الطرق عليك أن ترمى مثل هـــذه الروايات التافهة فى سلة المهملات .

توفي ـ شميم الحلى ـ رحمه الله حسب رواية ابن خلكان فى الجـزء الاول من وفياته ليلة الاربعـاء الثامنـة والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة

٦٠١ هـ ودفن بمقبرة المعافى بن عمران بالموصل عن سن عالية عفى الله عنه وأسكنه بحبوحة جنته بعد أن ترك من آثاره ما يزيد عن اربعين مؤلفا منها : المحتسب فى شرح الخطب وكتاب مناحى المنى فى ايضاح الكنى والانيس فى التجنيس وكتاب المخترع فى شرح اللمع • والخطب الناصرية وكتاب الحماسة وغيرها •

٢٧ ـ ابن السكوني الحلي ـ ٦٠٦ هـ

تعجز ريشة المصور عن رسم صورة طبق الاصل لشخصية ـ ابن السكونى ـ فتحيط بتلك الجوانب لمتعددة من تاريخه الذى فيه العظمة والخلود • فقد كان الرجل ذا خلق ودين ، غزير العلم كثير الورع والزهد ، موفور الكرامة فوار النشاط ، رقيق الحسس ، مقداما جريئا ، فصيحا بليغا ، سواء فى شعره أو نثره ، وهو الامامى الاصولى الثقة من أئمة النحو واللغة والفقه وهو ليس من أولاد السكونى العامى المعروف • قال السيوطى فى طبقات النحاة (علي بن محمد بن السكون الحلى ابو الحسن • قال ياقوت : كان عارفا بالنحو واللغة حسن الفهم جيد النقل حريصا على تصحيح الكتب ، لم يضع قط فى طرسه الا ما وعاه قلبه وفَهِمَه لبُه ، وكان يجيد قول الشعر ، وكان نصيريا وله تصانيف ، مات فى حدود سنة ٦٠٦ هـ • وقال ابن النجار : انه قرأ النحو على ابن الخشاب واللغة على ابن العصار وتفقه على مذهب الشيعة وبرع فيه ودرسه وكان متدينا مصليا بالليل سخيا ذا مروءة ثم سافر الى مدينة النبى ـ ص ـ وصار كاتبا لاميرها ، ثم قدم الشام ومدح السلطان صلاح الدين ومن شعره :ـ

وانى أريد العيش ما رق أو صفا ونفسكما عن باعث الهم فاصرفا
ألم تعلما أن الهموم قواتل وأحجى الورى من كان للنفس منصفا

انتهى :ـ ولا ادرى هل ورود كلمة ـ نصيريا ـ جائت تحريفا الى

ـ بصيرا ـ فأنه اما تحريف من قلم الناسخ أو تخريف ، فالنصيرية فرقة من الباطنية ويدل على التحريف انها جائت فى سياق الفاظ المدح وتقاربها ونعته بأنه كان على مذهب الشيعة متدينا ولو لم يكن التحريف فلا مندوحة من التناقض ، وقد استدل صاحب البابليات بأنه ليس ـ نصيريا ـ بقوله (لو كان فى الحقيقة من النصيرية لما ذكره علماؤنا فى كتب الرجال وأطروه بالاكبار والاجلال) وهذا القول صحيح صريح وأزيد على ما قاله أن الرجل نشأ فى الحلة التى أنشئت على التشيع واستقى علومه ومعارفه من ينابيعها العذبة وتخرج على علمائها وليس للنصيرية فى الحلة مقيل • والسكونى نسبة الى السكون اسم لقبيلة يمنية وقد ترجمه صاحب كتاب الكنى والالقاب فى الجزء الاول فقال عنه انه (ابو الحسن علي بن محمد بن علي الحلى العالم الفاضل العابد الورع النحوى اللغوى الشاعر الفقيه من ثقات علمائنا الامامية ذكره السيوطى فى الطبقات ومدحه مدحا بليغا وكان رحمه الله حسن الفهم جيد الضبط حريصا على تصحيح الكتب • كان معاصرا لعميد الرؤساء راوى الصحيفة السجادية على منشئها آلاف السلام والتحية هو ابن السكون توفى فى حدود سنة ٦٠٦ هـ) وهذا كل ما تطرق اليه صاحب الكنى والالقاب من ترجمته وهو كما ترى فى غاية الايجاز لا يعطى فكرة تامة عن صاحب الترجمة ولكننا لا نعجز عن رسم هذه الصورة بطريقة الاستنتاج فنعرف انه كان عالما غزير المادة من كثرة كتبه والثناء عليها ونعلم شجاعته وذكاءه بتوصله للكتابة عند أمير مكة وهو رجل غريب لا أهل له هناك ولا عشيرة واما حسن ديانته فمن منحى مؤلفاته واجماع الناس حتى الذين يخالفونه فى العقيدة •

٢٨ ـ ابن بطريق ـ ٦٤٢ هـ

الدين والعقل ، الادب والعلم ، الرأى والبصيرة ، الاخلاق والتواضع ،

السخاء والوفاء هذه وكثير غيرها مما امتاز به الشيخ ابو الحسن يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد البطريق الذى كان الجوهرة الثمينة فى تاج القرن السابع ، ودرة فريدة من عقد علماء الحلة فى ذلك القرن الذى شابت فيه الدولة العباسية وآل أمرها أن تكون أشبه بالكرة تتلاعب بمقدراتها أيدى السلاجقة فى الشرق ، والدولة الايوبية الكردية فى مصر والشام وتلهو بها ايدى البربر فى المغرب ٠

القرن الذى اغتنم فيه ـ الصليبيون ـ ضعف الامة العربية وتفككها فغزوها من ناحية المغرب ولطمها المغول على وجهها لطمة دامية من المشرق بقيادة رسول الدمار والهلاك ـ هلاكو خان ـ فأخمد آخر انفاس تلك الدولة الهرمة خائرة القوة ضعيفة الكيان ، وسنة الله فى خلقه أن لا يعيش الا القوى الصالح ولا يبقى الا النافع المفيد [كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال][1] وفى وسط لجج صاخبة من الاضطرابات السياسية أثناء فترة الحكم المغولى قامت دولة القلم على انقاض دولة السيف ، فكانت الحركة العلمية على أشدها والنهضة الادبية تواكب سيرها وتسير معها فى طريق اليقظة جنبا الى جنب ولله خرق العادات فقد ازدهرت الحركة الثقافية ازدهارا عجيبا مدهشا قبل الحكم التترى وأثناءه وبعده فى ربوع الحلة الفيحاء فأخرجت هذه الفترة من علماء الامامية وادبائها ومفكريها باقات من الزهر الندى الفواح عطرت بأريجها الجو الفكرى عدة قرون منذ انباتها فى رياض الحلة الى هذه الساعة والى يوم يبعثون امثال ابن الباقلانى وعفيف الدين بن عقيل التاجر واسماعيل بن معية الحسنى وأبو الوفاء راجح الاسدى وعلي بن اسامة

---

(١) ومن هذه الآية الكريمة اختلست فلاسفة اوربا نظرية تنازع البقاء وبقاء الاصلح ٠

العلوى وابناء طاووس والنقيب جعفر بن معية وجمال الدين بن منيع وأبو الفضل البزاز ومهذب الدين الحيمى وأبو القاسم المحقق ونجم الدين ابن نما وابن الدربى وابن وشاح والشيبانى والحاسب وصاحب هذه الترجمة ومئات أمثالهم كما نبغ فى القرن الثامن أمثال تقى الدين ابن داود والشفهينى والصفي وكثير من اضرابهم والمترجم له من اولئك الامجاد الكرام والجهابذة العظام الذين يفتخر بهم وبنبوغهم القرن السابع ويعتز بآثارهم وبخصبهم الفكرى ، وهذا الرجل النبيه له مكانة رفيعة فى مجتمعه نهج نهج ابيه الجليل شمس الدين يحيى بن الحسن المتوفى سنة ٦٠٠ هـ مؤلف كتاب تاريخ ابن بطريق وكتاب العمدة ، والمناقب ، وتصفح الصحيحين فى تحليل المتعتين ، والرد على أهل النظر فى تصفح أدلة القضاء والقدر ، ونهج العلوم الى نفى المعدوم المعروف بسؤال أهل حلب ، وخصائص الوصى وغيرها وكان ولداه النبيلان محمد بن يحيى والمترجم له من أشهر أعلام هذه الاسرة العلمية الكريمة أصلهما من قبيلة بنى أسد وقد ذاع صيت صاحب هذه الترجمة واسرته حتى ذكره مصنف كتاب ـ انسان العيون فى مشاهير سادس القرون ـ من النسخة الفتوغرافية الموجودة بالمكتبة المستنصرية ببغداد تحت رقم (٥٩٥) ص ١٤٦ فقال (ويحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن الحسن ويعرف بالبطريق بن نصر بن حمدون بن ثابت الاسدى من أهل الحلة المزيدية قرأ بالروايات على أبى الغنائم ابن الحلابة ، وقرأ الفقه والكلام على مذهب الشيعة وبرع فيه ، وقدم بغداد وقرأ عليه الحمصي الرازى اصول الفقه والكلام على مذهب الامامية وأحكمها ، وقرأ النحو واللغة وسكن ـ واسط ـ الى أن توفى وكانت اليه الفتوى فى مذهب الشيعة وله نظم ونثر وخطب وكان يتزهد ويتنسك ، وجمع مناقب الامام علي ابن ابى طالب رضى الله عنه ورواها) الخ .. ومن لهجة مؤلف كتاب انسان العيون يتضح انه من اخواننا أهل السنة والجماعة وقد علمت منه حال يحيى بن الحسن والد

المترجم له وجلالة قدره فلا عجب أن يرث منه ابنه ـ علي ابن يحيى ـ تلك الخصائص والمواهب والقابليات ولسان حاله يقول :ـ

نبنى كما كانت أوائلنا　　　نبنى ونفعل مثلما فعلوا

وفى كتاب الكنى والالقاب فى ترجمة صاحب العمدة قال عنه انه (كان عالما فاضلا محدثا ثقة صدوقا) الى أن قال عنه (يروى عنه السيد فخار بن معد ، ويروى الشهيد عن محمد بن جعفر المشهدى عنه • وذكر أن أبا محمد بن جعفر قرأ كتبه عليه) نقل ذلك عن كتاب ـ أمل الآمل ـ وللمترجم له ، باع طويل فى العلم ومعرفة جيدة فى الادب وكان صديقا لعبد المجيد بن عبد الحميد شارح نهج البلاغة لامير المؤمنين ـ ع ـ الذى اعتنى بجمعه الشريف الرضى الموسوى وقد ذكره ابن ابى الحديد المذكور استطرادا فى كتابه شرح نهج البلاغة ولصاحب الترجمة شعر قد تحامل فيه على بعض العرب ومدح الاتراك وكان بودنا انه ما فعل ذلك ولعل ظروفه الخاصة الآنية هى التى اضطرته الى ذلك واما الشعر فهو قوله :ـ

الكفر فى الترك دون الكفر فى العرب　　　أليس منهم اذا عُدّوا ابو لهب ؟
أليس منهم أبو جهل وبنتهموا　　　عدوة المصطفى حمالة الحطب ؟
فيا امام الهدى يا خير من نظمت　　　له المدائح يا ابن السادة النجب
يا أيها القائم المنظور انت اذا　　　حضرتَ ، وجه رسول الله لم يغب
فأغزُ الاعاريب بالاتراك منتقما　　　منهم ، ولا ترع فيهم حرمة النسب
فقد غزاهم رسول الله فى حرم الله المنيع بأذن الله وهو نبى
وما رعى فيهموا الاً ولا نسبا　　　ولم يقل ان أمى منهموا وأبى
ان ادعوا انهم قد أسلموا فقد ار　　　تدوا بمنعهموا للحج عن كثب

وهذا الشعر كما يظهر انه شعر موتور ثائر قد قيل فى واقعة معينة وفى قوم من الاعاريب معينين وليس يريد الشاعر انتهاك حرمة الامة العربية ولا سل سيوف الترك عليها وان كان ظاهر اللفظ ُموهماً ذلك ومُشعرا

اياه فقد بين الشاعر سبب ثورته هذه وهو ارتدادهم لمنعهم حجاج بيت الله الحرام من اداء فريضة الحج ذلك المنع الذى أثار حفيظة الشاعر كمسلم ثورة عارمة دعته الى تحريض ـ المستنصر ـ الخليفة العباسي على قتال تلك الطغمة التى عاثت بالامن فسادا ومنعت الناس من اداء فريضة الحج جزاء على تمردها وبغيها حملة تأديبية تضع حدا لهوس هؤلاء الاشقياء من أجلاف عرب نجد الذين لا زالوا حتى اليوم دائبين على محاربة الاسلام الصحيح وبغض أهل البيت ومحو آثارهم وهدم قبورهم المقدسة كما يفعل الخوارج تماما فى تبني البدع باسم محاربة البدع والخروج عن الاسلام باسم الانضواء ـ تحت راية الاسلام ـ وقد أطلق الشاعر لفظ العرب وهو يريد طائفة خاصة منهم وهذا الاسلوب من سنن العرب وأسرار لغتهم فأنهم يأتون بلفظ عام ويقصدون به معنى خاصا كقولهم : يا ايها الناس وهم يريدون من حضر المجلس وقد لا يتجاوز عددهم العشرين ومن هذا قوله تعالى (ما كان للمشركين أن يَعْمُروا مساجد الله) والمراد به المسجد الحرام وهو مسجد واحد وكقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) والمراد به شخص واحد هو امير المؤمنين علي بن ابى طالب ـ ع ـ وكقول الشاعر :ـ

هزوا معاطفهم وهن رماح ونضوا لواحظهم وهن صفاح

وهو يريد محبوبا واحدا تغزل به وأحبه ولو بصورة الخيال الشعرى وكذلك صاحب هذه الترجمة أطلق لفظ العرب وأراد بعضهم من أوشاب الناس وأوباشهم المغيرين على الحجاج ، ولك أن تقول على سبيل الاعتراض ما شأن اعراب نجد بأبى جهل وأبى لهب وحمالة الحطب وانما المراد كافة العرب ولهذا جاء بهؤلاء للتدليل وفى حالة مفاضلة بين امة الترك وامة اعرب ، ولنا أن نجيب بأن ذلك ممنوع لتنافيه وحقيقة الحال فالخليفة المستثار من العرب والشاعر نفسه من العرب واستنجاد الشاعر بالخليفة ينفى عقلا أن يتمهد هذا الاستنجاد بذم قوم من يطلب معونته ونصرته وانما أراد

الشاعر العربى أن أعراب نجد وان كانوا من العرب ولكنهم أغراب عن الاسلام الصحيح وهم وان كانوا من العرب فليس لكل العرب حرمة النسب وأورد الشاعر أدلة على هذا القول كأبى لهب وأبى جهل وحمالة الحطب على وجه البرهان ولهذا قال الشاعر ـ لا ترعَ فيهم حرمة النسب ـ والا فأية حرمة نسب بين المستنصر العباسى وأعراب نجد ؟

الحملة الصليبية :

كان العدوان الصليبى الغادر على الاقطار الاسلامية بمثابة حركة استكشاف لقوة هذه الاقطار الحربية وقد خرج الاسلام من هذا الاختبار الصليبى مرفوع الرأس مكللا بالنجاح موفور الكرامة عريض الجاه ولكن الغريب المؤسف هو ذلك التباين الكبير بين الاسلام والمسلمين ، فبمقدار ما يحمله الدين الاسلامى من القوة والمنعة تجد ضعف المسلمين وتفككهم فضعف فى العقيدة وضعف فى الخلق الاجتماعى وضعف فى وحدة الصف وضعف فى الحياة الاقتصادية ، وضعف فى كل خصلة حميدة من صفاتهم ، وههنا تكمن المعجزة وهنا تكون الاعجوبة فقد فارق الصليبيون الغزاة بلاد الاسلام وهم فى شبه دوامة من تبلبل عقيدتهم الدينية عند اصطدامها بشرف مبادىء العقيدة الاسلامية فلم تقف عقيدة التثليث الوثنية أمام عقيدة التوحيد وتعرضت الى امتحان عنيف بل الى محنة كبيرة حينما أصبحت موضعا للشك فى صحتها عند البعض وانمحت تماما من نفوس الآخرين من عقلاء رجال الحملة الصليبية والمنصفين منهم ، وماذا تنتظر للظلام اذا اصطدم بضياء النهار؟ وما هى حالة القش أمام قوة العاصفة ؟ ولعلي لا أعدو الحق اذا قلت : أن تلك الحملة من أعظم الاسباب المباشرة الى دعوة ـ لوثر ـ الاصلاحية والمشجعة للآخرين على انتقاد المسيحية وصلاحيتها كدين سماوى سليم وبأمثال هذه الآراء والشكوك تطايحت شرفات كثيرة من الواجهات الامامية من مذهب

ـ الكنيسة الكاثوليكية ـ ومن هذه الشرفات المزخرفة المنهارة القول بعصمة ـ البابا ـ فقد حاربها بعضهم بشدة فضويقت مساحة هيبة ـ البابا ـ وأفقدته الشيء الكثير من سلطانه ونفوذه التعسفي المطلق ونزعت عنه هذه الشكوك والآراء الجديدة أثمن ثوب نسجته له الخرافة على منوال السلطة الكاثوليكية التقليدية ردحا من الزمن • فاذا كان ذلك الاحتكاك بالاسلام مسيئا الى البابوية فأنه قد أحسن احسانا منقطع النظير الى الغربيين حين فتح عيونهم على نور الاسلام وحريته التي أعطاها لمعتنقيه بينما كانت هذه الحرية في الغرب سجينة التقاليد البالية وبذلك انطلقت عقول هؤلاء من أسر الاوهام الى حرية التفكير وحرية النقد وحرية الضمير فكانت هذه الحرية الخطوة الاولى بمجالات الانطلاق العلمي في طريق جديد سليم متين المقومات الذاتية ، من تجربة ودقة ملاحظة دفعت بالمجتمع الغربي الراقد الى حياة جديدة لا جمود فيها ولا أغلال ولا قيود ، أو على الاقل كان فيها تقليص ملحوظ لدائرة ذلك الجمود وقَطْعٌ حلقات كثيرة من سلسلة تلك القيود التي ما أنزل الله بها من سلطان • وأثبت الاسلام كفاءته وصلاحيته لأن يكون دين الله الخالد الذي يساير العلم في كل مرحلة من مراحل الوجود وفي كل دور من أدوار الحياة في كل زمان وفي كل مكان بما أودع الله به من عناصر الخلود ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون •

فللاسلام فضائله ومميزاته وشخصيته ، قد حارب الرق فقال : كونوا احرارا في دنياكم ، وحارب الجهل فقال : اطلبوا العلم من المهد الى اللحد ، وقوله تعالى : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون • وساوى بين الذكور والاناث في طلب العلم فقال : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وحارب القذارة فقال : النظافة من الايمان ، وحارب الشعوبية والعنصرية فقال : كلكم من آدم وآدم من تراب • ان أكرمكم عند الله

أتقاكم ، وحارب الفوضى فقال : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيتـه ، وحارب الكذب فقال : لعنة الله على الكاذبين ، وفتح طريق العز والكرامة فقال : انما العزة لله ورسوله والمؤمنين ، وأمر بالتقوى والصدق فقـال : يا ايها لذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، وأمر بالصبر والثبات فقال: واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ، وحث على الألفـة فقال : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله اذ كنتم اعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وحث على الامر بالمعروف وهو عماد الاسلام فقال : ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ، وأمر بالنصيحة فقال : ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ، وانما الدين النصيحة ، وأمر بشكر المنعم فقـال : وسيجزى الله الشكور ، وأمر بالشجاعة فقال : ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ، وأمر بعدم الاغترار بالظواهر فقال : واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ، وأمر بالاعتماد على الله فقال : ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ، وأمر بمضاء العزيمة وعدم التردد فقـال : فاذا عزمت فتوكل على الله ، وأزرى بالشك والاوهام فقال : وما يتبع أكثرهم الا ظنا ، وأمر بالتجنب عن اتهام البرىء فقال • ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ، ونهانا عن تصديق الفاسقين فقال : واذا جائكم فاسق بنبأ فتبينوا ، وأمر فى امهال المدين المعسر فقال : وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، ونهى عن الرشوة وأمثالها من أكل الناس بالباطل فقال : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون ، وأمر بالعدل فى الحكم فقال : واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، وأمر بايفاء الكيل فقال : أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض

مفسدين ، وأمر بالكرم والسخاء فقال : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ونهى عن التدخل بما لا يعني فقال : ولا تقفُ ما ليس لك به علم ، لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ، وحث على العمل فقال : ولكل درجات مما عملوا ، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، وجعل الجزاء من جنس العمل فقال : فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، هل جزاء الاحسان الا الاحسان ، وفي المسؤولية ، ولا تزروا وازرة وزر اُخرى وفي اباحة المحظور عند الاضطرار قال : فمن اُضطرّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا اثم عليه ، وأمر في الشورى فقال : وشاورهم في الامر ، وأمر في القوة فقال : وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ، وأمر في السلم فقال : يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ونهى عن ايذاء البائسين فقال : وأما السائل فلا تنهر ، وحرّم الربا فقال : وأحل الله البيع وحرم الربا ، وقال يمحق الله الربا ويُربْي الصدقات ، ونهى عن الخمر والميسر فقال : يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ، ونهى عن رذيلة الزنا فقال: ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ، وازرى بالبخل والحرص فقال : ومن يبخل فانما يبخل على نفسه ، وحرّم نظام الجاهلية الفاسد المتهرىء ونادى بشعار الاخوّة الانسانية فقال : انما المؤمنون اخوة ، بحيث لا فضل لعربيّ على اعجميّ الا بالتقوى ، فحارب التميز العنصري قبل اربعة عشر قرنا في حين نرى ادعياء المدنيّة والحضارة الجديدة يحاربون اخوانهم البشر لا لذنب اقترفوه ولا لخطيئة ارتكبوها وانما لسبب واحد هو أن لون بشرتهم ليست بيضاء وليس لهم في اختيار تلك البشْرَة ارادة مقتدين بأبيهم ابليس الذي هو أول من سنّ سياسة التميز العنصري بقوله في آدم خلقتَه من طين وخلقتني من نار فشنّت هذه الحكومات التي تزعم انها في ذروة التمدن هجومها الباغي على الملونين كما فعلته فرنسا زعيمة دعوة الحرية المزعومة في الشعوب الافريقية وكما تفعله بريطانيا الاستعمارية

فى الزنوج الذين يعيشون ببلادها وكما تصنعه امريكا بالهنود الحمر مع أنهم أهل البلاد الاصليون حتى أصبحوا من قلتهم كنماذج قليلة فى متحف التاريخ الطبيعي ، وبذلك تستطيع أن تلمس الفروق الشاسعة بين مدنيّة الاسلام ومدنيّة هؤلاء الزعانف التى تبيح لنفسها كل هذه البوائق واستحلال الاحتلال والتسلط بالقوة على الشعوب الآمنة وسرقات ثرواتها وافساد ناشئتها وآدابها كما تعيش الطفيليات على غذاء غيرها ، فقل للذين اعمى الله قلوبهم واعشى بريق الحضارة العصرية عيونهم عن مشاهدة مجد دينهم وشرف عقيدتهم الاسلامية وسموّ مبادئها لينظروا هذا التفاوت الكبير بين انسانية الاسلام ووحشية التمدن الجديد الذى يهدد بافناء البشرية متبجحا انه اخترع قنبلة ذريّة زنتها خمسون مليون طنا ، فلا وقاية للبشرية من طاعون المدنية الحديثة وجراثيمها الا بالاسلام الصحيح وتعاليمه النبيلة واذا استعمل الانسان عقله وعصى هواه فانه سيذهب الى حق الاسلام مبتعدا عن باطل المدنية الحديثة معترفا بربوبية من أوجده من العدم وجهّزه بهذه الملكة العجيبة المدهشة التى يسمّونها ـ العقل ـ فهو المصباح اذا وضعته أمامك استبصرت به وأزحت عنك الظلام واذا تركته خافك لم تنتفع به وسرت بالظلام الدامس حتى كان الثواب الاخروى على مقدار عقل المطيع فقد قال ابو عبدالله ـ ع ـ ان الثواب على قدر العقل • فاستعمل هذه الموهبة المدهشة واعزل عنها النفس الملوثة بمكروبات المعصية فالعقل ضمين بايقافك على الصراط المستقيم •

٢٩ ـ رضيّ الدين ابن طاووس ٥٥٩ـ٦٦٤ هـ

لأبي الفضائل المار ذكره بعدد ـ ١٩ ـ من هذا الكتاب اخ فاضل وعلامة بارع هو رضيالدين علي بن موسى بن جعفر ولرضيالدين هذا ولد صالح يحمل اسمه ولقبه وكنيته ولكن اذا أُطلق ـ رضي الدين

ـ ينصرف الى أبيه صاحب هذه الترجمة ولرضي‌الدين الابن كتاب ـ زوائد الفوائد ـ ينقل عنه العلامة المجلسي الا انه لم يشتهر شهرة أبيه المترجم له فقد كان رضي الدين الأب من خيرة العلماء الاعاظم يكنى بأبي القاسم له منزلة علمية رفيعة كمنزلة أخيه العلامة ابي الفضائل ـ له كتاب الاقبال فى الادعية والاذكار وكتاب بهجة الخاطر وكتاب فرج المهموم فى تاريخ‌النجوم وكتاب سعد السعود وكتاب الطرائف ومصباح الزائر وجناح المسافر فى ثلاثة مجلدات وكتاب أمان الاخطار فى ٢٣ بابا يحتوى على كتاب برؤ الساعة لابى بكر محمد بن زكريا وله كتاب مضمار السبق فى ميدان الصدق وكتاب الملهوف وكتاب جمال الاسبوع وكتاب منهج الدعوات وكتاب الدروع الواقية وكتاب البشارات بقضاء الحاجات وكتاب ربيع الاسابيع وكتاب التعريف للمولد الشريف وكشف المحجة وغيرها من الكتب الكثيرة المتنوعة المواضيع

قال صاحب كتاب ـ أمل الآمل ـ بصدد كتابه ـ البشارة ـ الذى يشاركه باسمه كتاب البشارة للسيد مجدالدين محمد ما هذا لفظه : (نقل الشيخ حسن بن سليمان بن خالد الحلى تلميذ الشيخ الشهيد محمد بن مكى فى كتابه مختصر البصائر عن كتاب ـ البشارة ـ لابن طاووس ، وهو غير كتاب البشارة لابن أخى أبى الفضائل النقيب السيد مجدالدين محمد بن السيد عزالدين على بن طاووس وهو الكتاب الذى أهداه الى السلطان ـ هلاكوخان ـ فسلمت الحلة وكربلا والنجف والنيل من شر حملة هلاكو عند توجهه الى بغداد سنة٦٥٦هـ ورد الى السيد مجدالدين النقابة بالفرات) الخ •

وقد اشتهر السيد رضى‌الدين والد السيد رضى‌الدين الثانى ـ بلفظ ابن طاووس ـ أكثر من اشتهار أفراد اسرته • أما ولادته الميمونة فكانت بالحلة سنة ٥٥٩هـ ونشأ متنقلا بين محافلها تنقل البلبل من زهرة الى زهرة ومن غصن الى غصن فنهل من ينابيع مناهلها العلمية حتى ارتوى أو كاد ثم

ذهب الى بغداد وأنفق فى عاصمة العراق خمسة عشر عاما من عمره فى ظل الخلافة العباسية فكان فى بغداد موضع حفاوة وتبجيل ثم قفل راجعا الى الحلة ومكث فيها مدة ثم رأى أن يجاور العتبات المقدسة ، النجف ، وكربلا ، فسكن فى هذه المدن فترة من الزمن ثم سافر الى الكاظمية وكانت اقامته فى كل مدينة من هذه المدن مددا متساوية لا تتجاوز اقامته فى كل منها ثلاث سنين ، وسكن بغداد فى ظل الحكم التترى فتولى النقابه بعد أن رفضها بشمم حينما عرضها عليه المستنصر العباسى وبقى نقيبا أربع سنين الا شهرا واحدا ابتداء من سنة ٦٦١هـ وبعد ذلك استمرت النقابة فى عقبه من بعده ، ولما تولى النقابة جلس فى مرتبة خضراء وكان الناس بعد كارثة المغول قد رفعوا السواد ولبسوا اللباس الاخضر فقال الشاعر علي بن حمزة العلوى يهنئه من البحر الطويل :ــ

فهـذا عليٌ نجل موسى بن جعفرٍ	شبيه عليٍ نجل موسى بن جعفـر
فذاك بدستٍ للامـامـة أخضـر	وهـذا بدسـت للنقابـة أخضـر

لان المأمون العباسى لما عهد بولاية العهد الى الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ألبسه لباسا أخضر وأجلسه على وسادتين خضراوين وغيَّـر السواد وهو شعار الدولة العباسية وأمر الناس بلباس اللون الاخضر فلبسها الناس ولبسها النقيب من بعد ذلك فى عهد هلاكوخان وللمترجم شعر رواه المترجمون منه قوله :ــ

خبت نار العـلا بعـد اشتعـال	ونادى الخير : حيَّ على الزوال
عدمنـا الجـود الا فى الامانى	والا فى الدفـاتـر والامـالى
فيـا ليت الدفـاتـر كنَّ قوما	فأثرى الناس من كرم الخصال
ولـو أني ُجعلت أميـر جيش	لمـا حـاربتُ الا بالسـؤال
لان النـاس ينهـزمـون منـه	وقـد ثبتـوا لأطـراف العـوالي

والبيتان الاخيران يجوز أن يكونا من باب توارد الخاطر أو كانا على سبيل التضمين فانها من شعر أبي هلال العسكري من رجالات القرن الرابع الهجري كما وردا في ترجمته .

ويحدثنا التاريخ أن رضي الدين هذا وابن أخيه السيد مجد الدين محمد بن الحسن بن موسى ووالد العلامة الشيخ سديد الدين يوسف بن علي ابن المطهّر والفقيه الجليل ابن أبي الغر أو ابن أبي العز وجماعة آخرين شكّلوا وفدا علميا سياسيا لمقابلة ـ هلاكو ـ قرب بغداد برآسة الشيخ الجليل سديد الدين وكان يليه بالرتبة صاحب هذه الترجمة لطلب الامان من الملك المغولي هلاكو الى أهل الحلة ونقلت التراجم عن العلامة الحلي انه قال في كتابه (كشف اليقين في باب مغيّبات أمير المؤمنين) ـ ع ـ [ومن ذلك اخباره بعمارة بغداد وملك بني العباس وأحوالهم وأخذ المغول الملك منهم ، رواه والدي وكان ذلك سبب سلامة أهل الكوفة والحلة والمشهدين الشريفين من القتل . لما وصل السلطان هلاكو الى بغداد قبل أن يفتحها هرب أكثر أهل الحلة الى البطائح الا القليل فكان من جملة القليل والدي والسيد مجد الدين ابن طاووس والفقيه ابن أبي العز فأجمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنهم مطيعون داخلون تحت ـ الايلية ـ وأنفذوا اليه شخصا أعجميا فأنفذ السلطان اليهم ـ فرمانا ـ مع شخصين يقال لاحدهما ـ نكلة ـ وللآخر ـ علاء الدين ـ وقال لهما ان كانت قلوبكم كما وردت به كتبكم تحضرون الينا ـ الى أن قال ـ فخافوا لعدم معرفتهم بما ينتهي به الحال اليه ، فقال والدي ان جئت لوحدي كفى ؟ فقالا نعم . فأُصعد معهما فلما حضر بين يديه وكان ذلك قبل فتح بغداد وقبل قتل الخليفة ، قال له : كيف قدمتم على مكاتبتي والحضور عندي قبل أن تعلموا بما ينتهي اليه أمري وأمر صاحبكم ؟ وكيف تأمنون أن يصالحني ورحلت عنه ؟ فقال والدي : أقدمنا على ذلك لانا روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ ع ـ انه قال في خطبته الزوراء

ـ ثم ذكر العلامة الخطبة التي فيها وصف المغول وفتحهم بغداد وقال بعد ذلك ـ فلما وصف لنا ذلك ووجدنا الصفات فيكم رجوناك فقصدناك ، فطيب قلوبهم وكتب لهم فرمانا باسم والدى يطيب فيـــه قلوب أهل الحـلة وأعمالها] الخ ..

ولربما تلاحظ ما يشبه التدافع فى رواية العلامة الحلي فقد صرح اولا بأن والده قال للرسولين ـ [ان جئت ' لوحدى كفى؟ ووافق الرسولان وذهب معهما بمفرده ومعناه انه لم يكن هناك وفد ثم نرى أن هلاكو يوجه خطابه الى جمع كقوله كيف قدمتم ؟ فاذا حملنا ضمير الجمع على التعظيم فواقـع الحال يخالف ذلك فأى تعظيم لخائف مرتاب جاء يطلب الامان وحقن دمـه من فاتح جبار غشوم ظلوم ، ويؤيد ذلك اجماع المؤرخين على وجود الوفد الحلي ، ولأجل التخلص مما يشبه التهافت نقول : يجوز أن يكون الشـيخ سديد الدين ذهب اول الامر بمفرده مع الرسولين وبعد اطمئنانه من حسن نية السلطان رجع الى الحلة ليعود مرة أخرى على رأس الوفد كما يؤيده . ما نقله من خوف المتخلفين عند طلب هلاكو حضور هؤلاء الذين كاتبـوه بأنهم مطيعون وقوله فأصعد معهما ـ ولم يقل فأصعدوا وقد نقل الفخرى فى تاريخه ـ الآداب السلطانية ـ انه لما فتح السلطان هلاكوخان المجوسى بغداد سنة ٦٥١ هـ أمر أن يُستفتى من علماء العراق أيهما أفضل ؟ السلطان الكافر العادل ، أم السلطان المسلم الجائر ؟ وأيهما أحق بأمر الخلافة ؟ فجمع العلماء بالمستنصرية ولما وقفوا على الاستفتاء أحجموا عن الفتيا وكان السيد العـــابد الزاهد ـ رضي الدين ابن طاووس ـ المترجم له حاضرا وكان مقدما محترما من علماء العراق فتناول الاستفتاء ووضع خطه فيه بتفضيل الكافر العـــادل فوضعت العلماء فيه خطوطهم بعده بلا توقف . انتهت الرواية .

وهذا يدل على أمرين أولهما على ما للمترجم له من مكانة علمية سامية وثقة كبيرة عند علماء العراق على اختلاف مذاهبهم ، وثانيهما يدل على عـدم

تعصب علماء الامامية الا للحق وحده ، ويجوز للمعترض أن يقول أن فتيا ابن طاووس تتعارض وقوله تعالى ـ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ـ والكافر ظالم لنفسه بكفره فتفضيله ترجيح بلا مرجح والجواب ، ان احتمال التوبة من المسلم تجوز كما يجوز احتمال توبة الكافر ايضا فهو فى الجانبين مجرد احتمال وظن ، اما وجه تفضيل الكافر فالذى أراه أن ابن طاووس جعل نصب عينيه قاعدة ارتكاب أقل القبيحين وأهـون الشرين ، ولا شك ان كفر الكافر عليه ـ ومن كفر فعليه كفره ـ واما عدله فللناس واما المسلم الظالم فظلمه لنفسه وللناس وفى ظلم الناس يختل النظام الاجتماعى لأن العدل أساس الملك فقبح" واحد وهو ظلم الكافر لنفسه أقل من قبيحين ظلم النفس وظلم الناس وشر واحد أهـون من شرين كما قال الشاعـر : (حنانيك بعض الشر أهون من بعض) وقد وجدت للفاضل عباس عزاوى المحامى فى كتابه الجليل (تاريخ العراق بين احتلالين) ص ٢٦٢ ج ١ قوله (انه لا مجال لهذه الفتوى بعد العلم بأن السلطان المسلم مهدد بالأمة وسخطها عليه وخلعه والتلزم أن لا تُقبل حكومة الكافر وولايته . واليوم بصـورة عامة لا ترضى الامة أن تُحكَم الا بنفسها والادارة أو الارادة للامة وتختار رئيسها ليمثل رغبتها ويمضي طبق ما تريد والتهديدات الالهية كثيرة فى لزوم اتباع المسلم دون سواه) اما نحن فنخالف حضرة الاستاذ فى رأيه هـذا فالفتوى صحيحة ومنطقية بدليل اجماع علماء العـراق على صحتها ووضع خطوطهم بالموافقة عليها ولو كانت مخالفة للشرع لما حصل اجماع علمـاء الفريقين عليها ولحصل معترض واحد على أقل تقدير ، أما تفضيل المسلم كما يراه الاستاذ بزعم انه مهدد بسخط الامة عليه وخلعه فلو كان لهذا التهديد الخيالي من أثر لكان مانعا للسلطان عن ظلمه . ولما علمنا استمرار ظلمه وعدم ملاحظته لهذه التخيلات علمنا ان ذلك التهديد لا أثر له مع أن قول الاستاذ خارج عن دائرة المسألة فأن محتواها وفحواها انه اذا دار الامر بين سلطنة

المسلم والكافر فهل الاصوب اختيار الكافر العادل ؟ أم المسلم الجائر ؟ فأنه اذا اختارت الامة الكافر العادل كما حصل فى هذه الحادثة كان الرأى رأى الامة والاجماع حجة • اما قول الاستاذ بعدم ولاية الكافـر فمصادرة على المطلوب لأن هذا الامر هو محور البحث والنزاع فلا يكون دليلا واما قول حضرته واليوم بصورة عامة لا ترضى الامة أن تُحكم الا بنفسها فخارج عن صدد المسألة فالمسألة فى صلاحية الحكم للكافر العادل أو المسلم الجائر فقد يكون الكافر العادل من جملة ابناء الامة فلا يبقى وجه لقوله ان الامة لا ترضى الحكم الا بنفسها ، كما لا نرى وجها لقـول الاستاذ الفاضل ، والادارة أو الارادة للامة ، فذلك خارج عن موضوع النزاع أيضا وليس له صلة بصلب المسألة فاختيار الامة للكافر العادل لو تحقق فهو من ارادة الامة وادارتـها ولكننا نبحث فى جهـة هـذه الارادة لا فى الارادة نفسها واما رأيه بأن التهديدات الالهية كثيرة فى لزوم اتباع المسلم فهذا ايضا محل النقاش لأن الظالم خارج عن تعريف المسلم ـ المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ـ وعلى هـذا الضوء قامت فى الدنيا دعـوة صارخة سميت فى ايران باسـم ـ المشروطة ـ وفى تركيا باسم ـ الحـرية وفى روسيا باسم ـ البلشفك ـ ولكن هذه الدعوة مهما اختلفت اسماؤها كانت فى الظاهر حركة اصلاحية بوجه الاستبداد والظلم ولأجل توفير الحياة الكريمة لجميع أفـراد الشعب ولكنها فى الحقيقة تخفي غير ما تُظهر فقد كانت الخطوة الاولى نحو الشيوعية الهدامة والرعاع تستميلهم الالفاظ البراقة الخادعـة ـ كالسلام العالمى ، والدفاع عن حقوق المرأة ، ومساعدة العمـال والفلاحين والديمقراطيـة والصداقة وصيانة الجمهورية ومحاربة المؤامرات ، والمقـاومة الشعبية ولكن رأى لشعب بأم عينه مدى صدق هذه الشعارات والنداءات أبان المد الاحمر الذى جرف القيم الانسانية ولوث الكرامة البشرية وأظهر للناس ما تخفيه هذه الحركات الهدامة من سم زعاف لقتل المجتمع وتفكك أواصره •

ويلاحظ القارىء في جواب ابن طاووس لباقة وعبقرية فقد كان الاستفتاء يتضمن نقطتين اولهما الاستفسار عن صلاحية المسلم الجائر للحكم أو الكافر العادل وثانيهما الاستفسار عن أيهما أحق بالخلافة ؟ فأجاب على الشق الاول من هذه المسألة وتجاهل الشق الثاني مع أنه أهم لأن أعطاء الخلافة الى المسلم العادل فضلا عن الكافر العادل يخالف العقيدة الشيعية لان الخلافة معناها الخلافة عن الرسول ـ ص ـ مرادفة للامامة فهي منصب ديني الهي ليس من صنع البشر وأما السلطنة فزمنية كالمشيخة وبعض الامارات فيجوز للكافر العادل أن يتولى هذه السلطنة اذا لم يزاحمه المسلم العادل ومن هذه الحادثة نستنتج أهلية صاحب هذه الترجمة للاستقلال بالفتوى وبهذا نرد على عالم الشيوعيين عبد الكريم بن الماشطة فيما نشره بجريدة ـ الفيحاء ـ لصاحبها عبد الرزاق الحسني سنة **١٩٢٧** من أن المترجم له ، أحجم عن الفتيا تورعا ولا أعرف موقع هذا التورع وهو مجتهد والفتيا من مهام وظائفه سلبا أو ايجابا وقد أفتى في مسألة سياسية ودينية لها خطورتها واذا لم يكن لديه وجه لصحة المسألة فبأمكانه ابطالها فما معنى التورع ؟ انه ذم في صورة المدح •

وفاته :

استأثر الله تعالى بروحه الطاهرة يوم الاثنين خامس ذي القعدة سنة **٦٦٤** هـ ويجوز لنا أن نؤرخ وفاته بقولنا :

مـذ مات آثار العلو   م أرخوها : درست **٦٦٤**

وقبره مزار مقدس بمقربة من بناية سجن الحلة المركزي الحالي وبقربه من الجهة الخلفية مرقد ابن أخيه غياث الدين عبد الكريم وفي نهاية بساتين الجامعين قبر ولده رضي الدين علي بن طاووس وما قيل من أن قبره بالكاظمية أو بالنجف ليس بمحل اعتماد بل هو مجرد احتمال •

٣٠ ـ عبدالكريم غياث الدين ابن طاووس
٦٤٨ ـ ٦٩٣ هـ

علاقة العالم بالمجتمع أشبه بعلاقة العقل بالجسد ، فهو عـــدة تفكيره ومركز احساسه وتوجيهه ، فكما أن الجسم يحتاج الى العقل والا سقطت قيمته فكذلك الامة فى حاجة الى العالم المصلح والا ذهبت تائهة فى بيـــداء الحياة وفقدت الصلاح وهو أفضل مقوماتها الذاتية ، ولا ريب أن صاحب الترجمة أفضل مثال للعالم الدينى المصلح الذى أفنى حياته فى سبيل عقيدته وخدمة أمته فكان جزاؤه منها ذلك الاحترام والتقدير وما يقتضيه البحث فى استكناه شخصيته الفذة هو تمهيدنا بأيجاز عن اسرته الكريمة وهى اسرة آل طاووس العلمية الجلية • فنقول :ـ

ان جد هذه الأسرة هو أبو عبد الله محمد بن اسحق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن ابى طالب عليهم السلام لقبوه بالطاووس لجمال رائع فى وجهه ونقص فى رجليه فقيل الطاووسى على وجه التشبيه وهو أول من تولى أمـــر النقـابة بسوراء ، وكان معروفا بشدة التزهد والتقوى والتعفف عما فى أيدى الناس وله ابناء وأحفاد أحيوا ذكره وساروا على طريقته المثلى منهم أبو الفضائل احمد الذى مرت ترجمته عليك برقم (١٩) ومنهم رضي الدين علي ورضي الدين ولده وصاحب هذه الترجمة وهـــو ابن أبى الفضائل احمد بن موسى بن جعفر فرضى الدين الاول عـــم عبد الكريم غياث الدين ورضى الدين ابن رضى الدين ابن عم عبد الكريم ورضى الدين الاب ورضى الدين الابن ولده اشتركا فى الاسم والـكُنية واللقب وكل منهما يكنى بأبى القاسم ويلقب برضى الدين ويسمى بعلي وكذلك رضى الدين ابى القسم علي بن غياث الدين عبد الكريم وهو من غريب الاتفاق •

حذا عبد الكريم حذو أبيه أبي الفضائل علما وادبا وزهدا وورعا وكان كما كان أبوه مشعلا يستضاء بنوره في مدلهمات الخطوب فقد وهبه الله تعالى حسا مرهفا وذهنا صافيا وروحا شفافة فهو قوى الهاجس والذاكرة والشخصية والايمان والقلب ، دقيق الملاحظة ينطبع على لوح ذهنه الصافي كل ما يسمعه فلا ينساه حتى نقلوا عنه أنه رحمه الله استظهر القرآن المجيد حفظا وهو في الحادية عشرة من عمره وبمدة وجيزة ، كما انه تعلم القراءة والكتابة في أربعين يوما بنفسه دون معلم فهو معلم نفسه قال في ترجمته صاحب كتاب روضات الجنات أنه (حائري المولد حلي المنشأ بغدادي التحصيل كاظمي الخاتمة) ولما كانت الحلة وطن أسرته ومسقط رأس والده ومحل سكناه ولم يهاجر والده أبو الفضائل الى كربلاء المقدسة لاستيطانها فكيف تكون ولادة ابن عبد الكريم في كربلاء ؟ ان هذا الريب يزول بسرعة ويتلاشى اذا امكن أن نقول بأن امه ذهبت لزيارة الامام الحسين عليه السلام وهي حبلى مُقْرِب" فولدته في كربلاء وعادت به الى الحلة بعد أداء مراسيم الزيارة وكذلك أجد وهناً في تعبير صاحب روضات الجنات رحمه الله فانه بعد أن حكم على المترجم له بأنه حلي المنشأ ويعني ذلك أن تحصيله العلمي كان في الحلة فكيف يصح بعد ذلك قوله فيه انه كاظمي التحصيل لا سيما وقد وصفه بالذكاء المبكر الفوار والحفظ الشديد وهو في بيئة علمية جليلة وفي بيت علمي عظيم فهل أهمله أبوه وأسرته وأغفلوا هذه القابلية فيه وتركوه في الطرقات يلهو مع ابناء الشوارع دون توجيه فلما ذهب الى الكاظمية تلقى تحصيله العلمي هناك انّ هذا الرأي لا يستقيم والمنطق الصحيح والذي أراه ان التعبير خان المؤلف وانه أراد أن يقول انه أكمل تحصيله في الكاظمية فقال ـ كاظمي التحصيل ـ وليس في تعبيره كذب لأن اكمال التحصيل معناه التحصيل ايضا ولكنه لرفع الايهام كان يجب أن لا يعمد الى تلك الجملة الركيكة .

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

قال فى ترجمته صاحب كتاب ـ رياض العلماء ـ أنه [الامام العالم الفاضل العلامة الفقيه الكامل الجامع الفهامة صاحب كتاب ـ فرحة الغري ـ وغيره من المؤلفات ، كان شاعرا منشئا اديبا بليغا ، وقد مدحه الشهيد الثانى فى اجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد . ومن جملة ما قال فيها [صاحب الكرامات والمقامات] الخ .. فهذا النابه الكريم أخذ من أبيه أبى الفضائل كل ما فيه من مكارم وفضائل وأخذ من عمه رضى الدين ما فيه من نبل وشرف وصلاح ورآسة وجلالة حتى كان فى كل ذلك مضرب المثل ، فهو نسابة . نحوى . عروضى . أصولى . متكلم . فقيه . شاعر . منشىء . تلمذ لعمه رضى الدين علي بن سعد الدين موسى ولأبيه أبى الفضائل والمحقق الحلي والسيد عبد الحميد وهذا دليل على أنه حلي التحصيل .كما تلمذ على الخواجة نصير الدين الطوسى وهذا يدل على أنه أكمل التحصيل فى الكاظمية وعلى المؤرخ أن يقارن ويستنتج والا فالتاريخ أشبه ببحر الظلمات الذى تروى عنه الاساطير . وقد تلمذ المترجم لعلماء الشيعة ومنهم من ذكرناهم كما تلمذ لعلماء اخواننا أهل السنة مما يدل على وجود الالفة بين الفريقين قبل أن يفسدها المستعمر بدسائسه الحقيرة وقد كان استاذا لجماعة كبيرة من علماء الامامية ولعلماء أهل السنة كأحمد بن داود والشيخ عبد لصمد ابن ابى الجيش الحنبلى والشيخ علي بن الحسين الليثى الواسطى وغيرهم من مشاهير العلماء الحاذقين .

مؤلفاته :

لعبد الكريم مؤلفات كثيرة غنية عن البيان منها كتابه الذى اشتهر به ـ فرحة الغري ـ وهو كتاب نافع ممتع فيه طائفة من النوادر وبه مسائل ثمينة واحتجاج قوى منطقى سليم فى تعيين قبر أمير المؤمنين مفنداً أوهام

النواصب ودس الخوارج الذين يزعمون باطلا أن مرقد أمير المؤمنين الحالي في النجف الاشرف انما هو قبر المغيرة بن شعبة زاعمين أن مرقد الامام في الكوفة كأنهم أدرى من أهل بيته بموضع قبره ولم نجد دافعا يدفعهم الى هذا الزعم الواهن سوى شن حربهم على الامام حتى بعد موته ولكن نرى أن أبا المظفر كان مظفرا في اقامة تلك الحجج القــوية التى أفلج بها آراء الخصوم ومن شاء الاطلاع على تلك الحجج والبراهين فليراجع كتاب ـ فرحة الغرى ـ الذى اعتنى بتلخيصه العلماء الافاضل ومنهم مؤلف تلخيصه الذى دعاه بـ (الدلائل البرهانية فى تصحيح الحضرة الغـروية ـ وللمترجم له كتب أخرى منها ـ الشمل المنظوم فى مصنفى العلوم ـ قيل فيه ليس لاصحابنا نظيره ويكفى فى فضل مؤلفه ما ورد فى اجازة السيد عبد الحميد له بقوله :

[قرأ علي السيد الامام العلامة البارع القدوة المحقق المدقق الحسيب النسيب الفقيه الكامل النقيب الطاهر غياث الدين جمال الملة ملك السادة مفتي الفرق علم الهدى ذو الحسبين والنسبين أبو المظفر عبد الكريم ابن المولى السيد السعيد الامام العلامة فقيه أهل البيت جمال الدين أبى الفضائل احمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس العـلوى الحسنى زاد الله فى شرفه وأحيـا بفضائله ذكر سلفه ، هذا الكتاب ـ أى المُجدى ـ من أوله الى آخره قراءة مهذبة مؤذنة بغزير فضائله دالة على ما خصه الله بما هو غني عن دلائله ، ونقب عن مشكلاته ، واستشرح عـن فائق محسناته ، وسائل عـن دقائق اشاراته ، وحقائق معضلاته ، فأوضحته ، بما نقلته عن الفضلاء وما خطر لي فى أثناء ذلك من القبول له ، والرد ، وأجزتُ له ولولده السيد المبـارك المعظم رضى الدين أبي القسم علي أمتعه الله بطول حياته ، بروايته عني عن والدى قدس سره بالسند المتصل المذكور فى الاجازة الجامعة التى سطرتها له فى كتاب اجــازاته عن المصنف رحمه الله وأجـزت له ايضا روايـة ما يصح روايته عن المصنفات والمؤلفات والمنظوم والمنثور والمنقول والمتأول

على اختلاف ذلك وتباينه فليرويا عني محتاطين لي ولهما] الخ ..

فما ورد في هذه الاجازة يصح أن يكون شهادة علمية مهمة من المجيز الجليل العلامة السيد عبد الحميد بن فخار الحلي من أساتذة السيد المجاز فلم تكن الاوصاف التى وردت بها عن مجاملة وقتية أو ما نعبر عنه بالنفـــاق الاجتماعى وانما هى سند تاريخى له قيمته وأهميته أعطي بعد تقدير للظروف ونظر فى استحقاقه وعن ثقة واطمئنان فى عصر علمى سليم من هذه الشوائب التى طرأت على أخلاق أبناء هذا الجيل فأفقدتهم المقاييس الصحيحة وجعلتهم يتخبطون فى دياجير من الجهل والشبهات فى طـرق ملتوية لا أول لهـــا ولا آخر .

وقد قال صاحب ـ المستدرك ـ انه (نادرة الزمان وأعجوبة الدهـر صاحب المقامات والكرامات كما أشار اليه الشهيد الثانى فى اجازته الكبـيرة قال تلميـذه الارشد تقى الدين الحسن بن داود فى رجاله (سيدنا الامام المعظم غياث الدين الفقيه النسابة النحوى العروضى الزاهد العابد أبو المظفر قدس الله روحه انتهت رياسة السادات وذى النواميس اليه وكان أوحـد زمانه حائرى المولد حلي المنشأ بغدادى التحصيل كاظمى الخاتمة] وقد بينا رأينا حول الفقرات الاخيرة فلا حاجة للتعرض اليها مرة أخرى ولد فى شهر شعبان سنة ٦٤٨ هـ وتوفى فى شهر شوال سنة ٦٩٣ هـ وعمره (٤٥) سنة وأياما .

يروي عن جماعة من أساطين العلماء منهم والده وعمه رضى الدين علي والمحقق ويحيى بن سعيد ابن عم المحقق المقبور فى محلة الطاق من الحلة ويروي ايضا عن الفيلسوف الخواجة نصيرالدين الطوسى والشيخ مفيدالدين ابن جهم واستاذه السيد عبد الحميد بن فخار المذكور آنفا وغيرهم .

ملاحظة :

ورد فى ص ٦٥ من الجزء الاول من بابليات اليعقوبى قوله (ولفظ ابن

طاووس يطلق غالبا على المترجم ابى القاسم رضى الدين علي بن موسى بن جعفر) ثم انه يقول بعد ذلك كما في ص ٦٧ من الجزء نفسه عند ترجمته لأبى الفضائل (وكلما أطلق فى مباحث الفقه والرجال لفظ ابن طاووس فالمراد منه صاحب الترجمة] أى ويعني السيد احمد أبا الفضائل وهـذا تناقض . كما انى لاحظت فى كتاب الكنى والالقاب ص ٣٣٤ ج١ للعلامة القمى قوله : رضيالدين علي بن موسى محمد جعفر وهو اشتباه والصواب ما ذكرناه فهو رضيالدين علي بن موسى بن جعفر وليس رضيالدين علي بن موسى بن محمد جعفر ، كما ان صاحب الكنى والالقاب كان قد ذكر ص ٣٣٤ ج ١ ان (جمال الدين بن احمد وهو سهو والصواب انه جمال الدين احمد فورود لفظة (ابن) زائدة . كما لاحظنا اختلاف بين نسبه الشريف ونسب عمه رضيالدين علي فقد ورد فى نسب عمه (موسى بن جعفر بن محمد) وورد فى نسبه (موسى بن محمد) ولم يذكر اسم جعفر . كما أن ـ محمدا ـ والد موسى وأباه وجده كلهم تسمى بمحمد كما تلحظه فى نسب عبد الكريم ولم يتكرر اسم ـ محمد ـ غير مرتين فى نسب عمه رضي الدين فقام محمد مقام جعفر وهذا لا شك سهو أيضا لأن ـ جعفر قد ثبت كونه ابا لموسى والتشابه المتكرر في ـ احمد ـ و ـ محمد ـ كان منه منشأ الاشتباه فبدّل الناسخ (جعفر بمحمد) ولولاه لما وقع الاختلاف فى النسبين فمن موسى الى ابن طاووس تسعة اسماء سوى أن جعفر وقع موقع ـ محمد ـ سهوا فليلاحظ القارىء ذلك وفى هذا البيت الكريم يقول الشاعر وقد أحسن فيما قال وفيه توريه .

سدتموا الناس بالتقى وسواكم   سوّدته البيضاء والصفراء

٣١ ـ أبو الحسن علي القاضي ـ ٦٢١ هـ

ورد فى الاثر ـ قاضيان ، قاضٍ فى الجنة ، وقاضٍ فى النار، وصاحب

هذه الترجمة من المؤسف أن يكون من مصاديق النوع الثاني فقد كان مثلا سيئا للقضاة ، والقاضي في ذلك العهد السحيق حاكم مطلق في كل قضية حقوقية بحتة ام شرعية ام جزائية فاذا لم يكن زاجر من ضمير نزيه ورادع من دين صحيح فهو حينئذ نقمة على المجتمع الذي يعيش فيه وخطر ما بعده خطر يهدد الهيئة الاجتماعية ، والعدل أول رقم يجب أن ينقش على منهاج تمدن الامة ويكتب على لوحة ثقافتها ثم بعد ذلك تتال الارقام الاخرى وقد صح أن العدل اساس الملك وهل يقام بناء بلا اساس ؟ والقاضي الذي نحن بصدد ترجمته كان مسلّطا على أعراض الناس وأموالهم مسفًا في في علاقاته الاجتماعية رغم كونه صاحب منصب ديني رفيع له وقاره وحرمته ولكن صاحبنا لم يحسب لهذه الامور حسابا فكان كل همه نحو اقتناص ملاذه الدنيوية بكل وسيلة حتى لو كانت حقيرة شديدة الحقارة فمثّل في أعماله التافهة انتصار الجسد الوضيع على الروح والعقل واستسلامهما له دون مقاومة فهوى به ذلك التأخر الخُلقي الى هوّة سحيقة من ازراء الناس واحتقارهم لشأنه واصبح عرضة للنقد المر والذم مع انه لو اطاع عقله الذي اسرته الشهوات لاصبح من الخالدين نظرا لعلمه الوفير وتضلعه بالفقه والاصول وثقافته الممتازة وادبه واطلاعه الغزير وليت شعري ماذا ينفع العلم اذا لم يكن معه عمل ؟ وماذا تجدي الثقافة اذا لم يكن معها وجدان ؟ وما اصدق قول شاعرنا :

اذا كان الطباع طباع سوء فلا أدبٌ يفيد ولا أديب

فالقاضي على ما يظهر لنا من ترجمته ضعيف الارادة وضعيف الجانب الاعتقادي فليس للعقيدة مغرس في عقله ولا منبع من وجدانه فهو ضعيف الشخصية حتى انها تتلاشى أمام اوهن المغريات كما تتلاشى قطعة من الجليد امام وهج الشمس المحرقة . ولولا ما كان يتحلى به من علم وأدب ومركز قضائي مرموق لما بقيت له بقية من ذكر في سجل التاريخ ولكن ثقافته

ومركزه أبقيا على وجوده الذاتى الهزيل ذلك الوجود الذى لم يفكر الا بالمعدة ولا يتعدى تفكيره الضيق الى أبعد من دائرة جسده ولم يكن يصغي الى ضميره مثلما يصغي بكليته الى رنين الدنانير .

وردَ فى كتاب ـ انسان العيون فى مشاهير سادس القرون ـ من النسخة الفتوغرافية الموجـودة بمكتبة المدرسة المستنصرية ببغداد ص ١٢٨ فى حديث عن القاضي ما يلي :ـ (علي بن عبدالله بن سلمان ابو الحسن الحلي، من الحلة السيفية تولى بها القضاء مدة لما عُزِلَ القاسم بن يحيى المشهور ـ زوري ـ عن قضا القضاة ببغـداد قدم هذا الى بغداد وسعى فى المنصب وبذل اموالا كثيرة فَقَبِلَ(١) منه وتولى المنصب فى ٢٤ صفر سنة ٥٥٨هـ وكان حنفيً المذهب وكان خبيث العقيدة ، يرتشى على الاحكام ويرتكب العظائم فَعُقِدَ له مجلس بدار ابن مهدي وحضره الفقاء والاعيان والولاة وظهر فسقه ورُفع طيلسانه وعزل يوم الخميس رابع عشر جمادى الاولى سنة ٦٠٠ هـ وقبض عليـه وحُمل الى الحلة واعتقـل بهـا مـدة واُطلـق وتوفى سنة ٦٢١هـ] انتهت رواية مؤلف كتاب انساب العيون وهو من علماء اخواننا أهل السنة فمدة توليه لمنصب القضاء فى الحلة سنتان فقط فلو امتدت الى أمد بعيد فماذا كان يقترفه من جرائم وآثام ؟

ان منصب القضاء حساس للغاية ومهم جدا فاذا كان القاضى كصاحب الترجمة فاسقا مرتشيا فماذا ينتظر منه المجتمع سوى الضرر الفادح ؟ سوى التفسخ والانحطاط؟ فصلاح القاضى هو اللبنة الاولى فى بناء المجتمع السليم لانه يحكم بالاموال والاعراض والنسب والرشد والحِجر وأمثـال هـذه

---

(١) وهنا موطن الداء فاذا كان الرؤساء ببغـداد يوظفون الناس بالرشوة فكيف لا يفسد هؤلاء المرؤوسون ؟

الاحكام المهمة ولذلك تساهل رجال العهد المباد فى تعيين قضاة أشبه بالاميين. لم يمتازوا لا بمعرفة مبادىء القراءة والكتابة والزى الروحانى الذى يصرخ الى الله مستجيرا من ظلم نسبته الى غير أهله وأملنا بحكمة اولياء الامر فى العهد الجمهورى أن يعيدوا النظر فى أمر هؤلاء ليرفعوا من قيمة القضـاء وهيبته فيطردوا من كان على شاكلة صاحب هذه الترجمة • أو كان عاميا ليست له أهلية القضاء والله يوفق المصلحين •

٣٢ ـ ابن العلقمى ٥٨٩ـ٦٥٧ هـ

هذا رجل عبقرى من عباقرة الحلة ليس بأمكان أحد جحد هذه الصفة فيه حتى من أكل الغيظ قلبه أكلا •

هذا رجل عظيم ليس من ينكر عليه عظمته حتى أكثر خصومه عداوة وأقلهم حياء •

هذا رجل أجمع على الاعتراف بشخصيته ، الصديق والمحايد والعدو العنيد •

هذا رجل شريف لا أحد يمارى فى شرفه أو يجادل فيه الا من كان صفيقا لا يعرف للحق حرمة •

بل انه ليس رجلا الا فى شكله ونطقه انما هو كوكب مضيىء أشرق حينا ثم أفل ولكنما أبقى نوره من بعده ناصعا يبدد غياهب الظلام •

هذا هو ابن العلقمى كان من الوزراء المحنكين والرؤساء الاماثل جمع الله به الكفاية والدراية والعلم والادب والفقه والشعر والسياسة والكياسة والتدبر والتدبير الحكيم له باع طويل فى المعارف ونظر بعيد فى الامور وله درجة عالية من الفضل والفضيلة والصلاح ، قرأ القرآن الكريم والعربية على التقى حسن بن معالى بن مسعود بن الحسين المعروف بأبن الباقلانى حينا وبأبى على النحوى حينا آخر وقد مرت عليك ترجمته برقم (٢٢) كما قرأ ابن العلقمى

بالحلة على عميد الرؤساء وأيوب وتفقه على صديقه السيد الطاهر رضى الدين ابن طاووس قال ابن الفوطى فى غضون بحثه عمن مات من الاعيان بعد مجزرة التتر الرهيبة عند كتابة حوادثه الجامعة (ذكر من توفى من الاعيان بعد الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى فى جمادى الآخرة ببغداد وعمره ثلاث وستون سنة ، كان عالما فاضلا أديبا يحب العلماء ويسدى اليهم المعروف وتوفى علم الدين أحمد أخوه بعده) وقد نشر سيادة البحاثة الدكتور مصطفى جواد بمجلة الرسالة المصرية لحسن الزيات ص **٣٧٧** من العدد **(٣٥)** من سنتها الثانية الصادر فى **١٩** ذى القعدة سنة **١٣٥٢** هـ بحثا قيّما عن ابن العلقمى يدل على ما للدكتور الجليل من قابلية نادرة على التحقيق والتمحيص ويشف عن روحه السامية نقتطف منه ما يلى :ـ

[وفى سنة **٦٥٥**هـ ـ رحل السلطان هلاكوقان ، من همدان نحو العراق ، فلما اتصل ذلك بالخليفة المستعصم شاوره وزيره مؤيد الدين ابن العلقمى فيما ينبغى فعله فأشار عليه ببذل الاموال وحملها اليه مع التحف الكثيرة والاشياء الغريبة والاعلاق النفيسة ، فلما شرع فى ذلك ثناه ـ الدويدار ـ الصغير وغيره وقالوا له :ـ ان غرض الوزير تدبير حاله مع السلطان هلاكو ـ فوافقهم واقتصر على انفاذ شىء يسير مع شرف الدين عبدالله بن الجوزى فلما وصل اليه أنكر ذلك وأرسل الى الخليفة يطلب اما الدويدار وأما سليمان شاه الايوانى وأما فلك الدين محمد بن الدويدار الكبير علاء الدين الطبرسى فلم يفعل وأرسل شرف الدين بن الجوزى أيضا يعتذر عن ذلك فسار السلطان حينئذ نحو بغداد ـ الى أن قال ـ ومن الحق أن ابن العلقمى لم يخن ولم يهن فى خدمة المستعصم فلما فُتحت بغداد ورأى زوال الدولة العباسية ووزارتها من المحققات سعى فى تنجية نفسه من الموت وداره من التحريق ودار كتبه المحتوية على عشرة آلاف مجلد من النهب فاستشفع بنصير الدين الطوسى الى هلاكو وأوصل اليه كتابا فيه ملحمة من ملاحم

الشيعة تثبت صلاح أعماله ووجاهة فتحه لبغداد ، قال قطب الدين الحنفي : ان مجد الدين بن طاووس وسديد الدين يوسف بن المطهّر الحلي ارسلا كتابا الى هلاكو على يد ابن العلقمي يروونه عن علي بن أبي طالب ـ رض ـ (١) فلما وصل الى هلاكو أمر أن يُترجم له ، فلما قرأه أمر لهم بسهم الامان وسلموا بذلك من القتل والنهب ـ الى أن قال ـ عن أبن العلقمي ـ ولقائل أن يقول : ان الخيانة أنالته الوزارة الاقليمية فنقول له : قد قيل هذا ، وزُعم أن هلاكو قتله لخيانته ، وقال له : انا لا نأمنك وقد خنت خليفتك ـ ولقد كان هلاكو حذرا من الخونة مسارعا الى سفك الدماء ، فهو ان لم يكن حريا أن يقتله ـ على ظن خيانته فانه يطرحه ويعتزله فلا يوليه من ملكه شيئا ، ان مؤرخا يبتدع قتل هلاكو لابن العلقمي لسهل عليه أن يخوّنه ويفجّره ويسند اليه ما يشاء ، ولكن الحق غير ذلك ـ ومضى الدكتور مصطفى جواد يقيم البرهان على صحة رأيه فذكر تولية هلاكو لتاج الدين علي بن الدرامي وبعده ابنه مجدالدين حسين وأنه أقر قاضى القضاة نظام الدين عبدالمنعم على رتبته وذكر استيزاره لفخرالدين الدامغانى وجعله نجم‌الدين أحمد بن عمران ملكا على الاعمال الشرقية واشركه مع ابن العلقمى وابن الدامغانى فى الحكم فهل كل هؤلاء خونة غدرة ؟ انتهى قول الدكتور الفاضل .

ولقائل أن يقول فى مناقشته لماذا لا يجوز أن يكون كل هؤلاء خونة غدرة ؟ فهل من قائل بعصمتهم ؟ ونحن نعرف جيدا أن المستعمرين يسندون الوظائف المهمة فى البلاد التى يحتلونها الى الخونة من أبنائها والغدرة من أراذلها حيث لا ضمير رادع ولا شرف مانع ولا دين وازع ومن ذا الذى يعاون المستعمرين على تركيز أقدامهم فى البلاد المغلوبة على أمرها سوى السفلة من الناس وقد رأينا رأى العين فى الحلة وبغداد والديوانية وغيرها

---

(١) ثم ذكر نص الكتاب الذى مر ذكره سابقا .

من بلدان العراق كيف كان الدخلاء وأراذل الناس يحصلون بلا مشقة على السلطة والرآسة واعتماد الانجليز والعثمانيين قبلهم حتى عرّضوا العراق الى خسائر فادحة معنوية ومادية فأُسندت اليهم الوظائف المهمة واذا هم بطرفة عين قد ارتفعوا من الحضيض الأوهد الى ذروة الشرف ، الشرف المزيّف الحقير • ولكن الجواب هو أن نقول ان ابن العلقمي ليس من هذا النوع ، فهو فقيه عالم ووزير سابق له كيان ممتاز في الدولة ومقام رفيع في المجتمع وله من كرم بيته وشرف نفسه وحسن سمعته ما يمنعه من الخيانة فيعرّض مكانته العالية وعزه الوفير الى سوء الأحدوثة ولعنة التاريخ وقد اتفقت كلمة مؤرخي الشيعة على نفي التهمة وشاركهم رأيهم جماعة من مؤرخي اخوانهم أهل السنة والحياديون من غير المسلمين واذا كان في التهمة شك فالجدير تفسيره بصالح المتهم في محكمة التاريخ العادلة •

وهذا تاج الدين أبو المعالي محمد بن الصلايا قد وصفه ابن الفوطي بالكرم والفضل والتدين الشديد كان أيضا متّهما بهذه الخيانة ولا يجتمع التدين والخيانة حتى يجتمع الليل والنهار • ان الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي أسدى من عشيرة سيف الدولة مؤسس الحلة وأصله من النيل القرية المجاورة الى الحلة وكانت مسقط رأسه سنة ٥٥٩هـ ولما نشأ ذهب الى بغداد عاصمة الخلافة العباسية وسكن الكرخ لان أغلبية سكانه من الشيعة من أهل طائفته وقد شهد بنفسه ما فعلته الطائفية البغيضة بأبناء نحلته وما قاسوه من الأفعال الهمجية التي يتبرأ منها الاسلام والانسانية وتتضائل أمام فضاعتها همجية المغول ومن هذه الناحية وبهذه الدوافع الحقيرة اندفع بعض المؤرخين الى ما زعموه من خيانة ابن العلقمي رجما بالغيب دون برهان زاعمين أن هذه الخيانة نتيجة لاخذ الثار من أعداء طائفته الذين استحلوا المناكير وأنواع المحرمات في أهل الكرخ وهذا الرأي من وساوس الشيطان فماذا يؤمن ابن العلقمي من غدر هلاكو ونقضه للاتفاقية فتنال الشيعة ما تناله

أهل السنة من القتل والتنكيل والشر ولو أنهم احكموا هذا الوضع ودرسوه لقالوا ان ابن العلقمى استوفى ثاره بعد دخول التتر بغداد واسناد تلك الرتبة العالية اليه لكانت تلك الاكذوبة مقبولة نوعا ما ولكن العدو لا ينسى عدوه ويتقول عليه الأقاويل وقد قلتُ فى هذا الموضوع :ـ

وأغلب وصف الناس للناس باطل   فما كل وصف بالقبول خليق
فيختلق الذم الشنيع مُباغضٌ   ويخترع المدح العظيم صديق

ولو نظر المنصفون الى حقيقة الحال لما وجدوا سبيلا الى اتهام ابن العلقمى ولأتهمّوا ـ الدويدار الصغير ـ وجماعته لأن الخليفة لم يأخذ بمشورة ابن العلقمى ليتحمل ابن العلقمى نتائجها ومسؤولياتها وانما ثناه الدويدار وغيره فهؤلاء أقرب الى التهمة لأن مصيبة بغداد كانت نتيجة رأيهم السخيف الذى ثنوا به رأى الخليفة فوافقهم وجانف رأى وزيره فكيف يوجهون المسؤولية اليه ولم يعمل أحد برأيه وقد قال تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) والحق الذى لا غبار عليه أن امتناع الخليفة من تنفيذ طلب هلاكو فى مواجهة الويدار أو سليمان أو فلك الدين كان السبب المباشر لغضبه وتوجهه الى احتلال بغداد وهناك شبه تناقض فقد مرَّ عليك أنَّ كتاب الملاحم لأمير المؤمنين الذى فيه خطبته المعروفة ـ بالزوراء ـ رفعه سديد الدين الى هلاكو خان كما فى ترجمة رضى الدين ابن طاووس حين سأله هلاكو عما جرأهم على اقدامهم على مواجهته فأجابه (بأنا روينا عن أمير المؤمنين علي بن ابى طالب ـ ع ـ انه قال فى خطبته الزوراء الى آخر ما جاء فى الخطبة وههنا تجد أنَّ ابن العلقمى قد استشفع بنصير الدين الطوسى وأنفذ اليه كتابا فيه ملحمة من ملاحم الشيعة يشير الى خطبة الزوراء وللجمع ما بينهما قال الدكتور الفاضل ان مجد الدين وسديد الدين أرسلا الكتاب المذكور الى هلاكو فأزال سيادته ما يراه القارىء من تناقض المؤرخين حيث بعضهم ينسب ايصال الكتاب الى سديد الدين وبعضهم ينسبه الى ابن

العلقمي وانه ارسله بواسطة نصير الدين الطوسي الذي له السهم الأوفر في انقاذ الحلة من نكبة التتر • توفي ابن العلقمي رحمه الله سنة ٦٥٧ هـ فأفجع العلم والادب والرآسة والكياسة بموته بعد ما يقارب السنتين من غزوة التتر•

٣٣ ـ مهذب الدين الخيمي ٥٤٩ـ٦٤٢ هـ

انّ كثيرا من فطاحل العلماء وجهابذة الفقهاء يشتهرون بنظم الشعر فيعرفهم الناس به حتى تطغى الناحية الشعرية على ناحيتهم العلمية فيغلب على ظن من لا يعرفهم جيدا أنهم شعراء فحسب ومن هـــذه النماذج الشريفة الرضي وصفي الدين الحلي والشاتاني والسيد محمد سعيد الحبوبي والسيد جعفر الحلي آل كمال الدين وأضرابهم والكل من هؤلاء عالم ديني وفقيه جليـل ولكن شهرته الشعرية غطّت على شهرته العلمية فلا يعرف حقيقته الا من تجاوزت اختياراته نطاق النظرة السطحية كما أنّ عددا غفيرا من الشعراء اشتهروا بالعلم فلا يكاد يعرفهم بالشعر الا قليل من الناس ومن هذه النماذج الشريفة المرتضى علم الهدى والعلامة الحلي وأمثالهم •

ومن القسم الاول أبو طالب مهذب الدين محمد بن علي بن المفضّل ابن القامغار الحلي المزيدي الشهير بـ ـ اثيمي ـ نقل المؤرخون أنه (كان نحويا فاضلا ، كامل المعرفة بالادب ، حسن الطريقة ، متدينا متواضعا ، وله مصنفات كثيرة ذكر ابن النجار أنه قرأ الادب على ـ فرسان الحلي ـ وابن الخشاب وابن القصّار وابن الأنباري وابن الدباغ وابن عبيد البندنيجي وابن أيوب وابن حُميدة وابى الحسن ابن الزاهد ببغداد ، وعلى : الكندي بدمشق الخ ••) ونقل السيوطي في بغية الوعاة تحت عنوان ـ محمد بن علي بن المفضّل بن القامغار الحـــلي مهـــذب الدين ابو طالب ابن الخيمي [قال :

الأُدقوقى ، فى البدر السافر : كان اماماً فى اللغة اديبا شاعرا دخل بغداد وسمع بها من الزاغوني وتأدب على ابن القصّار وابن الانبارى وأخذ عن الكندى بدمشق] .

آثاره :

لأبى طالب الخيمى آثار منها كتابه (أمثال القرآن) وكتاب (قد) والرد على الوزير المغربى والمقصورة فى الرد على العمرى وكتاب استواء الحكَم والقاضى وكتاب لزوم الخميس واسطرلاب الشعر وكتاب الاربعين والأساميات وديوان شعره الذى منه قوله :ـ

أأصنام هذا الجيل طـراً ، أكلكم   يعوق ؟ أمافيكم (يغوث) ولا (وُدّ)
لقد طال تردادى اليكم ، فلم أجد   سوى رب شأن فى الغنى شأنه الردُّ

وله يصف سبحة سوداء فى معرض التغزل :

وسبحــة مسودّة ، لونهـا   يحكي سواد القلب والناظر
كأنني وقت اشتغالي بهـا   أعـدُّ أيامك يا هاجـرى

وفى وفيات الاعيان لابن خلكان عند تعرضه الى ترجمة القاضى الاسعد أبى المكارم بن الخطير المعروف بابن ـ مماتى ـ قال : وللمهذب بن الخيمى فى الأسعد بن مماتى المذكور يهجوه ويعيّره بحداثة اسلامه وليس ثمة من عار :

وحديث الاسلام واهي الحديث   باسِم الثغر عن ضمير خبيث
لـو رأى بعض شعره سيبويه   زاده فـى علامـة التـأنيث

ولا شك أن هذا أشبه بالمـدح اللهم الا اذا استثنينا شعر الحماسة والفخر فلا يليق بهذا الباب لين الفظ ورقيق الكلام ولكل مقام مقال وله فى الرثاء قوله :ـ

ابكي وحقٌ لناظري غرقه ... انّ الحديث توعرت طُرُقُه
سفت الرياح على معالمه ... فعفت وأصبح مظلما أُفُقُه
وغدت معطّلة محابره ... بعد النبيه وفرقت فرقه
ونسوا روايته وهل غصن ... يذوي فيلبث بعده ورقه ؟

وهذه الابيات فى رثاء الحافظ ابى الحسن بن المفضل المقدسى ولكن اليعقوبى اوردها مغلوطة ص ٥٧ من الجزء الاول من بابلياته فأورد القافية فى البيت الاول والثانى (طرقه) وهو فضلا عن قبح الأيطاء لا ينسجم وقواعد النحو (فأصبح) و (مظلما) يعودان للمفرد و (طرقه) جمع فكيف يوصف الجمع بالمفرد ؟

وكانت ولادة الحيمى بالحلة فى ٨ شوال سنة ٥٤٩ هـ وتوفى بالقاهرة المعزية فى ٢٠ ذى القعدة سنة ٦٤٢ هـ ودفن بسفح المقطم من بعض جبال مصر بالقرب من يوسف قراقوش المكنى بأبى سعيد والملقب ببهاء الدين حينا وبقراقوش حينا آخر ابن عبد الله الاسدى وكان خادما للسلطان صلاح الدين أو لعم السلطان ناب عنه بالديار المصرية فاشتهر بشذوذ الاحكام الكيفية توفى فى مستهل رجب سنة ٥٩٧ هـ قبل وفاة الحيمى بـ (٤٥) سنة ودفن بجنبه فى سفح المقطم تجد ترجمته مفصلة فى وفيات الاعيان ص ٤٦٩ ج ١ ولكنه جعل قراقوش له اسما لا لقبا وقد روى لي السيد محمد حسن الشرع بيتين قيلا فى يوسف قراقوش الامر الذى يقوى الظن أن اسمه (يوسف) ولكن التحقيق لا يعضده ، والظن لا يغني من الحق شيئا :

كل الخنا والمخازى ... ليوسفٍ قَرقَوش
تراه كالناس شكلا ... وفى طباع الوحوش

ولا أدرى لعل البيتين من نظمه •

٣٤ ـ محفوظ بن وشاح ـ ٦٩٠ هـ

الشيخ شمس الدين ابو محمد محفوظ بن وشاح بن محمد الهرملي الحلي الاسدى ، من عباقرة الادباء وأكابر العلماء والفقهاء ومن متقـدمي تلامذة المحقق الحلي له ثروة علمية كبيرة وكنوز أدبية غالية وتأملات عميقة في الحياة وآراء صائبة في العلوم ، وباع طويل في الادب وتفكير ذاتي مستقل في الفلسفة ونظر عميق في علم الكلام فهو من العلماء العاملين ، والعلمـاء روح الأمة وركيزة كيانها والتفاضل بينهم على قدر تفاوتهم بالملكات الفاضلة وما يسدونه للأمة من خدمات وبهذا المقياس وضعنا صاحب هذه الترجمة في رأس قائمة العلماء اللامعين أطراه الفاضل صاحب كتاب الغدير فقـال في عرض ترجمته [قطب من أقطاب الفقاهة وطود راس للعلم والادب ، كان متكئا على أريكة الزعامـة الدينيـة ، ومرجعا في الفتوى ، ومنتجعا لحـل المشكلات ، وكهفا تأوى اليه العفات ، والحكم الفاصل للدعاوى ومن مشائخ الأجازة الراوين عن الشيخ نجم الدين المحقق كمال الدين علي ابن الشيخ شرف الدين الحسين بن حماد الليثي الواسطي ، ويروي عنه شارح القصائد السبع العلويات لأبن أبي الحديد بشرحه الموسوم ـ غرر الدلائل ـ قال في أول الشرح : كنت قرأت هذه القصائد على شيخي الامام العلم الفقيه المحقق شمس الدين ابي محمد محفوظ بن وشاح قدس الله روحـه وذلك بداره في الحلة في صفر من سنة ٦٨٠ هـ ورواها لي عن ناظمها وراقم علـمها] الخ .. ونقلنا عمن نقل عن الحصون لعلي كاشف الغطاء والد محمد حسين ج ٢ ص ٣٠٣ قال : انه هو (الشيخ شمس الدين محفوظ بن وشاح ، كان من اعيان علماء الحلة وأدبائها مشاركا في العلوم ، بصيراً في النحو واللغـة والشعر ، وكان يكاتب المحقق الحلي ويراجعه وكان بينـه وبين الحسن بن داود مودة أكيدة ، ولما مات رثاه بقصيدة) الخ ..

ولمكانته العلمية الممتازة انبرى الى حلبة رثائه العلماء والادباء ومن هؤلاء صديقه الحسن بن داود ومهذب الدين الشيباني وصفى الدين(١) محمد بن الحسن ابن أبى الرضا العلوى البغدادى ، ولهذا الاخير قصيدة بائية من البحر الطويل جاء فيها :ـ

مصاب ٌ أصاب القلب منه وجيب   وصابت لجفن العين فيه غروب
يعز علينا فقد مولى لفقده   غدت زهرة الايام وهي شحوب

وقد أعقب المترجم له ولداً صالحا وفقيها فاضلا هو الفقيه الجليل تاج الدين محمد بن محفوظ بن وشاح من أواسط المائة الثامنة وكان قاضيا للحلة بطريق الانابة والوكالة عن قاضى القضاة عز الدين الزنجانى ، ومحمد هذا حذا حذو أبيه علما وادبا وصلاحا وعفة نفس وجلالة قدر وحدة ذهن وحسن اخلاق وحتى فى الرثاء فقد رثى أباه الشاعر صفى الدين العنبسى ومما قاله صفى الدين فى رثاءه من البحر المديد :ـ

لو أفادتنا العزائم حالا   لم نجد حسن العزاء محالا
كيف يولي العزم صبرا جميلا   حين وارى الترب ذاك الجمالا
ما ظننا أنّ ريح المنايا   تنسف الطود وتردي الجبالا

ومنها :ـ

قد مررنا فى مغانيه ركباً   وغوادى الدمع تجرى انهمالا

والقصيدة مثبتة بديوانه وعجز البيت الاخير أغار عليه حيدر الحلي وطالما أغار حيدر على ديوان الشريف الرضى ومهيار كما يعرفه جميع المشتغلين بالحقل الادبى المعاصر فقد قال اليعقوبى ص ١٦٢ ج ٢ من بالياته (ومن ثمة تجده قد ألمّ بكثير من معانى الشريف ومهيار وأودعها فى قصائده) الخ .. فقول الصفي (وغوادى الدمع تجرى انهمالا) حرفه

---

(١) احسبه المراد صفى الدين العنبسى الحلى وسقطت الواو بعد كلمة الدين .

حيدر فقال (وغوادى الدمع تنهلّ انهلالا) ومن مآخذ حيدر من هـــذه القصيدة :

كان للناس جميعا كفيلا فكأن الخلق كانوا عيـالا

وموعد هذا البحث كتابنا ـ مآخذ الشعراء ـ الخطى ولنعد الى صُلْب الموضوع فنذكر لك ما رواه الفاضل صاحب كتاب ـ أمل الآمل ـ [وجرت بين الشيخ محفوظ وبين المحقق نجم الدين مكاتبات ومراسلات من النظم والنثر ذكر جملة منها صاحب ـ المعالم ـ فى اجازته الكبيرة وقال عنـــد ذكره : كان هذا الشيخ من أعيان علماء عصره) وهو الذى كتب الى المحقق فى بعض تلك لمراسلات :ـ

أغيب عنـك وأشواقى تجاذبنى الى لقائك جذب المغرم العانى

سنذكرها انشاء الله عند ترجمة المحقق فهذا الوالد الصالح أنجب هذا الابن الصالح والولد على سر أبيه وقد اقتطفت المنية هذه الزهرة الفواحـة من رياض العلم والادب سنة ٦٩٠ هو كما أفادنا ذلك بعض مترجميه رحمه الله رحمة واسعة • وتوجد له ذرية فى جبل عامل منها العالم الفاضل الشيخ حسين بن الشيخ علي آل محفوظ العاملي الكاظمى وهو من بيت شرف عريق من بيوتات العلم والدين •

٣٥ ـ الهرقلي الحلي

اننى حين أكتب فى تراجم شخصية حلية أتناسى عاطفتى الاقليميـــة وكل ما لها من مشخصات ليكون البحث محررا من هذه العوامل التى تفسد البحث التاريخى وتجعل المؤرخ يسبح فى فلك الخيال بعيـــدا عن الواقع ومزيفا للحقيقة فتكون تلك الدراسات عقيمة لا فائدة فيها لانها بنت الخيال والاختراع فانتهجتُ طريقـة الصـدق فى البحث حسبما يوصلنى اليـه استنتاجي ومعرفتى وقناعتى الشخصية أثناء مناهج البحث ومن العسير جـدا

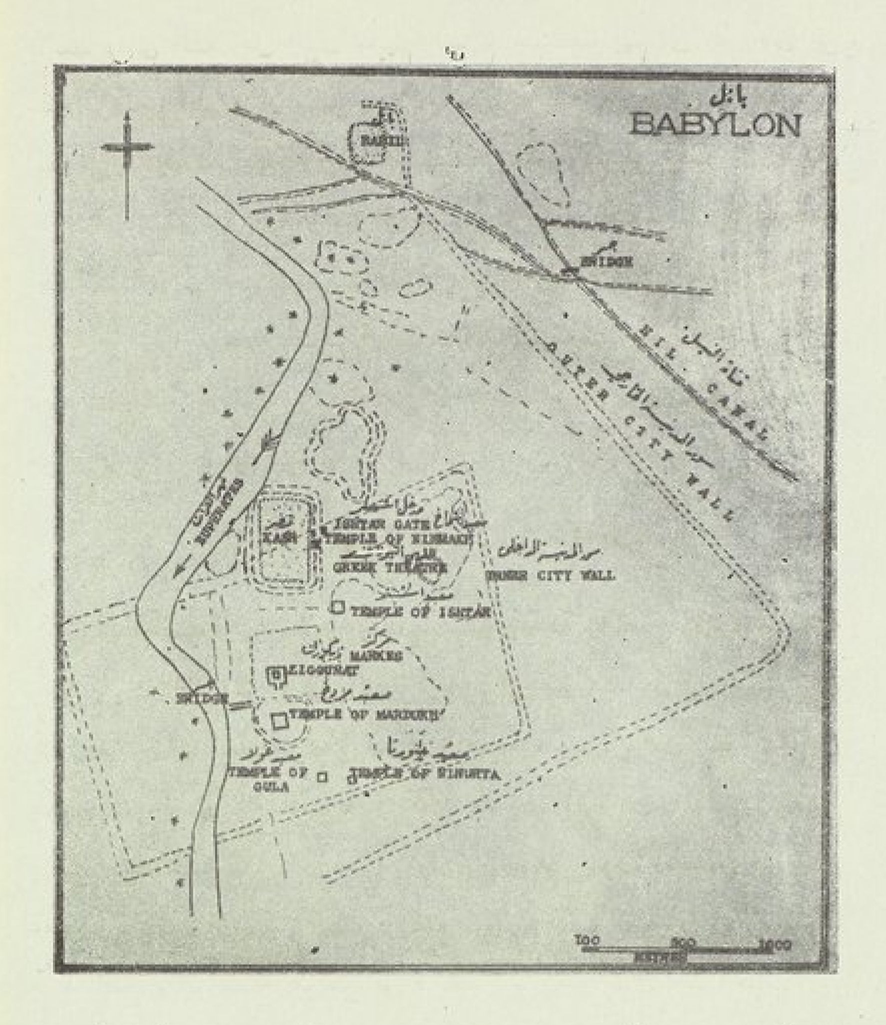
على الباحث سلوك مثل هذه المناهج التى قد تعترضه اثنائها أشواك النقـــد والطعن فالحق مر ولكن يجب أن يقوله المؤرخ فاذا قاله أغضب طائفـة من الناس ممن يخصهم الامر ويا حبذا لو وقف الامر عند هذا الحد فباستطاعة المؤرخ الجرىء أن يتخطى كل هذه العراقيل ولكن هنـاك (تقرير الخبير) يحاسبك على الصغيرة والكبيرة حسابا عسيرا فلا يبيح لك قول الحق اذا كان قول الحق يسيء لسمعة أحد ويطلب منك أن تُري الناس الوجه الابيض من تاريخهـم ولا ادرى لماذا لم يقتنع العلمـاء بالوجه المنير من القمر فذهبوا لاكتشاف وجـه القمر المظلم ؟ وفى نظـرى ان المجاملات شيء والحقائق التاريخية شيء آخر فاذا حذفنا السيئات من التاريخ واقتصرنا على الحسنات فقد حكمنا بالاعدام على نصف التاريخ على أقل تقدير اسوق هذه المقدمة كعذر لمن يرانى اغفلت بعض الجوانب من الشخصية التى اترجم لها كما هو عذري أيضا فى التبسط احيانا فى الثناء على بعض شخصيات هذه التراجم كما فعلت فى ترجمة العالم الهرقلي ، فهو العالم الفقيه النبيه الوجيه والفاضل الجليل ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن الحسن بن علي الهرقلي الحلي من تلامذة العـلامة أعلى الله مقامه قد تتلمذ على ذلك الجهبذ واستقى من ذلك المنهل العذب فكان من خيرة قادة النهضة الفكرية فى الحلة التى تركزت فى تلك العصور المشرقة ومن أفضل أنصار العـلامة ومريديه وأكثرهم تأييدا له فآزره على اداء رسالته الثقافية فكان من عـداد البارزين من مؤسسيها ومن اكثرهم فعالية ونشاطا واما ابوه فاسماعيل يُعْرَف ـ بصاحب التوثة ـ حيث خرجت (التوثة) وهى نوع خبيث من الامراض الجلدية على فخذه الايســر ، وكان فى زمن رضي الدين بن طاووس الحلي فأحضر لـه السيد المذكور أطباء الحلة وبغداد لمعالجته ولـكنهم عجزوا ولم يتمكنوا لأن تلك ـ التوثة ـ كانت فوق ـ الاكحل ـ وعلاجها غير مأمول النجاح ، فقد يُفضي الى الموت المحقق فلم تكن ثمة حيلة ـ للهرقلي ـ بعد يأسه من الاطباء سوى

الانقطاع الى ائمة اهل البيت عليهم السلام مستشفعا بهم الى الله تعالى فى شفاء مرضه الخطر فزار سامراء ولاذ بأئمتها الأطهار ونزل الى ـ السرداب المقدّس ـ واستغاث بالحجة المهدي عليه السلام فوقع فى نفسه أن يغتسل بدجلة فاغتسل ورجع وحينذاك صادفه الحظ السعيد بتشرفه بلقاء الحجة المهدي ـ ع ـ فمسّ (التوثة) بيده المباركة فشفي بالحال ولم يبق للتوثة من أثر فداخَله الشك فأخذ يتحسس موضعها فلم يجد لها أثراً فاطمأنت نفسه الى نجاته وشفائه ببركة صاحب الزمان ـ والهرقلي نسبة الى هرقل قرية كانت من مشاهير القرى القريبة من الحلة .

٣٦ ـ أبو الفتح ـ ٦٠٦ هـ

ان الخصومة بين الجهل والعلم قديمة وعنيفة والنفس الانسانية ساحة تلك الحرب الضروس وكان النصر ولا يزال مذبذباً مائعا غير حاسم فتارة يكون فى جانب العلم فتزدهر مملكة الفضيلة ، وتارة يكون النصر للجهل فتكون لمملكة الرذيلة الصولة والكيان فتندحر الاخلاق وتضيع المقاييس والقِيم فَيُمْسَخُ الانسان حتى يكون وحشاً فى صورة الآدميين . أما فى عصر أبي الفتح فقد كان النصر والفتح للعلم وكيف لا يكون الامر كذلك وأبو الفتح ، أبو الفتح هو من قوّاد تلك المعركة وأبطال تلك الحرب التى ظهرت منذ ظهر الانسان على وجه الارض فكان الجهل هو صاحب السلطان من نفس الانسان وطرأ العلم عليه وزاحمه على سلطانه وخاصمه ليخرجه مندحرا من ساحة المعركة لا يلوي على شيء ولم نجد مغتصبا مثله أجدر بالحق وأحرى بالثناء .

ان للشريف أبي الفتح محمد بن محمد الشهير بابن الجعفرية أثراً بارزاً ملحوظاً فى مكافحة الجهل وانتصار العلم فى ذلك النزاع الطويل وهو بطل مغوار من أبطال الفكر العربى وفارس مقدام من فرسان الثقافة قضى



هو وأخدانه على الجهل وطعنوه بالصميم بما نشروه من علم وقاموا فيه من تدريس وما دعوا اليه من اصلاحات وما هيأوه من أسباب النهوض واستمرارِه فقد كان رحمه الله من أساتذة أبي الفضل الحسين الأحدب الحلي اشتهر بالعلم والورع والزهد وكان شاعرا مجيدا ومن اجدر اعماله بالتنويه دعوته الصادقة الى تأليف الامة وتوحيد الكلمة والعمل الصادق بالرسالة المحمدية الخالدة لتكون فى الامة عناصر العظمة وأسباب الخلود ، ولا شك انَّ تفريق الشمل خطر داهم يهدد كيان المسلمين بالاندثار وبهذه

العقلية السليمة اصبح مدرّسا ناجحا للعامة والخاصة على السواء وكانت المدارس العلمية اشبه بالثكنات العسكرية وكان صنديداً من صناديدها وقائدا من اقدر قوّادها فاخضع العلم للنقد السليم النزيه كما فعل ابن ادريس قبله فنظر ما يعتور العلم من تصحيح أو تجريح والعلم ابن البحث والبحث ابن الجرأة فكان مذهبه فى طريقة البحث العامل الجوهرى الاول فى بُعد صيته وتخليده وهو علوي شريف من ذرية الامام بطل الأباء سيد الشهداء الامام الحسين بن علي عليهما السلام ذكره الصفدي فى الوافى قائلا :

(محمد بن محمد بن جعفر بن احمد بن محمد بن جعفر بن غانم ويتصل بزيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ـ ع ـ الحلي يُعْرَفُ بابن الجعفرية مولده سنة ٦٠٦ هـ أنشدني الشيخ اثير الدين أبو حيان من لفظه . قال : أنشدنا المذكور لنفسه بالحلة . سابع ذى الحجة سنة سبع وثمانين وستمائة :

أترى يبلُّ غليله المشتاق ؟ ... منكم ويسكن قلبه الخفّاق
وتعود أيام الوصال كما بدت ... ويُرى لأيام الفراق فراق
ياحاجبا عن مقلتي سِنَةَ الكرى ... فدموعها بجنابه اطلاق
لا تنكرنَّ تملّقي لعواذلي ... فأخو الغرام لسانه مذّاق

انتهت مقالة الصفدي ، وهى لا تكشف الغطاء عن هذه الشخصية ولا تعطى الالمام الكافى عنها واغلب التراجم تأتي بين اطناب مملّ فيه خروج كثير عن الموضوع او ايجاز مخلّ لا يفى بالحاجة .

٣٧ ـ الرافضي الفقيه ـ ٦٧٩ هـ

شيخ فاضل من شيوخ الحلة وفقيه نبيه من فقهائها ومتكلم نابغ من متكلميها ومحدّث واسع الاطلاع ، ضرب فى كل علم بسهم وله فى كل قِدْرِ مَغرفة عاش فى كنف الثقافة ابان صولتها وارتشف من أفاويق العلم

وتغذى بلبان الآداب ، له نظر بالأدب حديد يكاد يخترق الحديد •

كان معروفا بالرافضي وهو لقب مكذوب لا أصل له ولا توجد طائفة تعترف به وتنتسب اليه فهو عنقاء المذاهب وغول الفرق الاسلامية تسمع به وما له من وجود •

سألت ذات مرة صديقي الفقيه الجليل السيد جلال الحنفي عن تحديد مدلول هذا اللفظ فقال الرفضة عندنا هم من رفضوا امامة زيد ابن علي -ع- فاذا كان الامر كذلك فالشيعة رفضة لانهم يقرون بامامة زيد وأهل السنة رفضة لانهم لا يعترفون بامامة زيد فلماذا اختصت بهذا الاسم الشيعة وحدها ؟

كانت هـذه الشتائم المتبادلة بين الشيعة وأهل السنة نتيجـة للجهل وللدس الاجنبى الذى يستفيد من تفريق كلمة المسلمين واشـاعة النزاع بينهم فصاحب هـذه الترجمة نبزه اعداؤه بهذا اللقب بعد أن عجزوا من وجـود نقص يشينـه فى تلك الفترة التى كانت الاحقـاد المذهبية متأججة اللهيب والتى نحمد الله على انطفائها فى هذا العصر فقد خمدت حتى بردت ، والرافضي هذا هو الشيخ ابو القاسم بن الحسين الملقب أيضا بشيخ الشيعة كان من أجـل فقهاء الاماميـة وركنا ركينا من اركانهم توفي رحمه الله سنة ٦٧٩هـ فكانت وفاته خسارة للعلم والادب • أما تاريخ ولادته فلم نعثر عليه رغم البحث المتواصل ولم يوجد فى مجموعة الجد قدس سره - نشر الخزامى - سوى عنوانه هكذا (فقيه الشيعة الشيخ محمد الرافضى الحلى) ولا أدرى هل هو المقصود أم شخص آخر يلقب بالرافضى وفقيه الشيعـة ولكننا نرجح أنه هو المعني من وصفه بالفقه والتشيع ومن كنيته بأبى القاسم وهى كنية لمن تسـمى بمحمد فنعرف أن اسـمه محمد ويؤسـفنا أن باقى الترجمة مفقود من المجموعة • وفى الصفحة الثالثة بعد عنوانه هذا وجدت هذا العنوان (الشيخ محمد بن صالح الغروى الحلى كان شيخا صالحا وفقيها

فاضلا أجازه الفقيه الشيخ محمد بن على الاحسائى سنة ٨٩٨هـ وله تصانيف جليلة منها) ولكننا لم نعثر على بقية الترجمة •

٣٨ ـ ابن العـود

نجيب الدين أبو القاسم بن حسين بن العود الحلى الاسدى من أواخر المـاءة السابعة وافاه أجله المحتوم فى ـ جزين ـ وكان من العمّرين ناهـز التسعين خريفا وكان من فقهاء الاسلام مولده فى الحلة وبها تأدب ونشأ نشأة عربية اسلامية صالحة وولى وجهه شطر الثقافة فأتقن كثيرا من العلوم اللسانية والعقلية حتى أتيح له أن يكون المحور الذى تدور عليـه البحوث العلميـة وساهم فى حركات الاصلاح الاجتماعى فعظم مقامه وعلا قدره وكوّن له شـخصية متميزة جذابة قد ساعدته على تكوينها عوامل البيئة والاستعداد الفطرى الذى تفاعل حتى كون تلك الشخصية ولذلك يصح أن نقول أن ابن العود يكاد يكون نسيج وحده قلّ أن نرى له من نظير •

وهنالك شخصية أدبية اخرى تُدْعى بابن العود أو بابن العودى وهو أبو اعالى سالم بن على بن سلمان بن على التغلبى النيلى المولود سنة ٤٧٨هـ بقرية النيل من رساتيق الحلة اشتهر بالشعر مدحه عمادالدين الاصفهـانى وكان ممن عاصره واختبره بنفسه ، ولكن صاحب الترجمة ، نجيب الدين أبو القاسم ، لم يكن شاعرا كابن العودى التغلبى فحسب بل شاركه بالاسم وبالشعر وزاد عليه بأنه كان من العلماء الافاضل والفقهاء الاجلّة خدم العلم والادب خدمة مشكورة ونشر لواء عناصر التحرير العلمى وساند سلطانها ولما مات أحدث موته موجة طاغية من الحزن والاسـف فانبرى الى رثائـه الكثيرون من بينهم الشاعر ابراهيم بن حسام ابن أبى الغيث بقصيدة جاء فيها :

عرّج (بجزّين) يامستبعد النجف ... ففضل مَن حلّها يا صاح غير خفى
نورى ثوى فى ثراها فاستنار بـه ... وأصبح الترب منها معدن الشرف

فلا تلومنّ ان خفتم على كبدى صبرا ، ولو أنها ذابت من اللهف
لمثل يومك كان الدمع مدّخرا بالله يا مقلتى سُحى ولا تقفى

وقد عارضها جمال الدين محمد بن يحيى بن مبارك فقال :ـ

أرى تجاوزَ حدَّ الكفر والسرفِ من قال : مقبرة ابن العود بالنجف

وما لهذه المعارضة السخيفة من باعث ولكن الشاعر بلغ به الحقد مبلغا عظيما أدى به أن يرمى زميله الشاعر بالكفر لمجرد توهمه (ان ابن العود مدفون بالنجف) ومثل هذا القول لا يستلزم هذه الحماقة ولا يستدعى أن يرمى الشاعر بالكفر مع أن الشاعر لم يقل ذلك وانما صرّح بما لا يقبل الشك ان ابن العود مدفون فى (جزين) فانظر وتدبّر مطلع القصيدة فالضمير فى (حلها) يعود الى (جزين) لا الى (النجف) و (جزين) اسم لاقليم فى لبنان كان يحكمه الامير خليل الشهابى أثناء الحكم العثمانى سنة ١٨٢٨م

٣٩ ـ نجم الدين ابن الدربي

وهذا اسم آخر من اسماء المئات من فقهاء الحلة المغمورة المنسية هو ابن الدربى الذى بخلت التراجم فى اعطاء صورة كافية عن شخصيته سوى شذرات قليلة لا تكفى لمعرفتها والاحاطة بجوانبها فبقيت هذه الشخصية يكتنفها نوع من الغموض والابهام ولكننا نعلم أن ابن الدربى من طلائع الكشف العلمى فى القرن السابع وأنه ساهم فى الحركات الاصلاحية والثقافية ولكننا لا نعرف نوع هذه المساهمة وما مداها ؟ فقد ذكره ابن الفوطى فى كتابه ـ الحوادث الجامعة ـ استطرادا فى حوادث سنة ٦٨١هـ ولكنه مع الاسف لم يعطنا ما يمكن الاعتداد به من أحواله وتاريخ حياته التى تكاد تكون مبهمة فكل ما ستطاع أن يقدمه لقراءه قاصرا أو مقصّرا هو تلك الاشارات التى تشبه الالغاز كأشارته الى أن عبدالغنى ابن الدنوس قرّبه المستعصم العباسى وحظى بلقب ـ نجم الدين ـ ومن أعظم السيئات التى نقم

الناس بها على الخليفة المذكور هو تسليطه لهذا الاحمق على اعراض الناس وأموالهم وادخاله فى المملكة واتفق بعد سقوط بغداد بأيدى التتر أن أحد أعيان تلك الدولة ـ الايلخانية ـ وهو نجم الدين الاصغر سار فى الناس سيرة سلفة وسميّه سيما وهو نائب علاء الدين الجوينى صاحب الديوان ، ثم مضى ابن الفوطى فى استطراده فى تهجينه والتحامل عليه حتى قال : ـ (وكان جماعة منهم رجل من أهل الحلة يُعرف بابن الدربى بينهم حديث نجم الدين ابن الدرنوس وحكمه فى زمن الخليفة وأن نجم الدين الاصغر قد استولى على امور هذه الدولة كما استولى هو فأنشد ابن الدربى ابياتا لنفسه :ـ

نجمان كل منهما فى بلدة — لا ناصح فيها ولا مأمون
وكلاهما ساس لعراق فذاك قد — كان الخراب به وذا سيكون
ان كان تأثير الكواكب هكذا — هذا جنون ، والجنون فنون

فأمر الصاحب بتحصيل الجماعة فاختفوا أياما وأمسك عنهم) الخ وفى مجموعة ـ نشر الخزامى ـ بعد ايراده لهذه الابيات قال (أبيات قد قالها ، فتحمل أثقالها ، ولا عجب من هذا النظام ، فقد جُبلْت على الحسد اللئام ، فهو فقيه لم تسنعه الفقاهة ، ونبيه لم تنفعه النباهة ، والنباهة اذا لا تفيد فخيرمن النبيه البليد) ولم يوجد من هذه الصفحة سوى طرفيها فمن الاعلى سطر واحد وهذا نصه (الشيخ الفاضل والبدر الكامل نجم الدين المولود فى حدود) وفى طرفها الاسفل الابيات المذكورة وتعقيبه عليها ثم أسطر مبتورة يتلوها قوله (الشيخ أبو القاسم بن الحسين الحلى الشهير بالرافضى الى أن قال (توفى طاب ثراه وجعل الجنة مأواه سنة ٦٧٩هـ) وهو تاريخ وفاة الرافضى المذكور فى الترجمة رقم (٣٧) فوصفه بالفقاهة والنباهة ونظمه للشعر دليل على اشتراكه فى فنون العلوم ونشرها والعمل على تقدم التفكير الاسلامى فى مجالات انطلاقه وان كنا لا نعرف بالضبط نوعية ذلك العمل الذى نقوله على

سبيل التخمين والاستنتاج المبنى على الظن ولكنه لا يتصادم وعلمنا بكونه كان من رجال العلم والادب على سبيل الاجمال •

٤٠ ـ الشيخ ورّام ـ ٦٠٥هـ

الشيخ ورام ابن أبى الفوارس معدود من الطبقة الثانية أمثال على بن شَعرة الذى مرت ترجمته عليك برقم (٤) وأمثال سالم بن محفوظ المترجم برقم (٢٥) وأمثال الحسن بن يحيى بن سعيد والد المحقق الحلى • والشيخ ورّام أمير تجلبب ثوب الرآسة وفقيه رفل ببرد الكياسة فهو أمير الفقهاء وفقيه العلماء العالم المحدّث الزاهد التقى أبـو الحسـين ورّام ابن أبى الفوارس عيسى بن أبى النجم بن حمدان بن خولان الحارثى ، يتصل نسبه الكريم المشرق ببطل الاسلام مالك الاشتر بن الحارث النخعى صاحب أمير المؤمنين علي بن أبى طالب عليه السلام الذى يروى عنه ـ ع ـ انه قال فيه (كان لى كما كنتُ لرسول الله) وما أعظمها شهادة وأجلّها كلمة ، والنخع قبيلة عربية كبيرة من قبائل مذحج التى يرأسها الشهيد حامى الذمار هانى ابن عروة الذى أبت شهامته العربية ودينه أن يعطى ضيفه رسول الحسين ، ابن عقيل الى ابن زياد ولو كان فى ذلك ذهاب رأسه وقد قُتل فعلا من أجل امتناعه من تسليم مسلم بن عقيل ، وهذه القبيلة من قبائل اليمن وأصل هذه النسبة ناشىء عن انتمائها الى حبيب بن عمرو بن علة الذى (انتخع) عن قومه أى ابتعد عنهم وفارقهم ، ولهذه الاسرة العربية مكان رفيع وكيان مرموق ، وآل أبى فراس ـ عشيرة المترجم له ـ غصن من هذه الدوحة الـكريمـة جمعت بين الرآستين ، الدينية والدنيوية ، وهى من أفضل الاسر الحليـة التى خدمت الاسلام والعرب والعلم والآداب أجل الخدمات ولاجل ما حازته من الامارة والزعامة حصل كل فرد منها على لقب ـ أمير ـ فيقال مثلا الامير حسام الدين والامير مجيرالدين والامير ورّام ، وورام هذا هو جد السيد جمال الدين

علي ابن طاووس من قبل أمه ، ويتضح من تتبع سيرة المترجم له انه جمع بين الدين والدنيا ، وما أحسن الدينَ والدنيا اذا اجتمعا فكان أميراً لهاتين السلطتين وقد فرغ من عُهدتهما عـلى خير وجه بجدارة وكفائة ، وادى – جـزاه الله خيراً – ما عليـه من واجب الاصـلاح الاجتماعى واستطـاع أن يقود الناس كأنجح قائد الى الخير فى معركة الفضيلة والرذيلة ، والعلم والجهل ، ولا نستكثر عليه ذلك بل ولا نستغرب من نجاحه هذا فقد بدأ بأصلاح نفسه ، ورعا وتقوى علما وأدبا فاحتذت الناس حذوه ، والناس على دين ملوكها ، فقد قرن القول بالعمل والوعظ بالأتعاظ فكانت لنصائحـه وتوجيهاته ما يشبه أثر السحر فى نفوس الناس ولم يكن كبعض وعـاظ زماننا الذى أكثر من ادخال هذا الخبر – الدنيـا جيفة وطلاّبها كلاب ، ولكنه يكاد لا يمضي شهر الا ويشترى مُلْكاً جديداً حتى طالت قائمـة أملاكه دون أن يؤدي ما عليه من حقوق الله منها فمثل هذا الواعظ الحقير تكون لمواعظه نتائج عكسية وينطبق عليه قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ؟) وكثير من الناس لم يتعلم الفقه والوعظ الا للتقدم على الأقران والتسلط على أموال اليتامى والأرامل ومتى كان طلب ذلك لغير وجه الله كان أداة تخريب وهدم ولكن شيخنا ورامَ طلب العلم لوجه الله وليس للرآسة الدنيوية لأن ذلك تحصيل حاصل فقد بينّا لك أنه أمـير ولكنه طلب العلم للارشاد والتوجيه وخدمة الاسلام فكان فى الصف الاول من صفوف الصالحين المصلحين وكانت مواعظه وارشاداته تتغلغل الى أعماق النفوس ، ولشيوع الثقافة فى عصره لم تكن الحركة الثقافية مقتصرة فى الحلة على الرجال وحدهم وانما شملت النساء ايضا فكانت النهضة النسوية أشبه بنهضة الرجال وتسايرها جنبـا الى جنب حتى احتفظ تاريخ الحـلة بأسماء فضليات النساء ومنهن من بلغت درجـة الأجتهاد كزوجة صاحب الترجمة ، بنت بنت الشيخ الطوسى ، فقـد كانت عالمة مجتهدة مجازة هى

وأختها ، ولكن للعادات القبلية والاجتماعية لم يكن من المستساغ المألوف أن يتصدى المترجمون لترجمة النساء الا نادرا وبأيجاز حتى ان الكثيرين في هـذا العصر شـديدوا الغضب اذا ذكرت اسـم امه أو احـدى محارمه ولا شك ان ذلك من الحماقة ومن بقايا ميراث الجاهلية وقـد وردت في القرآن الكريم وهو دستورنا قصص وأخبار عن الرجال والنساء على السواء وبسبب تلك العادة التي باعثها الأنفة والكبرياء ضاع جانب كبير ومهم من تاريخ الحلـة وكأن المترجمين واصحاب السير يجهلون أن الاسـلام أوجب طلب العلم على النساء والرجال فـورد (طلب العـلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ولكن العادات قاهـرات وتغيير العـادة يحتاج الى رياضة عقليـة كبيرة •

لم يكن الشيخ ورّام متخصصا في العلوم الدينية من فقـه وأصـول وتفسير وحديث وعلم الـكلام وعلم الرجـال وغيرهـا فحسب بل كانت له جولات وصولات موفقة في ميادين الثقافة العامة علىاختلاف فروعها وتباين فنونها ورجع بغنائم كثيرة وثمينة فأتقن المقدمات والعلوم الآلية من نحـو وصرف ومعاني وبيان وبديع ولغة ثم درس العلوم العقلية والدينية كعـلم المنطق والحكمة وعلم الكلام والفقه والاصول ثم مارس فن الوعظ فنجـح ايضا فيه نجاحا باهرا يستدعي الاعجاب والاكبار حتى كان معدودا منأشهر الوعاظ مدحه كل من عرفه حتى قال فيـه منتجب الدين (شاهدته بالحـلة فوافق الخُبْرُ الخَبَرَ) وهـذه الجملـة تصح أن تـكون من باب ليت عينيه سواء ، لولا القرائن الاخرى كتوثيقه وروايته عنه والاعتداد بأقواله •

تلمذ الشيخ ورّام على يد الشيخ سديد الدين محمود بن علي بن الحسن الحمصي الرازي الذي مرت ترجمته برقـم (١١) والمصاهر لابن ادريس ويروي عن الحمصي • وقد تظاهرت جهود هـذه النخبة الممتازة فمثلت تلك الادوار المشرقة على مسرح تاريخ الحلة الفيحاء فكانت مناط فخر

الحلة ومصدر عزها فكوّنوا جيلا صالحا واعيا وأعقبه جيل مثله فى الوعي والصلاح مدفوعا بقوة الاستمرار من جهة ولتوفر مصلحين بذلوا جهدهم المشكور على ابقاء تلك القوة وتركيزها ومحافظتها من الاصطدام بالنقيض حتى أخذت الحركة الاصلاحية تضعف شيئا فشيئا لقلة المخلصين من زعماء الحركة الدينية حتى لم تعد للدين والعلم تلك الهيبة والصولة وفقد العلماء مكانتهم متخاذلين وانتشرت الفكرة الألحادية ودبت فى جسم الامة سموم الآراء الاستعمارية وعملت اعداء الاسلام على تعضيد الألحاد بشتى الوسائل الجهنمية الخبيثة وساعدت ذلك انحرافات بعض رجال الدين عن الطريق السوى وزاد فى الطين بلة جهالة العوام المتشبهين بالعلماء ممن تسمّوا بالعلماء الاحرار وهم الجهلة العبيد فاختلط الحابل بالنابل وأصبحنا فى فتنة عمياء حتى قذف حجج الاسلام قنبلتهم المدمرة فقضت على باطل الالحاد والفوضى وما تلك القنبلة الا فتاويهم بتحريم الشيوعية وكانت قنبلة (المحسن الحكيم) أشدها مفعولا : (الشيوعية كفر والحاد أو ترويج للكفر والألحاد) فانتعشت الحركة الدينية من جديد ووصلت أشعة اصلاحات (الحكيم) الى كل مكان ونالت الحلة منها نصيبها وها هى فى الحلة الحركة الدينية فى دور التهيؤ والتحضير ونتمنى صادقين أن تنفجر هذه الطاقة المكبوتة لتأخذ مكانها من الحياة ولتحتل الحلة مكانتها اللائقة وعسى أن يعيد التاريخ نفسه .

من آثاره :

للشيخ ورّام مصنفات جليلة منها كتاب تنبيه الخاطر ونزهة النواظر ، وهو الكتاب الذى اشتهر به ، فى مجلدين وموضوعه العلم الاخلاقى تكرر طبعه وقد غلط عبد الكريم الماشطة فى كتيبه ـ مختصر تاريخ الحلة ـ الذى نحله يوسف كركوش ـ أحد معلمى المدارس الابتدائية الرسمية فقد ظن هذا الكتاب انه غير مجموعة الشيخ ورّام والحق انهما اسمان لكتاب واحد . وقد خسرت الحلة الشيخ ورام ـ رحمه الله ـ سنة ٦٠٥ هـ فكان يوما من أيام الحلة العصيبة .

٤١ ـ الرئيس ابو البقاء ابن نما ـ ٦٨٠ هـ

لقد مر عليك قريبا ان اسرة آل نما من الاسرة العلميـة الشهيرة فى الحلة لها مكانتها العالية فى التاريخ الاسلامى مكنت الفكر العربى من الفلهوز والاستمرار بما قدمته له من خدماتها الجليـلة المتواصلة فى حقلي العـلم والادب والتقوى فكان أثرها فى مجتمعنا العربى الاسلامى ملموسا وقـد ساعدت على تركيز القوة الروحية الابداعية والتنظيمية ما نشرته من كتب نفيسة وما خاضته من جولات ثقافية الأمر الذى بوأها مركزها الدينىالممتاز وأعطاها الزعامـة الدينية والدنيوية عن كفائة واستحقاق حتى تخرج عـلى هذه الاسرة النبيلة عدد هائل من أكابر علمـاء ذلك العصر وادبائه وبقيت مؤلفاتهم تغذى الفكر العربى والاسلامى حتى الساعة ، ومن أصول هـذه الدوحة المباركة المثمرة الرئيس العفيف الشريف أبو البقاء هبة الله محمد ابن نما بن علي بن حمدون الحلي الربعي الشهير ـ بابن نما ـ اطلاقا ، فقد كان من فضلاء عصره والنخبة الخيرة المختارة من جيـله وأشهرهم علمـا وأتقنهم للمعقول والمنقول ، يروى عن الشيخ محمد بن احمد بن ادريس الذى مرت ترجمته برقم (١٠) وهو من مشائخ الشيخ محمد المعروف بابن المشهدى صاحب المزار • ومن أعلام اسرة آل نما الشيخ جلال الدين ابو محمد الحسن بن نما من أجل الفقهاء • وصفه صاحب كتاب ـ أمل الآمل ـ بقوله (الشيخ جلال الدين الحسن بن نما الحلي كان فاضلا عالما جليل القدر من مشائخ الشيخ الشهيد محمد بن مكى العـاملى) المستشهد سنة ٧٨٦ هـ فقد كان الشيخ جلال الدين ابو محمد الحسن بن الشيخ نظام الدين احمد ابن الشيخ نجيب الدين ابى ابراهيم أو ـ أبى عبد الله ـ محمد بن جعفر ابن ابى البقاء هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الربعى الحلي ، فقيها جليلا يروي الشهيد عنه عن يحيى بن سعيد الهذلي ، ويروى هو عن آبائه الأربعة بالترتيب ، وقد نعته الشهيد الثانى ـ بالفقيه الصالح ـ ويا له من نعت عظيم

ومن هذه الافنان المثمرة من تلك الشجرة الطيبة التى تؤتى أكلها كل حين ، نجم الدين جعفر بن نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله حفيد ابى البقاء ، وهو شيخ عالم فقيه كامل أديب متوقد الذهن ذو نضوج مبكر كان من أكبر فضلاء عصره الزاخر بالعلماء وله أخ فاضل هو الشيخ نظام الدين احمد بن نجيب الدين المذكور .

حكى العلامة أعلى الله مقامه حكاية يدل مغزاها على ما لنجم الدين أخيه من منزلة وقدر ورفعة قال [كان بالحلة أمير فخرج يوما الى الصحراء فوجد على قبة مشهد الشمس طيراً فأرسل عليه صقراً يصطاده فانهزم الطير فتبعه حتى وقع فى دار الفقيه ابن نما والصقر يتبعه حتى وقع عليه فانسحب رِجْلاه وجناحاه وعُطّل فجاء بعض اتباع الامير فوجد الصقر على تلك الحال فأخذه وأخبر مولاه بذلك فاستعظم هذه الحال وعرف علوّ منزلة المشهد فشرع فى عمارته] الخ .. نقل هذه الحكاية صاحب كتاب الفوائد الرضوية ص ٨١٠ ولا نريد أن نعلق عليها بشيء فهى من الأمور الممكنة والممكن بحد ذاته جائز الحصول واذا كانت الرواية قد صدرت عن العلامة الحلي فلا اشكال فى صحتها واذا نُسب اليه فيمكن مناقشتها فقبة مشهد الشمس ليست فى صحراء والرواية تقول ان الامير خرج الى الصحراء ويجوز توجيهها بأنه خرج الى الصحراء وفى أثناء مسيره رأى الطير على قبة مشهد الشمس كما يمكن مناقشة قضية الصقر والطير فأنه لما انهزم الطير من ذا الذى تبعه وبأية واسطة ؟ حتى تيقن انه وقع فى دار الفقيه ابن نما ويمكن توجيه ذلك بأن توجه الطير والصقر فى أثره الى الحلة فلما وقع فى دار الفقيه بن نما شاعت القضية فسمع بعض اتباع الامير بقصة الصقر والطير فى دار الفقيه وكان يستقصي أثره فلما أخبروه بأن طيرا وصقرا وراءه وقع فى دار الفقيه ابن نما ذهب الى هذه الدار ولما شاهد الصقر عرفه فأخبر الامير بالقصة وليست هذه الفضيلة مستبعدة عن مثل هذا الزاهد العابد فله

فضائل وكرامات نيرة وقد خدم الدين بكتبه التي منها كتاب ـ مثير الاحزان ـ المعروف لا سيما عند الخطباء الذاكرين بـ (مقتل ابن نما) وكذلك كتابه ـ شرح الثار فى أحوال المختار ـ وكتاب منهج الشيعة فى أحكام فضائل وصي خاتم الشريعة ، وانّ هذا العالم العظيم من مشائخ العلامة الحلي طاب ثراه كانت وفاته سنة ٦٨٠ هـ على وجه التقريب ، وله مرقد شريف قرب مدرسة الوثبة فى الحلة فى الشارع المعروف ـ بعقد الطويل ـ على مسافة قليلة من مرقد ابى الفضائل وقد أعيد تجديد قبته قبل ثورة ١٤ تموز يروي عن الشيخ كمال الدين علي بن الحسين بن حماد الذى يقع مرقده خلف سجن الحلة المركزى الحالى فى محلة الجامعين وكان صاحب الترجمة مع علمه الغزير شاعرا ولكن شعره ليس من شعر الفقهاء فقد كان جيدا ومقبولا ، ومن شعره فى الحماسة من البحر الطويل :ـ

أنا ابن نما ، امّا نطقت فمنطقى — فصيح اذا ما مصقع القوم أعجما
وان قبضت كف امرىء عن فضيلة — بسطت له كفا طويلا ومعصما
بنى والدى نهجا الى ذلك العلا — وأفعاله كانت الى المجد سلما
كبنيان جدى جعفر خير ما جد — وقد كان بالأحسان والفضل مغرما
وجدّ ابى الحبر الفقيه ابى البقا — فما زال فى نقل العلوم مقدّما
يوّد اناس هدم ما شيّد العلا — وهيهات للمعروف أن يتهدما
يروم حسودى نيل شأوي سفاهة — وهل يقدر الانسان يرقى الى السما ؟

ويُحتمل فى (ابي) الأضافة الى المتكلم فيكون المراد فى قوله جد أبى هو أبو البقاء فهو جد أبيه كما يحتمل انه أراد فى (أبي) اضافته الى ابى البقاء فيكون المراد علي بن حمدون وهو جد أبى الحبر الفقيه ابى البقاء والمعنى كما يقولون بقلب الشاعر ، ومن شعره يمدح امير المؤمنين علياً عليه السلام من الخفيف :ـ

جاد بالقرص والطوى ملء جنبيـ — ـه وعاف الطعام وهو سغوب

فأعـاد القرصَ المنير عليـــه الــ ـــقرصُ ، والمقرض الكرام كسوب

ومن شعره ايضا من الكامل :ـ

ان كنت فی آل الرسـول مشككاً فاقـرأ هـــداك الله فی القـــرآن

فهــو الدليــل على علو محلهم وعظيـم فضلهموا وعظـم الشـأن

وهموا الودائع للرسـول محمـد بـوصيـة نـزلت مـن الرحمـن

وهذه الأبيات تنحطّ عن سائر شعره ولعلهـا من أول قوله أو انه ارتجلها دون اعادة الفكر فيها والا فأين هذا من قوله فی اصحاب شـهيد الأباء الامام الحسين ـ ع ـ من الطويل :ـ

اذا اعتقلوا سمر الرماح ويممـوا اسود الشرى فرت من الخوف والذعر

كماة رحى الحرب العوان، فان سطوا فأقرانهم يوم الكريهـــة فی خسر

وان اثبتوا فی مزلق الحرب أرجلا فموعدهم منـــه الى ملتقى الحشر

قلوبهموا فـوق الدروع ، وهممهم ذهاب النفوس السائلات على البتر

ثم هل تستقيم تلك الأبيات مع قوله :ـ

وقفت عـــلى دار النبی محمـــد فألفيتها قـــد أقفرت عرصاتهـــا

وأمست خـــلاء من تلاوة قـاریء وعطـــل فيهـا صومها وصلاتها

وأقوت من السادات من آل هاشم ولم يجتمع بعـــد الحسين شتاتهـا

فعينی لقتل السبط عبری ، ولوعتی على فقـدهم ما تنقضي زفراتهـــا

ولصاحب هذه الترجمة حفيد فاضل هـو جعفر بن محمد بن جعفر المعاصر للشهيد • ومن هذه الدوحة الكريمة الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبـة الله والد نجـم الدين جعفر قال فيه صاحب كتاب ـ لؤلؤة البحرين ـ انه [كان رئيس الطائفة فی زمانه] الخ •• وقال فيه صاحب كتاب ـ أمل الآمل ـ انه [فقيه من أجـَل أشياخ المحقق] الخ •• توفي فی النجف الأشرف سنة ٦٤٥ هـ وبامكاننا تاريخه فنقول :ـ

اظلـّمتِ الدنيـــا لفقـــدانه والخُلد فيه ارخوا : مشرقه

ومن مفاخر هذه الأسرة النبيلة وكلها مفاخر هو الشيخ علي بن علي ابن نما وصفه صاحب كتاب روضات الجنات بما هو جدير به فقال : [وفي كتاب رياض العلماء ترجمة للشيخ علي بن علي بن نما وذكر انه من مشائخ اصحابنا من آل نما الحلي وانه يروي عن ابى محمد الحسن بن علي بن حمزة الأقساسى الشاعر ، ويروى عنه السيد الأجل الشريف ابو الحسن علي بن ابراهيم العريضي العلوى الحسيني] الخ •• وقالوا انه من طبقة الشيخ ابى علي الطوسي علما وفضلا وورعا وزهدا •

توفي المترجم له الرئيس ابو البقاء سنة ٦٨٠ هـ •

٤٢ ـ يوسف بن علوان الفقيه

هو الشيخ يوسف بن علوان الفقيه الحلي ، من العلماء المغمورين الذين قد ظلمتهم التراجم فلم تعط عنهم الفكرة الكافية ما يتسق ومكانتهم العلمية وأتعابهم الكبيرة ومنزلتهم الاجتماعية بل نجد هذه التراجم تمر عليهم مر الكرام أو كلمع البرق بين الغمام ، ومن هؤلاء المظلومين المغمورين صاحب هذه الترجمة الذى عنوانه يدل على عظمته وجلالة قدره فقد بحثت التراجم سيرته بايجاز لا يفي بالقصد ومن هؤلاء الباحثين صاحب كتاب ـ رياض العلماء ـ فقد أورد من ترجمة الشيخ يوسف ما يشبه قبسة العجلان حتى لم نجد ترجمته قد تجاوزت بضعة أسطر فهل فىهذه الاسطر القليلة مايكفى لأعطاء فكرة واضحة ترفع الأبهام والأيهام ؟ وليت شعرى ما مقدار ما نستفيده من قوله فيه انه [عالم متكلم جليل ، كان من أكابر علماء الأمامية ، معاصرا للمحقق ، ونجيب الدين ابن نما ، ولوالد العلامة ، يروي عن الشيخ يحيى بن علي بن يحيى الحناط عن ابن ادريس ، وتتلمذ عليه الشيخ محمد بن زنجى وأجازه ، وتاريخ اجازته سنة ٦١٨ هـ له فتاوى فى أصول الدين] فاذا كانت هذه منزلة صاحب هذه الترجمة وهذه

مكانته العلمية ، عالم متكلم فقيه جليل من أكابر العلماء فلماذا أهمل التبسط في سيرته المؤرخون ؟ انها جناية أدبية لا مبرر لها ولا مسوّغ كان الواجب الديني والتاريخي والادبي أن تفيض في البحث في هذه الشخصية الكريمة ولم تبخل بالاسهاب فيها ليحصل الألمام بنواحي سيرتها والاطلاع على ألوان ثقافتها والاستفادة من نتاجها العلمي والادبي باعطاء نماذج مفيدة من تلك الالوان الثقافية ليستفيد منها الناس لا سيما في مثل هذا الوقت الذي نرى فيه هبوط درجة الصلاح والاصلاح الى الصفر فلا ندري ما هي بواعث ذلك الأيجاز بالوقت الذي نرى فيه هذه التراجم تسرف بالقول وتصف بدقة حوادث تافهة وتسجل فضول القول وثقالة الامور وتعتني بتراجم سقط الناس ومضاحيكهم ، ثم انها تهمل تفصيل ترجمة أمثال ـ ابن علوان ـ الفقيه الكبير حتى اذا تفضلت بترجمة أحد هؤلاء الافاضل ففي سطرين أو بضعة أسطر ، بما لا يفيد شيئا بل يزيد في النفس حسرة وفي القلب لوعة وألما ، ولم أجد في مجموعة الجد المجتهد السيد فاضل قدس سره ـ نشر الخزامي ـ سوى سطرين وقد ضاعت باقي ترجمته والموجود منها هو [شيخنا ابو محمد شمس الدين يوسف بن علي الفقيه كان من مشائخ الفقهاء في الحلة ، ومن العلماء المتكلمين الأجلّة ، ممن عاصر ابا القاسم جعفر بن الحسن الشهير بالمحقق الحلي] واننا لنلاحظ ان اسم أبيه جاء في كتاب ـ نشر الخزامي ـ (علي) وفي كتاب ـ رياض العلماء (علوان) ولا ندري هل هو المقصود أم المقصود شخص آخر الا اننا نرجح انه هو المقصود لوحدة الأوصاف الا في ـ علي ، وعلوان ـ وهذا جائز في عرف العامة فانهم يحرفون ـ علي ـ الى علوان ـ وحسن الى حسوني أو حسيّن وهلم جرا •

٤٣ ـ سديد الدين ابن المطهّر

لأسرة آل المطهّر الحليّة في تاريخ الفكر العربي والثقافة الاسلامية صفحات ناصعة ، ومآثر جليلة خالدة خلود الشمس ، مشرقة شروق

الكواكب ، يملأ نورها الوضيء النجود والبطاح ، نقف أمام هذه العبقرية فنصمت صمت اكبار واجلال ، فان لهذه الأسرة النبيلة من العلم والشعر ، والفضل والنبل ، والدين والورع ، والصلاح والاصلاح ، والشرف والسؤدد ، ما أهلها لأن تصبح مركزا للحرية الدينية ورمزا لثقافة الحلة وتقدمها الفكرى فخدمت الحركة الثقافية وأدت الى الدين خدماتها المشكورة حيث كانت الحلة حينذاك من أهم معاقل العروبة والاسلام وجامعة كبرى للحضارة الاسلامية رغم عَنَتِ المتعنتين ، ولاجل ان يكون بحثنا واضحا يجب أن نُلقي نظرة فاحصة على ثنايا تاريخها القديم ونرى ما جادت به هذه الربوع من علماء وادباء ، ثم علينا أن نقوم بعملية المقارنة بين ما انتجته الحلة من مجموعة ضخمة من قادة الفكر وأعلام العلم والثقافة ، وبين ما قدمته المدن الاخرى من هذا الصنف الممتاز من الناس ، وحيث ستكون نتيجة المقايسة الحكم العادل بتفضيل الحلة او اعتبارها من أهم مراكز الثقافة الاسلامية فى ذلك العصر على أقل تقدير ، ولا بد أن تكون مدينة الحلة مدينة لعلمائها وادبائها فى حسن سمعتها ورفع مستواها الثقافى فاليهم يرجع الفضل فى ذلك التوثب الفكرى والنضوج الثقافى حتى ازدادت شوكةالعلم قوة ونالت الثقافة مركزها السامي الخطير ومثلها الاعلى المنشود • وفى طليعة هؤلاء العلماء الذين ساقوا قافلة النضوج الفكرى الى الامام هم العلماء الميامين من اسرة ــ آل المطهّر ــ التى جمعت الفخر من أطرافه وضخّمت قاموس علماء الحلة وادبائها ، وكفاها سؤدداً أن يكون العلامة الحلي ووالده وولده من بعض غصونها النضرة المورقة ومن ازهارها العبقة واقمارها المشرقة •

أما سديد الدين يوسف ابن الشيخ شريف الدين علي بن المطهّر والد العلامة الحلي الذى ينظر حتى ألد أعدائه اليه نظرة الاعجاب والاجلال فقد كان سديدُ الدين ، سديدَ الدين سديدَ الرأى والفكر كان الجرسَ الذى نبّه مشاعر الحلة ووجهها الى الخير والخلود ، كان المنار الذى اهتدت

بـه الى المجد والفخر ، كان القدوة الحسـنة الذى اقتدت بـه فى نهضتها الاسلامية ، كان رحمه الله علماً فى العلم والزهد والصلاح والاصلاح له جولات موفقة فى مضامير الثقافة ومساعى حميدة لأدب القوة وقوة الأدب وتثقيف جيل سليم مزوّد بمقومات الحيـاة ، أخـذ مكانته تحت الشمس ، وليس ذلك بكثير على ـ سديد الدين ـ الرجل الفقيه المتبصر الذى فتح كنوز أكثر العلوم واستولى على أثمن ما فيها من ذخائر ونفائس من تفسير وفقه ، ولغة وبلاغة ، وأدب وشعر ، وحديث وكلام ، واصول العلم وعلم الاصول ، فقد كان رحمه الله مطلعا على اكثر العلوم العقلية والنقلية محدّثا متكلما ذكي الفؤاد دمث الاخلاق قـد تبوّأ بمزاياه الجليلة النادرة عـرش العظمة والخلود ، له نظرات صائبة تخترق حجب الغيب كما تخترق الاشعة الكونية صفائح الرصاص ، قد ضرب على الاوتار الحساسة فى قلوب الامة فاجتذبها الى النشاط الفكرى والطموح العاتى والعمل المثمر الجبـار فكان للحلة ذلك التاريخ المجيد وكانت للحلة تلك النهضة العلمية المباركة وأما اليوم فمع كل الاسف :

أمست خلاءً وأمسى اهلها احتملوا   أخنى عليها الذين أخنى على لبدِ

أساتذته وتلاميذه :

تتلمذ رحمه الله لأكابر علمـاء الطبقة الثانيـة من أعلام علمـاء الحلة وغيرهم ، فمن أساتذته البارزين فى العلم والرواية ، سالم بن محفوظ بن عزيزة بن وشاح ، والسيد فخار بن معد ، وابو ابراهيم نجيب الدين محمد بن جعفر بن أبى البقاء هبة الله بن نما ، وتتلمذ على سديد الدين جماعة من فطاحل العلماء أمثال ولديه ، العلامة ورضيّ الدين وغيرهما ولـكلٍ آثارٌ ثقافية عسى أن يوفق الله تعالى ناشئتنا وذوى اليسار والثروة من اهل الحلة الى بعث مطمور آثـارهم الغاليـة الى ابنـاء هـذا الجيل المتحفز الى التفوق

والنهوض حين تتيسر لـه الاسباب الى تقديم نتائج تلك الدراسات القيّمة التى ترفع الرأس وتعيد لنا شيئاً من زعامة الحلة الثقافية التى طوت صفحاتها يد الايام •

٤٤ ـ ابن سعيد الحلي ٦٠١ ـ ٦٨٩ هـ

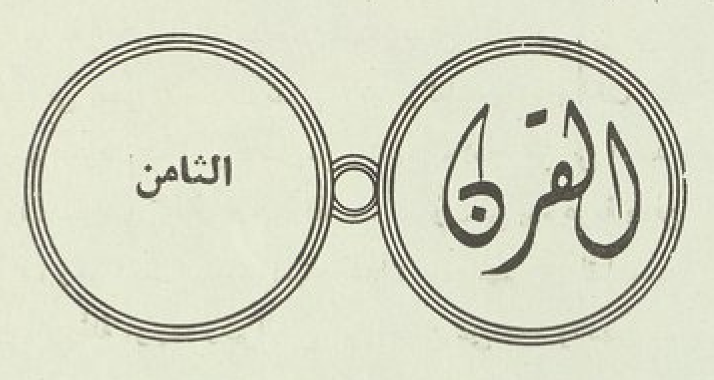
أبو زكريا يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي ابن عم نجم الدين جعفر المحقق الحلي صاحب كتاب الشرائع وسبط محمد بن ادريس صاحب كتاب السرائر وهو من الفقهاء المتبحرين والعلماء العاملين والزهاد الصالحين والادباء اللامعين ، متقن للفقه والاصول واللغـة والمنطق والكلام والجدل والمناظرة والصرف والنحو والحساب والرياضيات وصفه ابن داود بقولـه [شيخنا الامام العلامـة الورع القدوة جـامع فنون العلوم الأدبية والفقهية والاصولية اورع فضلاء زماننا وأزهدهم] الخ وان هـذه الشهادة القيّمة من مثـل ابن داود لها مدلولها الدقيق عند من يعرف ابن داود وتحفّظه عن ارسال كلامه على عواهنه ، وبهذه الشهادة يمكنك أن تستشف من وراءها جلالة المترجم له ، ورفعة شأنه ، ويكفى دليلاً على صحة هذه الشهادة والاوصاف المطرّدة فيها أن أبا زكريا قد صنّف كتابه القيّم ـ الجامع للشرائع ، وكتاب نزهة الناظر وهما كتابان جليلان فيهما تحقيق دقيق وعلم غزير واحاطة واسعة وعمق دراسة وبُعد نظر عجيب ، كما أن لمصنفهما مصنفات اخرى لا تقل عنهما أهمية فى علم التأليف والتصنيف ولا عيب فى هذه الذخائر الثقافية الغالية سوى رميها بزوايا البيوت وسلال المهملات لم تصل يد غيور على هذا التراث المجيد الى نشرها ليستفيد هـذا الجيل من تلك الثروة الفكرية الطائلة تلك الثروة التى يصلح فيها قول جدنا السيد حمد السيد محمد حسن كمال الدين

عزيز علينـــا كتبنـا بَعْدَنـا تباع بفلسٍ أو بزاوية تُرْمى

والمترجم له ، ذو شغف بالتأليف والتصنيف يروي عنه العلامة الحلي وابن طاووس والسيد عبد الكريم .

ولادته :

ولد رحمه الله سنة ٦٠١ هـ ويصح أن نقول فى تاريخ ولادته (اثق)، اما وفاته ففى ليلة عرفة من سنة ٦٨٩ هـ ويصح تاريخها فى (خطف) وعمره (٨٨) عاما وقبره فى الحلة عليه قبة مجصصة ولا عجب فالناس موتى وأهل العلم احياء .



٤٥ ـ أحمد بن يحيى المزيدى

المزيدية قرية من قرى قضاء الهاشمية ورساتيقها تابعة الى لواء الحلة ، تنسب الى هذه القرية جمهرة من اهل العلم والمعرفة وشخصيات ادبية بارزة وقد خرج من هذا المنبت الخصيب كثيرون من روّاد المعرفة وأهل الفكر والثقافة ومن وسط هذا الجو الهادىء الصافى والبيئة الصالحة ومن ضفاف نهر الفرات الجميل نبغ الشيخ جمال الدين احمد بن يحيى الشهير ـ بالمزيدى ـ الحلي وولده الشيخ رضي الدين علي بن احمد المتوفى سنة ٧٥٧ هـ والذى هو أحد مشائخ الشهيد ومن تلامذة العلامة اعلى الله مقامه .

قال المرحوم صاحب كتاب ـ أعيان الشعة ـ ان المترجم له [وُصِفَ فى الاجازات بالشيخ السعيد جمال الدين احمد وليس هو من مشائخ الاجازة ،

ولكن ولده رضيّ الدين أبا الحسن علي من مشائخ الشهيد ويُذكر فى الاجازات ويُذكر والده هذا بتبعيته ولا نعلم من احواله غير ذلك] اما ولده الشيخ رضيّ الدين سالف الذكر فقد كان فقيها بارعا وعالما جليلا قطع فى العلوم مدىً غير قصير ولم يقتصر على لون معيّن من الدراسة العلميةفشارك فى كثير من الوان العلم كالنحو والصرف والبلاغة واللغة والمنطق والفقه والاصول والكلام والحديث والتفسير وغيرها قال فيه مصنف كتاب ـ رياض العلماء انه [كان من أجلة فقهاء الاصحاب معاصرا للشيخ فخر المحققين ولد العلامة وكان استاذ شيخنا الشهيد قدس سره ويروى عن ابن داود ووصفه فى بعض الاجازات بملك الادباء والعلماء] أما صاحب كتاب ـ أمل الآمل ـ فقد قال فيه انه [فاضل من تلامذة العلامة وهو ابن أحمد بن يحيى المعروف بالمزيدى] توفى رحمه الله عند الغروب من يوم عرفة ودفن بالنجف الاشرف وهو الملقب بملك الادباء وهذا اللقب المهم كان لقبا لعلمين فاضلين من فقهاء الحلة أولهما رضىالدين أبو الحسن على هذا وثانيهما شمسالدين محمد الهاشمى الحارثى الحلى فقد كان أيضا فقيها اديبا بارعا . أعقب ولدا نجيبا كان من فطاحل علماء الحلة وجهابذة فقهائها وهو جلال الدين محمد أحد تلامذة المحقق الحلى ومن أساتذة الشهيد ، ويروى الشهيد عنه ، وقد أثنى عليه ثناء عاطرا فى اجازته لابى نجدة فى تعداد طرقه الى المحقق وكتبه فقال [وأرويها غالبا عن الشيخ الامام البليغ الخطيب المقنع جلالالدين محمد بن الشيخ السعيد ملك الادباء والشعراء والخطباء شمس الدين محمد الكوفى الهاشمى الحارثى] الخ وانما نسب الى الكوفة لانه سكنها .

٤٦ ـ أحمد ابن الحداد

الشيخ جمالالدين أحمد بن محمد الحداد الحلى من تلامذة العلامة الحلى عاش فى وسط تيار عنيف من الحركة الثقافية فى عصر كان من ازهى

العصور وأزهرها حتى كان الجو الاجتماعى والثقافى صاحيا من غيوم هذا التدهور والانحطاط ، حين كانت النضة الثقافية مشيدة على أساس وطيد من البحث والتتبع والاستنتاج وخصب الاحساس فى عصر علمى مدهش عجيب حافل بكل العناصر الصالحة للرقى والتقدم ، حين كان الدين يسيطر على مناحى الحياة ، حين كانت الاخلاق هى المقياس العام للرفعة أو للحطة ، للعزة أو للذلة ، حين كانت هذه النخبة من الناس مركز دائرة تلك النهضة والتيقظ ، ، كان المترجم له ، من موقدى مصابيح العلم ونافخى روح الحياة الثقافية فى جسم الامة ، كان زهرة شذية عطرت الجو الاجتماعى بأريج العلم والادب فارتوت الامة من خمرة المجد ورحيق العظمة وسارت مسرعة فى طريق الخلود الذى لا يسلكه الا من وعى ذاته وأحس بكرامته وشعر بأن له وجودا فى الحياة . فابن الحداد جمع بين فضيلتي العلم والادب فهو عالم فقيه فى مضمار العلم ، وهو شاعر لامع فى ميدان الادب ، وكاتب بليغ عشق الثقافة وتطلبها ونال منها كل مناه وقد نقل البحاثة المدقق صديقنا الشيخ محسن الطهرانى المعروف ـ بآغا بزرك ـ أن لابن الحداد تقريظا شعريا على مناسخات السيد عميد الدين عبدالمطلب الاعرجى الحلي ابن اخت العلامة أعلى الله مقامه ، وفى كتاب رياض العلماء نحو ذلك وأول التقريظ المشار اليه قوله من البحر البسيط (أنور زهر بدا فى روض بستان) تاريخه ٧٢١هـ ويكنى ابن الحداد بأبى العباس وهو من رواة العلويات السبع عن ناظمها عبدالحميد ابن أبى الحديد ، وابن الحداد هذا هو غير أبى بكر محمد بن أحمد ابن محمد الفقيه الشافعى المصرى .

٤٧ ـ المحقق الحلي ٦٠٢ ـ ٦٧٦ هـ

هو ابو القاسم نجم‌الدين جعفر ابن أبى يحيى الحسن بن نجيب‌الدين أبى زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلى المعروف ـ بالمحقق ـ عند

الاطلاق صاحب كتاب الشرائع من أجـل وأعظم علماء الامامية ، ومن أكبر وألمع فقهاء الشيعة ، ذاعت انتاجاته العلمية بعد موته كما ينبثق نورالشمس في الآفاق بعد الغروب فتعكس الكواكب ذلك الشعاع الباهر لتنير به الظلام الدامس ، كتب قيمة ومؤلفات جليلة كأنها مكتوبة بنـار ونور ، النـار التى تحرق هشيم الباطل فتذروه رياح النقد هباء منثورا ، والنور الذى يهدى الضمائر الحائرة والعقول التائهة الى سبل الحق والرشاد وقد أقامت مؤلفاته صرحا ضخما من العلم على اسس متينة من القوة الذهنية فهى أكثر الكتب مسايرة للسمو الفكرى والاستنباط الصحيح والاحاطـة الواسـعة بالعلـوم والفنون ، وقد عمل المحقق ، والانسان مضطر على العمل بغريزته ، على رفع المستوى العلمى والادبى جهد استطاعته سواء بكتبه النفيسة أو بخطبه البليغة أو بتدريساته الناجحة ، ومناقشاته التربوية القوية التى تفتح مغالق الافهام ، وبمثل تلك الجهود الجبارة كانت الحلة فى عهده أشبه بالمرج الاخضر النضر فيه فاكهة وزهور ، ونمير عذب ، يروى العقل والعاطفة والضمير ، وأقامت تلك الجهود البارة فى الحلة سوقا ثقافية رائجا للمعارف القديمة والحديثة [1] وكان لكل طراز ولون من ألوان النهضة الفكرية أعلام ساهموا مساهمة مشكورة فى تركيزهـا وتوسيع مساحتهـا وفى مقدمة هؤلاء العاملين صاحب هـذه الترجمة فقد كان علما من أعلام الفقه والاصول وكنزا ثمينا من كنوز المعرفة وبحرا بعيد الغور للثقافة والعلم ، ثقة جليلا ، واسع الفكر ، سليم الطبـع والرأى والعقيدة ، كثير التحقيق والتدقيق حتى لقبوه بالمحقـق وهـو لقب عظيم لم ينله اعتباطا ولا جزافا وقد وصفه الفاضل صـاحب كتـاب الـكنى والالقاب [بالشيخ الاجل الاعظم شيخ الفقهاء وواحـد هذه الفرقـة وأى واحد ؟ ابو القاسم نجم الدين جعفر بن يحيى بن سعيد الحلى ، فاضل عالم

---

(١) الحديثة بالنسبة لعصر المترجم له .

ثقة جليل محقق مدقق ، فصيح بليغ ، شاعر أديب منشيء ، جمع الفضائل والمحاسن ، أشهر من أن يُذكر ، لا نظير له في زمانه له شعر جيّد وانشاء حسن] قال تلميذه ابن داود الرجالي يصفه [كان ألسنَ أهل زمانه وأقومهم بالحجة وأسرعهم استحضارا ، قرأتُ عليه وربانى صغيرا وكان له عليَّ احسان عظيم والتفات ، وأجاز لي جميع ما صنّفه وقرأه ، وكل ما تصح روايته] وقال فيه صاحب كتاب أمل الآمل انه [الشيخ الاجل المحقق ، حالهفى الفضل والعلم والثقة والجلالة والتحقيق والتدقيق والفصاحة والشعر والأدب والانشاء وجميع العلوم والفضائل والمحاسن أشهر من أن يُذكر ، وكان عظيم الشان جليل القدر رفيع المنزلة لا نظير له في زمانه وله شعر جيّد وانشاء حسن بليغ وكان مرجع اهل عصره في الفقه وغيره ، وذكره الفاضل السيد محسن الأمين العاملي في موسوعته ـ أعيان الشيعة ـ فقال [كفاه جلالة قدر اشتهاره بالمحقق فلم يشتهر من علماء الامامية على كثرتهم في عصره بهذا اللقب وما أخذه الا بجدارة واستحقاق وقد رُزق فيمؤلفاته حظا عظيما فكتابه المعروف ـ بشرائع الاسلام ـ هو عنوان دروس المدرسين في الفقه الاستدلالي في جميع الاعصار ، وكل من اراد الكتابة في الفقه الاستدلالي يكتب شرحا عليه كمسالك الافهام ومدارك الاحكام ، وجواهر الكلام ، وهداية الانام ، ومصباح الفقيه وغيرها وصنّف بعضهم شرحا لتردداته خاصة، وعليه من التعليقات والحواشي عدد كثير. ونسخه المخطوطة النفيسة كثيرة لا تحصى وطُبعَ عدة طبعات في ايران ، ولأهميته فلا يخلو بيت طالب علم منه . طبع في لندن هو ومختصره ، النافع وعليه شروح كثيرة] الخ ومن جملة هذه الشروح كتاب الضياء اللامع من مصنّفات جدنا المجتهد السيد علي السيد حمد كمالالدين الملقب بالشرع في سبعة عشر مجلدا لا تزال مخطوطة ولنا تعقيبات على ما اورده الفاضل السيد محسن الأمين العاملي الذى مر عليك قريبا فانه ظن ان كتاب الشرائع من كتب الفقه

الاستدلالية وهو سهو فليس الشرائع من الكتب الفقهية الاستدلالية وانما هو مجرد كتاب فقهي واما وصفه هذا فيليق بكتاب اللمعة الدمشقية مثلا وقوله (يكتب شرحا عليه) اظن اللائق ان يقول شرحا له او تعليقا عليه كما أنّ قوله (كفاه جلالة قدر اشتهاره بالمحقق) ليس الاشتهار باللقب العظيم من ادلة العظمة فنحن نعرف مثلا شيخ العراقين ولم يكن شيخا لأحد ونعرف فارسيا يلقب بشمس الفقهاء وهو عامي حمّال وقد تلقب بالعلامة فى عصرنا من يجب عده من العوام ولكن العاملي احترس عن ذلك بقوله (وما أخذه الا بجدارة واستحقاق) وقد ذكره خير الدين الزركلي فى كتابه ـ الاعلام ـ ص ١٧٤ ج ١ فقال انه [فقيه امامي مقدّم من أهل الحلة فى العراق ، كان مرجع الشيعة الامامية فى عصره ، له علم بالادب وشعر جيّد] الخ .

نظرة فى مؤلفاته :

أشهر كتبه كتاب ـ الشرائع ـ يقع فى مجلدين ضخمين وموضوعه فقهي بحت غير استدلالى ولهجته عربية واسلوبه سليم متين يبتدىء بكتاب الطهارة وينتهى بكتاب الديات تتخلله المواضيع الفقهية الاخرى كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، والامر بالمعروف ، والعقود ، كالتجارة والرهن والضمان والمضاربة كما يبحث فى الايقاعات كالخلع والظهار واللعان وتعبير الكتاب لطيف لم تشنه اللوثة الاعجمية ، والشرائع من الكتب المقررة فى المناهج الدراسية الدينية لا سيما فى النجف الاشرف وفقنى الله لدراستهفى مدرسة المرحوم الشربيانى أثناء اقامتى فى النجف للتحصيل العلمى سنة ١٣٥١هـ فاستنفدت منه كثيرا . وللمحقق كتب اخرى مهمة ككتابه ـ النافع ـ وهو اسم على مسمىّ ، وكتاب المعتبر فى شرح المختصر ، وكتاب المسائل العزية وكتاب المسائل المصرية ، وكتاب المسلك فى اصول الدين وكتاب

الكهنة فى علم المنطق ، وشرح النهاية ، وكتاب معارج الوصول الى علم الاصول وكتاب تلخيص الفهرست الكتاب الذى الفه الشيخ الطوسى لصاحب الترجمة ، ومن مصنفاته كتاب تياسر القبلة الفه جوابا على اعتراض الشيخ الطوسى حين اعترض على المحقق أثناء القاء درسه على طلابه فى الحلة والمراد بالطوسى الفيلسوف المحقق محمد بن محمد بن الحسن الطوسى المولود سنة ٥٩٧هـ بمدينة طوس والمتوفى سنة ٦٧٢هـ وهو الذى اعترض على المحقق الحلى فى مسألة استحباب تياسر المصلى فقد نقل جمع من مؤلفى التراجم ان الطوسى المذكور حضر بعض محاضرات المحقق واستمع الى تدريسه وكان موضوع بحثه ، استحباب التياسر للمصلّى فى العراق فاعترض عليه الطوسى بأنه ان كان التياسر عنها فهو حرام وان كان اليها فهو واجب وهو اعتراض مُحْرِج فأجابه المحقق بدون أكتراث وعلى البداهة - منها واليها - ثم صنف رسالة فى هذا الموضوع دعاها بكتاب تياسر المصلّي عن القبلة ، والحق لا شك مع المحقق الحلى أما أولا فليس بين المستحب والواجب مانعة جمع فكل واجب مستحب كما أن كل حرام مكروه ، وأما ثانيا فللروايات الصحيحة عنهم عليهم السلام أن بين المشرق والمغرب قبلة وذلك لان تحصيل جهة الكعبة بصورة مضبوطة تماما من الامور الخارجة عن دائرة الامكان ، فانحراف المصلّي بالعراق عنها ولو بمقدار شَعرة ينتج منه انحراف كبير عن الكعبة ربما يبلغ عدة أميال ولكن حصول جهة الكعبة بين المشرق والمغرب أمر يقينى فالجنوح الى التياسر أقرب احتمالا الى تحصيل جهة الكعبة المشرفة ولانتفاء اليقين تعيَّن العمل بالظن فكلما كان الظن أقرب فى تحرى القبلة كان أقوى وأولى ويرجع ذلك الى أن الكعبة قبلة من فى المسجد الحرام والمسجد قبلة من فى الحرم والحرم قبلة أهل الدنيا ولما كان الحرم الشريف عن يسار الكعبة أكثر مما عن يمينها كان ذلك سببا للتياسر القليل لكونه أقرب الى الظن فهو من قبيل الاحتياط لتحصيل الظن بصحة الاستقبال والاحتياط من

المستحبات وهذا هو الوجه فى جواب المحقق الحلى *

شعره وأدبه :

حدّث بما شئت عن نفوذ الشعر فى الرأى العام العربى ولا حرج ، نفوذا سياسيا بلغ الدرجة القصوى حتى تناول أدق شؤون الدولة السياسية وأخطرها ، ونفوذا اجتماعيا تراه واضحا فى كافة الانقلابات الاجتماعية رأى العين ، ونفوذا قضائيا حتى أعفى بعض الشعراء الماجنين من اقامة الحدود عليهم والتماس الخليفة بنفسه وجه الحيلة لخلاصهم ولا ننسى قبول القاضى شهادة أبى دلامة الشاعر وأنف القاضى راغم ، ونفوذا اداريا حتى كان تولى الشاعر لبعض مناصب الحكومة الرفيعة مقدّرا بقدر اجادته للشعر كما تولى صريع الغوانى على ـ جرجان ـ بسبب تفوّقه فى شعره ونفوذا عسكريا حتى كان فتح ـ عمورية ـ بسبب قصيدة ابى تمام البائية ، وفى عصر المحقق الزاهر كانت صولة الشعر على أشدها وكان دولاب الثقافة سريع الحركة والدوران ، وضوء العلم يبهر الابصار ، ففى كل ناحية من مدينة الحلة مدرسة علمية ، أو ندوة أدبية ،بل كانت حتى حوانيت البيع والشراء بل وحتى الحمّامات لا تخلو من روح الادب ففى هذه المدارس والندوات تجتمع طلاب العلم وعشاق الادب كما تجتمع أسراب الحمام فى ملاقط الحبَ ، فهى أشبه بالبوتقة تنصهر بها العقول الجامدة والمدارك البليدة فما ظنك بالعقول المتينة والمدارك السليمة ؟ ونظرة خاطفة الى الماضى الزاهر ترينا ما كانت عليه الحلة من النضوج الفكرى الجبار ، فهو عصر الحكمة والعلم ، عصر المعرفة والادب، وقد كانت للدين نهضة تتناسب طرديا وتلك النهضة الفكرية كنتيجة حتمية لصلة العقيدة بالتفكير ، فلئن كان فى تاريخ كل امة عباقرة خالدون فالمحقق الحلى وأضرابه من عباقرة التاريخ العربى الخالدين ودراسة تاريخ المحقق دليل واضح على عظمة هذه العبقرية فهذا الرجل العظيم لم تشغله مشاكل

العلم العويصة وبحوث الحكمة الغامضة عن مسائل الادب وقرض الشعر فأصبح وكأنه مجموعة واسعة من الفضائل والكمالات ، له ملكة فى البلاغة والفصاحة أهّلته لان يكون من الكتّاب المجيدين وكان له سبق فى نظم الشعر ولكنه أهمل الشعر عن عمد وقصد ليتفرّغ الى العلم ومذ طال جفاؤه للشعر ماتت ملكته الشعرية وقديما قيل ، فى الانسان بئر من علم وبئر من شعر ان حفرهما هملتا ، وان تركهما عميتا ، وما أصدق قوله فى ترجمة حاله حين قال :ـ

هجرتُ صوغَ قوافي الشعر في زمن	هيهات يرضى وقد أغضبتُه زمنا
وعُدْتُ أوقظ أفكارى وقد هجعت	عَنْفا وأزعجت عزمى بعدما سكنا
ان الخواطر كالآبار ان نُزحت	طابت ، وان يبق فيها ماؤها أجنا
فاصفح شكرت أياديك التى سلفت	ما كنتُ أُظهر عيبى بعدما كمنا

فقد اعتبر الشعر عيبا بالنسبة الى شرف العلم وانه لا يتمكن من اظهاره بعد أن اختفى وهذا تعبير دقيق عن مدى كرهه للشعر ولكن مؤلف كتيب مختصر تاريخ الحلة قد زعم أن المحقق ما ماتت منه عاطفته الشعرية بعد هجرانه الشعر بل تجيد أحيانا بالشعر الرائق الخ ، فكأن مؤلف هذا الكتيب أعلم بحال المحقق من نفسه وأكثر اطلاعا منه على شؤونه الخاصة ولا شك أن ذلك من شدة الذكاء وعظيم الفطنة وسلامة الاعصاب ولا ادرى لماذا لا يريد تصديق المحقق ولماذا يحاول اظهاره بمظهر الكاذب من طريق ضمنى بعيد فهل لهذه المحاولة صلة بالعقيدة الشيوعية التى تبناها مؤلف هذا الكتيب ؟ فان المحقق الحلي هو الذى يحدثنا بصراحة • انه وقف جواد فكره حتى كأنه لم يقرع للشعر بابا ولم يرفع له حجابا وليت مؤلف ذلك المختصر جائنا بدليل واحد على الاقل يعضد تلك الدعوى التى لا أساس لها من الصحة ولا ظل لها من الحقيقة ولا مكان لها من القبول فى العقل السليم وانما ارسلها ارسال المسلّمات دون تمحيص ـ والماشطه ـ ديدنه عرض آراءه دون أن

يكون لها مستند يؤيدها وقد لاحظت ما يكتبه وينشره فاذا هو لم يتجاوز حدود النقل وجمع آراء الغير من هنا وهناك يحشرها حشرا عارية عن البرهان وخالية من وجهة نظره الخاص بالتفنيد أو التأييد ، أما هذه الابيات فلم أجد فيها ما يدل على أن المحقق قد نظمها بعد هجرانه الشعر بمدة طويلة ، ولعله قالها في نفس الوقت الذي هجر فيه نظم الشعر كتعزية لنفسه أو بعد ذلك بقليل ، لان من البعيد الذي يكاد يكون مستحيلا أن يكون من أخلاق المحقق المرجع الديني الكبير الكذب فقد صرح انه هجر الشعر فلابد أن يكون صادقا كما أن من المستبعد أيضا من أخلاق المحقق وورعه وصلاحه أن يعق أباه الذي أمره بترك الشعر فيبقى مصرا على معاندته في نظم الشعر ثم لا يكتفي في عقوقه هذا حتى يفتخر به ويخلّده شعرا وقد وصفه المغفور له ـ عبدالكريم ـ الشامطه ـ مؤلف ذلك المختصر نفسه بالنُبل والعلم والفقه فهل من كانت هذه صفاته يصح أن يُنسب الى هذا العقوق ؟

ومن شعر المحقق قبل أن ينهاه أبوه عن نظم الشعر

يا راقدا والمنايا غير راقدة — وغافلا ، وسهام الموت ترميه
فيم اغترارك ؟ والايام مرصدة — والدهر قد ملأ الاسماع داعيه
أما أرتك الليالي قبح دخلتها ؟ — وغدرها بالذي كانت تصافيه
رفقا بنفسك يا مغرور ان لها — يوما تشيب النواصي من دواهيه

وله أبيات كجواب على أبيات صديقه ابن وشاح التي يمدح فيها المحقق :ـ

أغيب عنك وأشواقي تجاذبني — الى لقائك جذبَ المغرم العاني
الى لقاء حبيب مثل بدر دجىً — وقد رماه بأعراضٍ وهجران

ومنها :ـ

قلبي وشخصك مقرونان في قَرَنٍ — عند انتباهي وبعد النوم يغشاني
حللت فيه محل الروح من جسدي — فأنت ذكريَ في سري واعلاني

لولا المخافة من كره ومن ملل　　لطال نحوك ترددى واتيانى
يا جعفر بن سعيد يا امام هدىً　　يا واحد الدهر يامن ماله ثان
انى بحبك مغرى غير مكترث　　بمن يلوم ، وفى حبيك يلحانى
فأنت سيد أهل الفضل كلهموا　　لم يختلف أبدا فى فضلك اثنان
فى قلبك العلم مخزون بأجمعه　　تهدى به من ضلال كل حيران
وفوك فيه لسان حشوه حكم　　تروى به من زلال كل ظمآن
وفخرك الشامخ السامى وزنتَ به　　رضوى فزاد على رضوى وثهلان
وحسن اخلاقك اللاتى فضلتَ بها　　كلَّ البرية من قاص ومن دان

فانبرى المحقق الى جوابه قائلا :ـ

لقد وافت قصائدك الغوالى　　تهز معاطف اللفظ الرشيق
فضضتُ ختامهن فخلتُ انى　　فضضتُ بهن عن مسكٍ فتيق
وجال الطرف منها فى رياض　　كُسِيْنَ بناضر الزَهْر الانيق
فكم أبصرتُ من لفظ بديع　　يدل به على المعنى الدقيق
وكم شاهدتُ من علم خفى　　يقرّب مطلب الفضل السحيق
شربت بها كؤوسا من معان　　غنيتُ بشربهنَ عن الرحيق
ولكنى حملتُ بها حقوقا　　أخاف لثقلهن من العقوق
فلا تعجل علىَّ وسر رويدا　　فلست أطيق كفران الحقوق
وجمّل ما أطيق به نهوضا　　فان الرفق انسب بالصديق

وقد عالج المحقق نظم الشعر فى زمن شبيبته وأجاد قرضه حتى اذا ما نهاه أبوه وثناه عنه ترك الشعر حتى خمدت جذوة قريحته فاستمع اليه يحدثنا عن نفسه فيقول [ان الشعر من أفضل مشاعر الادب ، وأجمل مفاخر العرب ، به تستماح المكارم ، وتُستعطف الطباع الغواشم ، وتُشحذ الاذهان ، وتستل الاضغان ، ويُسْتَصْلَحُ الرأى الفاسد ، وتستثار الهمم الجوامد ، لكنه عسر المطلب ، خطر المركب ، لافتقاره الى امور غريزية ، واخرى

كسبية ، وهي شديدة الامتناع ، بعيدة الاجتماع ، فالمعتذر عن اتعرض لـه معذور ، والمعترف بالقصور عنه مشكور ، وقد كنتُ زمن الحداثة أتعرض لشيء منه ليس بالمرضى ، فكتبت أبياتا الى والدى رحمه الله أثنى فيهـا عـلى نفسي بجهل الصبوة وهي :ـ

لِيُهْنِكَ انى كل يوم الى العلا اقدّم رجلا لا تزل بها النعـل
وغير بعيـد أن ترانى مقدمـا على الناس حتى قيل ليس له مثل
تطاوعنى بكر القوافي وعونهـا وتنقاد لى حتى كأنى لها بعـل
ويشـهد لى بالفضل كل مبرز ولا فاضل الا ولى فوقـه فضـل

فكتب رحمه الله فوق هذه الابيات ما صورته ـ ان احسنت في شعرك فقد أسأت في حق نفسك ، أما علمت ؟ أن الشعر صناعة من خلع العفة ، ولبس الحـرفة ، والشاعر ملعـون وان أصاب ، ومنقوص وان أتى بالشيء العجاب ، وكأنى بك قد ألهمـك الشيطان فضيلة الشعر ، فجعلت تنفق ما تلفّق به جماعة لم يعرفوا لك فضيلة غـيره ، فسموك به ، وكان ذلك وصمة عليك الى آخر الدهر ألم تسمع ؟

ولست أرضى أن يقال شاعر تبّاً لها من عـدد الفضائل

فوقف خاطرى عند ذلك حتى كأنى لم أقـرع له بابا ولم أرفع له حجابا ، وأكد ذلك عندي ما رويته بأسناد متصل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل المسجد وبه رجل قد طاف به جماعة ، فقال ما هذا ؟ قالوا علاّمة ، فقال : ما العلاّمة ؟ قالوا : عالم بوقائع العرب وأنسابها وأشعارهـا فقال ـ ص ـ ذلك علم لا يضرّ من جهله ، ولا ينفع من عَلِمَه ـ الى أن قال ـ ولما كان اضرابى عن نظمه واعراضي حتى عن ذكر اسمه لم يبق الا ما هو حقيق أن يُرفض ولا يُعْرَض ، ويُضمر ولا يَظهر ، لكن ما ذلك أورد ما ادخل به في حيز الامتثال وان كان ستره أنسب بالحال فمنه :ـ

فما الاسراف من خلقي واني لأجزى بالقليل عن الكثير
ولا اعطى المطامع لي قيادا ولو خودعت بالمال الخطير
وأغمض عن عيوب الناس حتى أخال بأن يناجيني ضميرى
وأحتمل الأذى في كل حال على مضض ، وأعفو عن كثير
ومن كان الاله له حسيبا أراه النجح في كل الامور

ومنه قولي :

يا راقدا والمنايا غير راقدة[1] وغافلا وسهام الدهر ترميه

وحسب تحصيل الغرض بهذا القدر ، فنحن نقتصر عليه ونستغفر الله من فرطات الزلل ، وورطات الخلل ، الى آخر رسالته هذه التي بعث بها الى والده وانت ترى انه يصرح بوضوح بتركه الشعر وهجره الى درجة صار فيها يتحاشى ذكر اسمه فكيف بنظمه ؟ وكل ما ذكره من الشعر ففي زمن حداثته وعنفوان شبابه قبل أن يتلقى من أبيه أمرا جازما بترك الشعر فهجر الشعر اطاعة لأمر أبيه ولما بينه من الحديث الشريف في تبرير أمر والده فليس بصحيح بعد ذلك كله ان يجيء مغرض فيتهم هذا العالم البار التقي بالعقوق وهو احدى الكبائر وينسب اليه مخالفة الحديث الذي هو أحد رواته فليس يصح ما يقوله الماشطة من استمرار المحقق على نظم الشعر بعد نهي والده فأنه لا يعلم دخيلة نفسه على بعد المسافة بين العصرين والاختلاف بين العقليتين والعقيدتين فماذا يريد أن يقول الماشطة ؟ اننا نعرف أنه يريد أن يخز المحقق الحلي كما وخز العلامة الحلي من قبله لكي يصدق في حضرته قول المتنبي من لاميته الشهيرة ولكن الماشطة لم يجرأ على هذا الطعن فتوارى خلف يوسف كركوش تلميذه في الثقافة وشبيهه تقوى وربما عفة ونزاهة ، فهذا المختصر للماشطة وليس ليوسف كركوش سوى الاسم ، ولنا رأي في

(١) لقد سبق ايراد الابيات فلا ضرورة للتكرار .

الشعر يخالف رأى المحقق وأبيه الا أن نقول انهما يقصدان بالشعر المذموم هو ما كان وسيلة للتكسب وآلة للاستجداء فيدخل ضمن ما استقبحه الشارع الشريف من الكسب غير المشروع وجعل الحيـــاة العملية على الهامش ، فالشاعر المتكسب كما هو معلوم يأخذ الجوائز اما حياء والمأخوذ حياء كالمأخوذ جبرا واما خوفا فهو ان لم يكن سحتا فشبيه بالسحت وفضلا عن ذلك نرى الشاعر يكذب وينافق ويداهن ويذم ويعبد أصنام الذهب ليستدر عطفهـــا ولولا هذه الهنات فما فى الشعر من غضاضة ولأجل أن نرفع ما قد يحسبـه البعض من المتناقضات حيث لا يجتمع ذم النبى صلى الله عليـه وآله وسلم للشعر فى الحديث الذى رواه المحقق ومدح النبى للشعر فى مثل قوله ـ ان من الشعر لحكمة ـ واعطائه الجائزة لبعض الشعراء فلا بد أن نجعل الشعر نمطين ، فنمط محمود ، وهو ما يتضمن الحكمة والموعظة الحسنة ومـــدح الاولياء وذم الكفار والدعوة الى نصرة الحق ، وبعضه مذموم وهو ما يخالف ذلك ولما كان بعض الشعر حكمة حسب هذا الحديث الشريف وصح عنـه (ص) ان الحكمة ضالة المؤمن فينتج من هذا الشكل المنطقى أن بعض الشعر ضالة المؤمنين فكيف يصح بعد ذلك أن يقال انه لا ينفع من تعلمه ، الا على الوجه الاول فتأمل ولكننا نرى والد المحقق منع ولده من تعلم الشعر بكليته ومراده أن يوجه فلذة كبده توجيها علميا فالشعر أمر ثانوى لا يبلغ جـلالة العلم ولا شرفه كما قال الشاعر :ـ

الشعر يرضى أن أكون عالمـا والعلم يأبى أن أكون شاعرا

واذا تعارض المهم والاهم فالعقل يحكم بتقديم الاهم بالبداهة •

تلاميذه :

للمحقق الحلى تلاميذ فحول استقوا من منهل علمه العذب وفى مقدمتهم السيد عبد الكريم ابن طاووس صاحب كتاب فرحة الغرى وابن أخت المحقق

الحسن بن سديد الدين يوسف المعروف بالعلامة الحلى وأخوه الشيخ رصى الدين علي بن سديد الدين يوسف صاحب كتاب العدد القوية ، والفاضل الآبى وشرف الدين أبو القاسم علي بن الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى وزير المستعصم العباسى والشيخ شمس الدين محفوظ وشاح وجمال الدين يوسف بن حاتم الشامى صاحب كتاب ـ الدر النظيم فى مناقب الائمة اللهاميم وغيرهم •

واما اساتذته فأشهرهما لفقيه الاجل ابن نما الحلى والسيد فخار الدين بن معد الموسوى ووالده الحسن ن يحيى بن سعيد رحمهم الله جميعا •

وفاته :

انتقل الى رضوان الله ورحمته صبيحة يوم الخميس ١٣ ربيع الاخر من سنة ٦٧٦ هـ متأثرا برضوضه على أثر سقوطه من درج داره فكانت وفاته خسارة علمية فادحة ، وقد وقع خلاف فى الشهر الذى وقعت فيه هذه الحادثة المؤسفة فمن قائل انه توفى فى ٢٣ جمادى الاخرة ومن قائل فى ١٣ ربيع الاخر ولم يقع خلاف فى العام الذى وقعت فيه هذه الكارثة وهناك خلاف في موضع قبره فمنهم من قال انه مدفون بالنجف الاشرف ومن هؤلاء صاحب كتاب روضات الجنات كما ورد فى ص ١٤٦ ج ١ ومنهم من يقول انه مدفون فى محلة الجباويين من الحلة وانى ارجح هذه الرواية فلا زال قبره فى المحلة المذكورة ماثلا للعيان ومن المحال أن يزور الحليون قبرا للمحقق لا وجود له وهو الان قائم وعليه قبة مجصصة يتبرك الناس به خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل واما ما احتمله الفاضل السيد محسن الامين العاملى من امكان دفنه بالحلة ثم نقله الى النجف لغرض جمعه بين الروايتين المتعارضتين فانه احتمال لا يقوم على أساس من التحقيق فأن مسألة جواز نقل الموتى بعد دفنهم لا زالت موضع خلاف بين الفقهاء وان المحقق من

القائلين بعدم جواز نبش القبر لنقل الميت منه بعد دفنه كما ذكره هو رحمه الله فى كتابه ـ الشرائع ـ فكيف يخالف وصيه وذووه رأيه فى هذه المسألة الخلافية ؟ ولو صح دفنه بالنجف لكان له الآن قبر ومزار معروف فأين هو ؟ فليس من كان كالمحقق ورتبته العلمية ممن يجوز أن يهمل قبره ويجهله الناس حتى يعفى ويضيع أثره ، وهذا تلميذه ابن أخته العلامة قد اعتنت به الشيعة واحتفلت بقبره ولا يزال قبر العلامة بالنجف مزارا يتبرك الناس به ولهذا نجزم بدفنه فى مسقط رأسه الحلة وبالمحلة المذكورة فى شارع يعرف باسمه فيقال ـ شارع المحقق ـ أراد حسين السعد من متصرفى العهد المباد هدمه فانبريت وجماعة من المؤمنين الى رده بالعنف ولا نريد أن نذكر سيرة هذا الرجل فهى معروفة للجميع وسيحاسبه التاريخ على اعماله حسابا عسيرا.

ولنرجع الآن الى حديثنا عن وفاة المحقق فقد نكبت الحلة بموته وعصفت بالناس عاصفة من الحزن والكآبة وتسابق الشعراء الى تأبينه ورثائه ومنهم صديقه الوفى الشيخ محفوظ بن وشاح المتوفى سنة ٦٩٠ هـ فقد رثاه بقصيدة جاء فيها :ـ

اقلقنى الدهر وفرط الاسى ... وزاد فى قلبى لهيب الضرام
لفقد بحر العلم والمرتضى ... فى القول والفعل وفصل الخصام
أعني أبا القاسم شمس العلى ... الماجد المقدام ليث الزحام
أزمة الدين بتدبيره ... منظومة أحسن بذاك النظام
فقد أوضح الدين بتصنيفه ... من بعد ما كان شديد الظلام
بعدك أضحى الناس فى حيرة ... عالمهم مشتبه بالعوام
لولا الذى بين فى كتبه ... لأشرف الدين على الاصطلام (١)

---

(١) أخطأ اليعقوبى حين حرفها الى ـ الاصطدام ـ وانما هو الاصطلام بمعنى القطع والاستئصال ولا معنى الى الاصطدام .

ومنها :ـ

قد قلت للقبر الذى ضمه كيف حويت البحر، والبحر طام؟
عليك منى ما حدا سائق أو غرد القمرى الفا سلام

وفى كتاب ـ نخبة المقال ـ بيتان تضمنا تاريخ مولده وبيان سنى وفاته وهما من بحر الرجز واليكهما :ـ

ثم أبو القاسم نجم الدين ابن الحسن بن نجيب الدين
هو المحقق الجليل المعتمد مولده ـ تبر ـ وعمره (نكد)

والبيتان ميتان وهما مجرد نظم مرصوف فجملة (ابن الحسن) يجب تسكينها لاستقامة الوزن ولكنها تخالف استقامة العربية واذا كسرنا آخر النون استقامت الجملة عربية واختل الشعر وليس هناك ضرورة شعرية تسوغ له هذا الاستعمال الخاطىء ، كما أن قوله (مولده تبر) يساوى بحساب الجمل (٦٠٢) كانت سنة وفاته أى سنة (٦٧٦) ولكن لفظة (نكد) كلها قبح ونكد ويمكن أن يقول (جمال) مثلا عوضا عنها كما ان (مولده تبر) ليست جيدة ولكنها أفضل من أختها على كل حال •

آية الله العلامة الحلي

٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ

آية الله العظمى وحجته الكبرى أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الاسدى •

هو ذلك الكوكب الوقاد الدائر فى الفلك الثقافى ارسل أشعته العلمية الى كل الجهات ، والى كل العصور •

العلامة الحلي ، رسّام بارع وما تصانيفه سوى لوحات فنية رائعة زانها الانسجام وتناسق الالوان •

هو قبس ُمشع ٌ من العلم والحكمة أنارت أضواؤه دروب الحياة وطرق العلم والعرفان .

هو بحر خضم ٌ من المعرفة يَقذف على شواطئه درر العلم الثمينة بلا ثمن فتزدان بها القلوب لا النحور ، والاذهان لا التيجان .

ُحجة ٌ ، من أعظم حجج الاسلام . دمث الاخلاق كريم المنبت ، محبوب السجايا لطيف العشرة كامل الاوصاف .

حارس ٌ أمين ، للثقافة والدين تفانى فى حمايتهما بكل دقة وكفائة واخلاص . وأوصلهما بكل أمانة الى هذا الجيل وسيوصلهما الى الاجيال المقبلة .

َقيّم ٌ كفوء ، على تراثنا الاسلامى لم يفرّط فيه بقليل ولا بكثير ولولا تصانيفه لضاع جانب كبير من ذلك الميراث ، فخلد اسم الحلة بمآثره الجليلة وأعماله العظيمة وهو الذى استطاع أن يميط اللثام عن وجه الشيعة الناصع ويمزق تلك الحجب الكثيفة التى تم صنعها بمعامل الجهل والعصبية والتقليد الاعمى حتى لم تعد تلك الحجب المهلهلة قادرة على ستر الحقد اللئيم أو اخفاء نور الحق الوضاح .

بطل مغوار ، كانجح قائد كسب المعركة فى الصراع الطائفى فاستسلمت له علماء ايران ورفع علم الشيعة فى تلك البلاد يرفرف الى الآن .

ان التاريخ الاسلامى ليفتخر بهذا الجهد الفذ الذى احتفظ بمستوى رفيع جدا من التفكير الرصين والعلم الصحيح الغزير فهو الذى بذر بذور الاصلاح فى تربة الفكر الخصبة وسقاها من فيض آرائه السديدة وتعهد نبتتها بالرعاية والعناية فشاهد بنفسه تطور نمو تلك البذور ، من دور البذر الى دور التكامل والنضوج وجنى الثمر ففاز من باب المكافأة على جهوده الجبارة بلقب ـ العلامة ـ و ـ صاحب الجلالة ـ وهما لقبان عظيمان يليقان بهذه الشخصية الجذابة ، فاذا قيل ـ العلامة ـ على الاطلاق لم تجد من

ينازعه فى هذا اللقب الضخم أحد من الناس على الاطلاق ، ولا غرابة فهو رحمه الله أعجوبة من أعاجيب الدهر ، ومعجزة من معجزات الزمان ، عقلية ناضجة جبارة ، وذكاء متوقد مستنير ، وشجاعة نادرة ، وجرأة عجيبة، واطلاع مدهش غريب ، وثقافة عامة مركزة شاملة ، وأخلاق عالية رفيعة ، ومنبت عربى كريم ، وبيئة خصبة صالحة ، ومحيط اسلامى شيعى سليم ، هزم بمفرده علماء فارس وجهابذتهم وفيهم امثال صاحب كتاب ـ مرآة العين ـ فكانت هزيمتهم فى ميدان الجدل العلمى سببا رئيسا لانتشار التشيع فى ايران وهذه من بعض مفاخره ، وعلى هذه فقس ما سواها .

انَّ **العلامة الحلي** ، هو ذلك الصوت المدوّي المجلجل الذى انطلق فدهش الناس وسمعه حتى الصم فأكبروه طوعا أو كرها حتى أصبحت راية الاسلام الصحيح بيمينه عاليـة خفاقة ترفرف حتى على البلاط الايرانى والعرش المغولى فتفيأت بأفيائها الوارفة الملايين ممن رفعوا عن أعينهم عصابة العصبية من شتى الاجناس وفى مختلف العصور .

انَّ **تاريخ العلامة** ، على الاجمال صفحات مشرقة وضيئة نقية ، من صفحات الفخر العربى والاسلامى فى خزانة الخلود ، جادت به العناية المبدعة لتجديد ما أندرس من الاسلام فخليق به قولي الأن :ـ

هو حقـا علامة الدهر ، فيـه ... زيد قدر الاسلام رفعـه شان
فاذا ما ادعى العـلى صدقتـه ... من رفيع العلى شهود عيـان
والدعاوى ان لم يقيموا عليهـا ... بينـات ، نوع من الهـذيان
[ان من يدعي بما ليس فيـه ... كذبتـه شواهـد الامتحـان]

انه علامة ولكن ليس من طراز ـ علامات ـ زماننا المزيفة تلك العلامات التى لا تملك من العلم شروى نقير ، ثم يدعون افكا وزورا (أن فى رؤوسهم الصغيرة الحقيرة علم ابن سينا والغـزالى وابليس ، وفى قلوبهم المريضة ، رفق المسيح ، وفى صدورهم الضيقة الحاقدة عزيمة احمد) بالوقت الذى

نرى فيه هذا العلامة المزعوم يجهل ما يعرفه حتى العوام من العقيدة ، ومن هنا يتضح الفرق الكبير الشاسع بين العلامة الحلي وهذا النوع من ـ العلامات ـ التي تصنعها معامل النجف الاشرف بضاعة مزجاة لن يكون ثمنها سوى الاسف الشديد ، وأين هو نظير العلامة ؟ وهذه مؤلفات العلامة ومصنفاته الكثيرة الجليلة تعكس لك سمو نفسه وصحة تفكيره ، وتعطيك انطباعا عن مدى ثقافته الضخمة الواسعة وعن أخلاقه واسلوب بحثه ومناظرته فأنت حين تقرأ تلك الذخائر الغالية تندهش لدقة الملاحظة ورفعة الاسلوب وسحر البيان وعمق الفكر وحسن العرض ولطف الاشارة وسلامة الحجة وقوة البرهان ولا غرابة فللعلامة اطلاع واسع على آراء فقهاء الاسلام والنظريات العلمية المتباينة لمختلف العقائد والاتجاهات ، فيستوعب ذهنه النير المسألة وأدلتها ثم يقف منها موقف التعضيد أو التفنيد حسب ما يتوفر له من الحجج والبراهين . وله في علم الكلام جولات ناجحة وصولات ولم تكن معرفته بعلم الكلام والحكمة الالهية أقل شأنا وأضيق مساحة من اطلاعه على علم الفقه أو الاصول أو الحديث أو غيرها من العلوم الاخرى وان كان بروزه واشتهاره في علمي الفقه والحديث أكثر من اشتهاره في سواهما ، وهذا هو السبب في توهم جماعة من غير المحققين في زعمهم أنه في علم الفقه والحديث أرسخ قدما من غيرهما كعلم الكلام والحكمة الالهية والطبيعية ، ثم أحالونا على كتبه كشاهد على هذه الدعوى الزائفة وقد راجعنا كتبه فألفيناه على نقيض ما زعم هؤلاء ، فشرح التجريد وحده يكفي في رد تلك الدعوى اللئيمة المغرضة وتفنيدها وان هذا القول يشبه المتناقض فهو صريح بأنه كان من أعاظم الفقهاء والحفاظ وعلماء الكلام ، وهذا لا يصح مع القول بأنه في علم الكلام والحكمة دون مقامه في علم الفقه والحديث فقد جمع المدح والذم فاعتبره من أعاظم علماء الكلام كما اعتبره من أعاظم الفقهاء فساوى بينهما في ادراكه العلمي ثم زعم هذا القائل انه فيهما أقل شأنا كأنه بدرجة

العلامة أو أعلى منه فنظر فى أوراق امتحانه وأعطاه الدرجة الامتحانيـة ولا نعلم هل ان العلامة رسب فى هذين الدرسين ؟ أم كان مكملا ؟ أم نجح نجاحا بسيطا ؟ ان مثل هذه الاقوال يجب أن يتدبرها قائلها ورحم الله امرء عرف حده ووقف عنده ولا يجعل من نفسه حكما بين علوم العلامة وهو لم يستوعب تلك العلوم ولم يبلغ تلك الدرجة فكل ما ادعاه شيخ الشيوعيـين المحترم لم يعضده دليل بل أرسل القول ارسال المسلمات وهدفه الحط من كرامة العلامة الحلى كما فعل مع المحقق الحلى فى قصة الشعر ولكنه لم يفلح ولم يبلغ قصده فمؤلفات العلامة وآثاره كلهـــا درر نفيسة من بحر خضم تشهد بعظمته وان كره المغرضون الذين حـــاولوا أن يتفلسفوا فزعموا ما أرادوا من الزعم الباطل وهم صنفان من الناس ، فصنف يدفعهم الجهـــل المطبق الى هذه العماية ، وصنف يقودهم الحق الى متاهة الآراء ، وما جهـد الحيلة مع الحقد ؟ وما هو أثر البرهان مع الجهل ؟

وقد قال العالم الفاضل السيد محسن الامين العاملى فى كتابه ـ أعيان الشيعة ـ [أما فى الحكمة فقد كان بارزا فناقش الحكماء فى زمانه وغـــير زمانه وأورد عليهم اشكالات ، وناقش النصير الطوسى والرئيس ابن سـينا وخطأه ، وألف فى علم اصول الدين وفن المناظرة والجـدل وعلم الكلام ومن الطبيعيات والالهيات والحكمة العقلية والمنطق ، كما الف فى الرد على الخصوم والاحتجاج] الخ .. وهذا يكفى صفعة للمتزمتين الجهلة ، ويكفينا فى الرد عليهم اعتراف الفيلسوف الاسلامى الكبير نصير الدين الطوسى الذى وصف العلامة وهو لم يتخط دور الشباب ، بالمهارة فى العلوم العقليـــة والتحقيق فى علم الحكمة فهل لقول المغرضين من قيمة بعد شهادة نصير الدين الطوسى والعاملى وأمثالهما من أساطين العلماء ؟

وقد الف فى علم الحكمة وحدها سبعة عشر مجلدا منها شرح الشـفاء لابن سينا وشرح اشاراته وغيرهما واذا نظرنا فى نتاج عالم الشيوعين لـم

نجده سوى جمع آراء من تقدمه ، ثم يعمد الى نشرها دون تحقيق وتمحيص وليس له رأى بينها اما كتابه فى الاحوال الشخصية فليس له وانما أخذه من الرسائل العملية ولم يبدل الا كلمة واحدة فجعل بدل كلمة (المسألة) (المادة) وحتى بعضها أخذه بعين الفاظه كما سنوضحه فى كتابنا ـ الحلة بين الحاضر والماضى ـ ولا أدرى كيف سها فى كتابة ما هـو منشور فى التوحيد عدد ٤ ص ٦ الصادر فى ٣٠ نيسان ١٩٤٦ فقال (من الغريب أن بعض الاصوليين قد خرجوا على صاحب الترجمة ـ العلامة ـ ما يعين الاخباريين فى ادعائهم عليه الاستعجال فى التصانيف ، واما تصانيفه كلها جمعت من كتب من تقدم عليه من علماء الشيعة من دون تحقيق] فهـذا الكلام هو الذى ورد من دون تحقيق فلم نجد أحدا من العقلاء قال هـذا القول سوى أهل العقائد المعروفة ولو كان هناك قائل لأسرع هذا الرجل المريض الى ذكر اسمه والكتاب الذى ورد فيه القول تعضيدا لهذه الدعوى الزائفة .

رأى صاحب الرياض :

لقد اندهش المترجمون بسيرة العلامة المعطرة وما حواه من غـزارة العلم والفهم والسجايا الفاضلة ، ومن هؤلاء صاحب كتاب ـ رياض العلماء ـ فقد قال أثناء ترجمته ان العلامة هو (الامام الهمام العالم العامل الفاضل الكامل الشاعر الماهر علامة العلماء وفهامة الفضلاء استاذ الدنيا المعروف فيما بين الاصحاب بالعلامة عند الاطلاق والموصوف بغاية العلم ونهاية الفهم والكمال فى الآفاق وكان ابن أخت المحقق وكان رحمه الله آية الله لأهـل الارض وله حقوق عظيمة على زمرة الامامية ، والطائفة الحقة الشيعة الاثني عشرية ، لسانا وبيانا وتدريسا وتأليفا ، وقد كان رضي الله عنه جامعا لانواع العلوم مصنّفا فى أقسامها ، حكيما متكلما فقيها محدّثا اصوليا أديبا شاعرا

ماهرا وقد رأيت بعض أشعاره ببلدة ـ أربيل ـ وهي تدل على جودة طبعه فى أنواع النظم أيضا ، وكان وافر التصنيف كثير التأليف ، أخذ واستفاد عن جم غفير من علماء عصره ، من العامة والخاصة وأفاد وأجاد على جمع كثير من فضلاء دهره الخاصة والعامة أيضا ، كما يظهر من اجازات علماء الطريقين ، قد قرأ فى مبدأ حاله على والده سديد الدين يوسف ثم على خاله المحقق الحلي صاحب الشرائع ، وعلى المحقق الطوسى فى العقليات والرياضة ونحوها ، وعلى كمال الدين ميثم بن علي البحراني وعلى السيد جمال الدين أحمد بن طاووس وعلى جماعة آخرين أيضا ، مات رحمه الله وهو ابن ثمان وسبعين سنة ـ الى أن قال ـ ومن الغرائب ما نُقل انه كان فى عصر العلامة أو غيره ـ ٤٤٠ ـ مجتهداً فى عصر واحد ، وقد كان العلامة هو الباعث القوي لتشيع السلطان ـ محمد اولجايتو خان ـ بن ـ ابا قاخان ـ بن ـ هلاكوخان ـ بن تونى خان ـ بن جنكيز خان وقد غيَّر السلطان محمد المذكور بسبب العلامة ، السكة والخطبة وذلك سنة ٧٠٨ هـ بعد أن مضى من سلطنته خمس سنين فأدخل أسامي الأئمة عليهم السلام فى الخطبة والسكة ، وهو فريد عصره ونابغة الدهر له من الكتب المصنَّفة فى العلوم المختلفة ما لم يشتهر عن غيره سيما فى الاصول الالهية فانه قد نال فيها الغاية وتجاوز النهاية [1] وله فى الفقه والتدريس كل كتاب نفيس اكبرها التذكرة ، وأصغرها التبصرة ، وما بين ذلك كالتخليص ، والارشاد ، والتحرير ، والقواعد ، ومنتهى المطلب ، ومختلف الشيعة وله فى معرفة الرجال كتابان ، وله فى الحديث واصول الفقه وسائر العلوم كتب ـ الى ان

---

(١) أظنه أراد أن يقول العلوم الالهية كما لا أرى من معنى لقوله ـ تجاوز النهاية ـ الا بالتأويلات البعيدة فمعنى النهاية عدم وجود شيء بعدها .

قال ـ وكانت وفاة العلامة ووفاة السلطان محمد ـ خدابنده ـ الملقب ـ اولجايتو خان ـ في سنة واحدة ، فالسلطان مات في رمضان نهار الخميس ببلدة سلطانية سنة ٧١٦ هـ وتوفي العلامة سنة ٧٢٦ هـ] انتهى :ـ

وارى سهواً فاحشا في قوله بأن العلامة وخدابنده ماتا في سنة واحدة بعد أن قال ان الاول مات سنة ٧٢٦ هـ والثاني مات سنة (٧١٦) هـ فالفرق بينهما عشر سنين فلا بد من خطأ في التاريخ فان وفاة السلطان كانت سنة ٧٢٦ وليس في سنة ٧١٦هـ ولعله من غلط الطبع لا الطبع وقد أورد صاحب النخبة بيتين في تاريخ ولادته المباركة مع بيان مقدار عمره الميمون وهما :ـ

وآيــة الله أبــو يوســف الحسن   ســبط مطهــر فــريدة الــزمن
عــلامــة العصر جليــل قــدره   ولد ـ رحمة ـ و (عز) عمره

وفيهما سهو في بيان عمره وهو نقصانه سنة واحـدة حيث انه بلغ ٧٨ سنة من العمر وهو حاصل طرح تاريخ سني ولادته ٦٤٨ من سني وفاته ـ ٧٢٦ ـ ويمكن تدارك هذا السهو بأن نقول ـ عزا ـ بالألف نصباً على التميز .

بعض آثاره :

لقد ذكر المؤرخون من مؤلفات العلامة عدداً ضخما هائلا ومن هذه المؤلفات العظيمة النفيسة كتاب منهاج الصلاح ومن أجزاء هذا الكتاب ، الباب الحادى عشر ـ وموضوعه علم الكلام وقد شرح هذا الكتاب ـ الباب الحادى عشر ـ جمهرة كبيرة من العلماء كأبى الفتح الشريف المتوفى سنة ٩٧٦هـ والشيخ خضر والغراوى والقطيفى والكاشانى والاحسائى والسيورى الحلي وسماه النافع كما شرحه المجتهد السيد فاضل الحلي قدس سره جعل الشرح خاتمة لكتابه الحطي ـ نشر الخزامى ـ ومن مؤلفات

العلامة كتاب مختلف الشيعة فى أحكام الشريعة أنجزه فى سنة (٦٩٩) هـ وله كتاب بسط الاشارات وهو شرح مهم لكتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا ناقشه فيه مناقشة عنيفة وخالفه في بعض آرائه فى المنطق والحكمة، وله كتاب الدر والمرجان، فى الاحاديث الصحاح والحسان، فى نحو عشرة اجزاء، وكتاب ارشاد الاذهان وهو كتاب نافع نقله الى الفارسية الشيخ مهدى بن الشيخ محمد علي الاصفهاني، وكتاب خلاصة الاقوال فى معرفة الرجال وهو على قسمين كما ذكر فى مقدمته تصدى الى طبعه طبعة ثانية الاخ العلامة الجليل السيد محمد صادق بحر العلوم حفظه الله مؤلف كتاب دليل القضاء الشرعى وكان طبعه سنة ١٣٨١ هـ فى المطبعة الحيدرية بالنجف الاشرف ولفضيلته مقدمة رائعة لهذا الكتاب اشغلت نحو اربعين صفحة من القطع المتوسط فكشفت عن نواحى لامعة من هذه الشخصية العالمية الفذة وقد اطرى جهوده هذه سماحة آية الله الشيخ جواد البلاغي بلغه الله مرامه وجعل الجنة مقامه حيث قال فى تقريظ الكتاب (بسمه تعالى شأنه تم بحمد الله تعالى تصحيحا على نسخة العلامة المحقق السيد محمد صادق آل بحر العلوم الخ) وللعلامة الحلي كتب اخرى نفيسة ككتاب نهاية الاحكام فى معرفة الاحكام، وكتاب بسط الكافية فى علم النحو وكتاب شرح التجريد فى علم الكلام والحكمة وكتاب التحرير وكتاب القواعد وكتاب التذكرة الجامعة لاقوال فقهاء أهل السنة، وكتاب المختلف الجامع لاقوال فقهاء الشيعة وأقوال أهل السنة وكتاب النهج الوضاح فى الاحاديث الصحاح، وكتاب تسليك الافهام فى معرفة الاحكام، وكتاب منهاج الكرامة الذى ردّ عليه ابن تيمية بكتابه الركيك التافه الموسوم ـ بمنهاج السُنة النبوية ـ وهو فى الحقيقة منهاج الكذب والتحامل المكذوب، وقد ردّ على كتاب ابن تيمية جماعة من أهل العلم والفضل منهم سماحة العالم المجاهد المرحوم السيد مهدى القزويني البصري المعاصر فى مجلدين طبعا بالمطبعة العلوية فى النجف

الاشرف فند فيهما هذه المفتريات وقد وفقنى الله الى الرد على هـذا الكتاب بكتابى ـ ما وراء الستار ـ أو ـ الصواعق الصواقع ـ المخطوط فضحت به تلك الاكاذيب والمفتريات التى شجعه عليها ضيق دائرة النشر فى عصره وعدم سهولة المواصلات كما شجع الكذبة من الرحالين على خيالهم المحموم فى وصف ـ جزيرة واق واق ـ والشجرة التى تحمل الحسناوات من الكواعب الاتراب فاذا انطلت أكاذيب هؤلاء على أبناء عصورهم فليس تنطلى هـذه المفتريات على أبناء هذا العصر عصر الطباعة وتوفر وسائط النقل وسرعتها ومن أراد الاطلاع على الفرق بين ما كتبه هذا الرجل وبين رد السيد مهدى القزوينى البصرى عليه فليطالع الكتابين فقد أنصف القارة من راماها • ومما يحز فى النفوس أن يأتى أمثال هذا الرجل فيفتح ثغرة بين المسلمين مخالفا قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فيقطع ما أمر الله به أن يوصل وما أحوج الامة الى الالفة ورص الصفوف ونبذ الخلافات لولا سموم هؤلاء المخربين الموتورين اذ يمكن النظر فى هذه الخلافات اذا اقتضاها البحث العلمى بالحسنى والتجرد التام عن العاطفة وعرض الواقع كما هو دون اللجوء الى الكذب والافتراء والدس اللئيم كما فعل المتعصبون من الحملة الفاشلة وها أنا واضع بين يديك أيها القارىء المنصف بعض الشواهد لتقف بنفسك على مبلغ عناد هذا الرجل وتجافيه عن الواقـع فاقرأ ص ١٥ ج٤ من كتابه ـ منهاج السنة ـ فستراه حين أعجـزه تكذيب الروايـة والراوى فى مدح أهل البيت قال كما فى هذه الصفحة (قد يكون صاحبها كذابا فى الباطن ليس مشهورا فى الكذب) فهل فى قوله ـ قد يكون ـ دليل علمى ولمـاذا لا يقول (قد يكون صادقا) والاصل الحمل على الصحة • ومـا معنى قـوله كذابا فى الباطن والكذب لا يكون الا فى الكلام والاخبار فاذا طابق الخبر الواقع فهو الصدق والا فهو الـكذب فليس الـكذب من الصفات النفسانية كالكفر والحقد والحب والايمان فيمكننا أن نقول فلان مؤمن بالباطن كافر فى

الظاهر كمؤمن آل فرعون .

٢ ـ نراه كلما عجز عن تفنيد قول العلامة الحلي لم يقابله الا بالرد التافه كقوله في ص ٢ ج٣ (فان هذه الاحاديث التي ذكرها أكثرها كذب أو ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث) فاذا سلمنا أن أكثرها كذب أو ضعيف فالمفهوم العكسي أن أقلها صحيح لا ريب فيه وفيه الكفاية في صحة الاحتجاج وهذه ـ الكليشة ـ (كذب باتفاق أهل المعرفة) تجدها في عرض الكتاب وطوله ـ حرفة العاجز فانظر الصفحات ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ٢٦٩ من الجزء الثالث .

٣ ـ وتلاحظ ضعف استدلاله كقوله (ثبت في الصحيح ، أو يقول : في النقل الثابت ، أو من المعلوم) وما شاكل ذلك من التعابير التافهة التي لا يعترف بها خصمه والا لما نازعه أنظر الصحائف ٦ و ٩ و ١٤ و٥٨ و١٢٢ و١٢٥ و١٣٤ و١٣٥ ج٣ والصحائف ٤ و ٩ و ١٧ و ٢١ و ٦٣ ١٠٥ من الجزء الرابع فهل يتقبل منا اذا روينا له عكس ذلك من مصادرنا ؟

٤ ـ يقول عند عجزه عن رد الحجة المفحمة (نحن نعلم بالاضطرار أو بالضرورة : أن الامر كذا وكذا) فهل يتقبل منا اذا قلنا له في اثبات دعوانا مثل هذه البراهين ؟ لاحظ الصحائف ٢٧٢ و ٢١١ و ٢٦٣ و ١٠٨ ٢٠٥ و٢٦٣ من الجزء الثالث والصحائف ٢٤ ج٤ فليس هذا دليلا علميا فللخصم أن يقول نعلم بالضرورة أو بالاضطرار عكس ذلك .

٥ ـ جاء كتابه مشحونا بالمتناقضات كقوله ص ٢١٣ ج٣ [ومن عرف حال ابن عباس علم انه يفضّل أبابكر وعمر على علي] ويقول ص ٢٩٢ ج٤ ما فحواه (ان ابن عباس يميل الى علي حتى كان بينه وبين عائشة سوء تفاهم بسبب ذلك] وكتناقضه في قوله ص ٢١٢ ج٣ في قوله ـ ص ـ [ائتوني بدواة وقرطاس الخ] بأن الرسول ـ ص ـ [قال لعائشة ادعى لي أباك

وأخاك حتى أكتب لابى بكر كتابا لا يختلف عليه الناس من بعدي – الى أن قال – يأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر – فهذا القـول متناقض فـاذا المؤمنون يأبون الا أبا بكر فماالحاجة الى ذلك الكتاب ولماذا خالفه علي عليه ولم يبايع مدة حياة فاطمة كما رواه البخارى فهل علي ليس من المؤمنين وهل الزبـير وجماعته ليسوا من المؤمنين وقد تضامنوا مع علي على عدم البيعة ومع ذلك فهذا القول لا يجتمع على فرض صحته مع قوله ص ٢١٣ ج٣ (فان كان قد نص على خلافته فقد أغنى عن الكتاب وان كان الذين سمعوا منه لا يطيعون الكتاب فأى فائدة لهم فى الكتاب لو كان كما زعموا ؟) ثم ترى هذا الحديث يكذّب آخره أوله ففيه ان الكتاب اذا تمت كتابته لا يختلف عليه الناس وهذا القول لا يجتمع مع قوله فأي فائدة لهم في الكتاب ؟ فهل يريد فائدة أكبر من عدم اختلاف الناس ؟ كما انه لا يجتمع مع قوله يأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر فلا حاجة اذن بالكتاب فلماذا قال لعائشة ادعي لي أباك وأخاك الخ ؟

وكتناقضه ص ٢١٤ ج ٣ (المهاجرين والانصار ليس فيهم من يبغض عليا) وكقوله ص ٢١٧ ج ٣ (كل الامة معترفين بفضل علي وسابقته) فنسأل المنصفين هل يجتمع هذا مع قوله ص ٢٨ ج٤ سـطر ١١ (فان كـثيرا من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه) وهل يجتمع مع قوله ص ١٦ ج٤ (أكثر السابقين الاولين قعدوا عن نصرة على وقد قيل أن بعض السابقين الاولين قاتلوه) ومن هذه التناقضات ما أورده ص ١٢٧ ج٣ من اعترافه بصحة الرواية عن علي – ع – فى قوله – سلونى قبل أن تفقدونى – الخ وعللها بوجوه ولكنه بعد تسعة أسطر غلبه طبعه فعاد الى تكذيب الرواية فقال (والحديث المذكور عن علي كذب ظاهر لا تجوز نسبة مثله الى علي) ثم جاء بوجوه يؤيد بها هذا الرأى الجديد فهو فى خطأ أما أولا وأما آخرا .

وكتناقضه ص ٢٩٢ ج٤ س ١٣ (ان ابن عباس يميل الى علي ولا يتّهم عليه) فلا يجتمع هذا مع قوله ص ٧١ ج ٤ ما فحواه (من المعلـوم المتواتـر

ان ابن عباس كان يوالي غير شيعة علي حتى الخوارج كان يجالسهم ويفتيهم حتى بنى امية) ومن التناقض ما أورده ص ١٣٠ ج٣ اعترافه باسلام مالك ابن نويرة وان عدم قتل الخليفة لخالد بن الوليد كان بسبب اجتهاده واذا به يتناقض فيروى بنفس الصفحة اختلاف فقهائه فى عدة الوفاة هل تجب للكافر والذمى ، فاعتبره كافرا بعد حكمه باسلامه فاذا كان كافرا فكيف أراد الخليفة الثانى رجم خالد وكيف اعتذر عنه الخليفة الاول بأنه تأوّل فأخطأ ؟

٦ ـ تجاهله أو جهله للحقائق الناصعة حتى يتجرأ على مخالفة كتاب الله تعالى بوقاحة فالله تعالى يقول فى مَعْرَض مدح أهل البيت عليهم السلام (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) فجعل ايفاء النذر كالخوف من الله تعالى فى الفضل ولكن ان تيمية يقول كما فى ص ٤٩ ج ٤ [الوجه الخامس : ان فى الصحيحين عن النبى ـ ص ـ انه نهى عن النذر وقال لا يأتى بخير الخ] فهل نصدق القرآن الكريم ؟ فى ايراده الوفاء بالنذر مورد الثناء أم نصدق هذا المعارض للقرآن ؟ نترك الجواب للمنصف شريف الوجدان حى الضمير . ولا شك ان مخالفة القرآن بدعة وصاحبها مبدع ولكن الحمقى يقولون انه محارب للبدع فاذا كان النذر محرما أو مكروها فهل الوفاء بالمحرم أو المكروه يستوجب تنزيل سورة من القرآن الكريم فى مدح من وفى بهذا النذر تُتلى الى يوم القيامة ؟ ثم انظر قوله بعين الانصاف ص ٢٠٩ ج٤ فى تفنيده دعوى العلامة الحلي من وجود النص على امامة علي ـ ع ـ فقال ابن تيمية (الثالث : أن يقال علماء الشيعة المتقدمون ليس فيهم من نقل هذا النص ولا ذكره فى كتاب ـ الى أن قال ـ فعُلم أن هذا من اختلاق المتأخرين ، وانما اختلقه لما مات الحسن بن علي العسكرى] عليه السلام وهذا يتناقض تماما وما قاله ص ٢١٠ ج٤ (قد علم أهل العلم أن أول ما ظهرت الشيعة الامامية المدّعية للنص فى أواخر أيام الخلفاء الراشدين الخ) فهذا انموذج من ورعه واجتهاده فى طلب الحق وعلمه وكياسته ومحاربته للبدع

يستحق أن يكون بسببها ـ شيخ الاسلام بجدارة ـ وفى كتابه طائفة كبيرة من المغالطات ولهذا السبب قد استنكف العلامة الحلي من الرد على كتابه هذا فما قيمة هذا الكتاب اذا قيس بكتب العلامة الحلي التى منها ما ذكرناها سالفا ومنها تهذيب طريق الوصول الى علم الاصول الفه بالتماس من الشيخ تقى الدين ابراهيم بن محمد البصرى وعليه شروح منها شرح السيد مجد الدين عباد بن أحمد بن اسماعيل باقتراح من مجد الاكابر الشيخ محمود بن محمد ابن على بن يوسف الطبرى الحلى من تلامذة السيد مجد الدين المذكور ومن لامعى رجال القرن الثامن الهجرى وكتاب الاسرار الخفية فى العلوم العقلية هو من جملة كتب العلامة النفيسة وكتاب تهذيب النفس فى معرفة المذاهب الخمس وكتاب استقصاء النظر فى البحث عن القضاء والقدر وهو كتاب صغير الحجم كبير الفائدة استهله بعد البسملة بقوله : (الحمد لله العليم الغفار، القديم القهار) الفه بالتماس شديد من السلطان ـ الجايتوخدابنده ـ وفى هذا الكتاب استعرض ادلة الفريقين فى القضاء والقدر وفنَّد أدلة مخالفيه أحسن تفنيد بأسلوب هادىء محتشم وأورد فيه ادلته على صحة مذهب العدلية فجاء فى الدليل الثالث منها قوله : (انه لو كانت الافعال صادرة عن الله قَبُحَ منه أن يأمرنا وينهانا ويكلفنا، كما انه يقبح من أحدنا أمر الزمن (١) بالطيران الى السماء لانا عاجزون عن الافعال لاستحالة صدورها عنا كما أن الزَمِنَ عاجز عن ذلك، فكما انه يقبح منا أمرُ الواقع من شاهق بالحركة والسكون كذا يقبح أمر المكلف بالطاعة واجتناب المعصية لعجزه عنها ووقوعها لغيره لكن الله قد أمر ونهى وأنذر وحذر ووعد وتوعد، وكيف يحسن منه أن يقول تعالى الزانى والزانية فاجلدوا كل واحد منهما ماءة جلدة ـ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ـ وهو الذى فعل الزنا والسرقة تعالى الله عن ذلك

---

(١) الزمن بكسر الميم المُقعد العاجز .

علوا كبيرا الخ انتهى ولي على هذا البرهان ملاحظة فأقول : لا أرى ارتباطا بين قوله يقبح أحدنا أمر الزمن الخ وبين تعليله بكوننا عاجزين عن الافعال لان العاجز فى هذا المثال هو المأمور لا الآمر أولاً ، وثانيا فان هذا البرهان خارج عن موضوع المسألة فانها تتلخص فى بيان قبح توجيه الامر والنهى الى غير فاعله سواء كان الفعل ممكن الوقوع أو ممتنعه ، وأما البرهان الثانى فيتعلق بقبح توجيه الامر والنهى فى غير الممكن كأمرنا للمُقعد أن يطير الى السماء وأمرنا للواقع من شاهق بالحركة والسكون ولا شك بوجود فرق كبير بين سلب نسبة الفعل والترك كليا من المأمور والمنهىّ وهو موضوع المسألة وبين تكليفه بما لا يطاق فقط وهو خارج عن صددها ، فطيران الزمن وحركة وسكون الواقع من شاهق أفعال منسوبة للزمن وللواقع من شاهق ومفروض المسألة عدم نسبة فعل شيء الى الانسان مطلقا ممتنعا كان أو ممكنا وكل ما يصدر من فعل فمن الله وليس من الانسان والمثالان يليقان بقبح الامر بما لا يطاق فكان الاجدر أن يعلل قبح الامر والنهى بالعبث الذى لا يجوز صدوره من الحكيم القادر لا بالعجز لان كثيرا من الافعال ممكن الوقوع والخلاف لا فى امكانها وامتناعها وانما هل هى من الانسان ؟ أو من الخالق تعالى ؟ وأما بقية استدلاله على هذه المسألة فقوى متين حيث لا يحسن أن يقول تعالى (الزانى والزانية فاجلدوا كل واحد منهما)وهو الذى فعل الزنا تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، ويكفى فى تفنيد هذا الزعم قوله عز من قائل (فاجلدوا) وقوله (فاقطعوا) فقد طلب منا أن نقوم بعمليتيْ الجلْد والقطع ولم يكن هو الذى جلَد أو قطَع أما ترى كيف الامر موجه الينا لنمتثل أمره بالاتيان فى ماهية المأمور به من القطع والجلد ولو كان الفعل منه لقطعَ وجلَدَ ولاصبح الامر عبثا لعدم ارادته منا القيام بتنفيذه .

وأما البرهان السادس فقد قال فيه (انه يلزم منه أن يكون الكافر مطيعا لله تعالى بكفره لانه قد فعل ما هو مراد الله وهو الكفر ، ولم يفعل

ما يكرهه الله وهو الايمان لان الايمان عندهم غير مراد الله من الكافر بل هو مما يكرهه تعالى ، وأى عاقل يرضى لنفسه اعتقاد أن الكفر طاعة وان الايمان معصية نعوذ بالله من ذلك) • انتهى قول العلامة أعلى الله مقامه ولنا على هذا البرهان ملاحظة فنقول : بأنه لا يلزم أن يكون الكافر مطيعا لله بكفره الخ لان هذا اللزوم انما اورده بناء على عدم صدور الافعال من الانسان ونسبتها الى الله وأن الانسان مسلوب الارادة والاختيار وهو صُلب المسألة التي أورد العلامة براهينه لتفنيدها فحينئذ نقول لا يلزم أن يكون الكافر مطيعا لله بكفره، لان هذا الكفر أيضا لم يكن بارادة الكافر واختياره فان الكفر فعل وموضوع المسألة عدم نسبة الفعل للانسان فالكفر ليس من الكافر فكيف جعله من عمل الانسان ثم افترضه طاعة معللا ذلك بكونه قد فعل ما هو مراد الله أليس هذا الكفر ليس بأرادة الكافر والمفروض أن الله أجبره عليه والذي ارجّحه أن نقول انه يلزم من قولهم بالجبر ونسبة الافعال الى الله أن يكون المؤمن غير مطيع لله لانه مجبور وينتفي مسمّى الطاعة مع الجبر وسلب الاختيار كقوله تعالى ـ أتينا طوعا أو كرها ـ فجعل الطاعة قسما مغايرا الى الكره والجبر وقد أورد العلامة الحلي بقية حججه القوية لتزييف ما ذهب اليه القائلون بالجبر ، ومن أراد الاطلاع عليه فليطالع هذا الكتاب المفيد •

وللعلامة كتب اخرى كشرح مختصر ابن الحاجب الذي قال فيه ابن حجر انه في غاية الحسن وكفى بشهادة الاعداء على صحة الادعاء وله كتاب الألفين الذي يقال انه قال فيه ـ لولا كتاب الألفين وزيارة الحسين لقصمت ظهريَ الفتيا نصفين ـ واسمه الكامل كتاب الألفين الفارق بين الصدق والمين ـ الفه بالتماس ولده فخر المحققين يحتوي على ١٤٥ صفحة من القطع الكبير مطبوع بالمطبعة الحجرية سنة ١٢٩٦ هـ وجعله جزئين أولهما الف دليل عقلي على امامة أمير المؤمنين وثانيهما الف دليل نقلي في الموضوع ذاته وهو من الكتب الجليلة ولا يقوم بتأليف مثل هذه

الكتب حتى احدى الجمعيات الكبيرة ولكن

(ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالمَ في واحد)

وصح في العلامة قول الفاضل السيد محسن العاملي (هو العلامة على الاطلاق الذي طار ذكر صيته في الآفاق ، ولم يتفق لاحد من علماء الامامية أن لُقب بالعلامة على الاطلاق غيره أما في هذا الزمان فقد ابتذل لقب العلامة حتى أن بعض المعاصرين ألّف كتابا وطبعه ولقب بالعلامة من هو من العوام في الحقيقة) فليت السيد محسن يطلع عن ابتذال لقب العلامة في هذا الوقت حتى أن أحد السفلة من عوام الناس يطبع كتبه العامية ويلقب نفسه بالعلامة وبالفيلسوف وبعمدة الأخيار ويكتب مقدمتها بتوقيع ـ الناشر ـ وهو الناشر الى هذه الخزعبلات دون سواه ثم يزعم ان الكتب تواردت عليه من جهات شتى يطلبون كتابه بينما هو يهديه بلا ثمن فلا يقبله منه أحد ولو بالمجان فانا لله وأنا اليه راجعون . وقد ذكر السيد محسن في كتابه أعيان الشيعة ص ٢٨١ ج٢ بأنه لما سئل نصير الدين الطوسي عما شاهده أثناء زيارته الحلة فقال : رأيت خريتا ماهرا وعالما ان جاهد فاق ، عنى بالخريت المحقق ، وبالعالم المترجم ، وهذا التفسير محض تحكم لا دليل عليه لان الوصفين يليقان بكل منهما فلا يعلم السامع باختصاص أحدهما ببعض دون بعض لان ذلك راجع الى قصد المتكلم الذي لم يعينه كما انه يجوز أن تكون جملة (وعالما اذا جاهد فاق) معطوفة على الجملة الاولى (رأيت خريتا ماهرا) فيكون الوصفان عائدين على شخص واحد فهو الخريت الماهر وهو العالم الذي اذا جاهد فاق فليس لدينا سند تاريخي على التعيين ولكن المشهور هو ما ذهب اليه صاحب الاعيان وقد ورد في كتب ـ مختصر تاريخ الحلة ـ لعبدالكريم الماشطة والذي انتحله يوسف كركوش ص ١١٠ في ترجمة العلامة قوله (وكان العلامة مع غزارة علمه وتضلعه في العلوم لم تكن له طبيعة شعرية ولم يكن الشعر من ميوله) الخ ومع غض النظر عن سماجة هذا التعبير فالمؤلف يبذل قصارى

جهوده فى دس السم بالعسل ولكن من عناية الله أن هذا السم لم يقتل الا من دسه فقد نشر الماشطة بصحيفتنا ـ التوحيد ـ بعض هذه السموم فزعم ان العلامة لم يكن فى علم الكلام والحكمة الالهية والطبيعية مجيدا اجادته فى علمي الفقه والحديث وزعم هنا انه فاقد للميل الشعرى وهذا مخالف للواقع ولا ندرى لماذا يصر بعناد على نسبة الشعر الى المحقق الذى يصرح بنفسه انه ميت القريحة ويصر هنا على عدم وجود الملكة الشعرية الى العلامة وأظن السبب لا يخفى فقد حاول المستحيل لاثبات نظم الشعر الى المحقق لا حبا برفع سمعته ولكن ليظهره بمظهر العاق لامر والده وقد أصر هنا على عدم وجود الملكة الشعرية لدى العلامة ليظهره بمظهر الناقص الجامد الذى لم تكن له ملكة شعرية فى مثل تلك البيئة والعوامل والحق ان العلامة شاعر كما وصفه بذلك مترجموه عدا الماشطة الذى لم يستند الى مصدر تاريخي ويؤيد وجهة نظرنا ما ورد فى الاعيان والذريعة وأمل الآمل والتكملة ورياض العلماء وغيرها حتى وصفه صاحب الرياض ـ بالشاعر الماهر ـ وكرر هذا الوصف فقال عنه بأنه كان (فقيها محدثا اصوليا أديبا شاعرا ماهرا) ثم نقل انه رأى بعض اشعاره ببلدة ـ اردبيل ـ وهى تدل على جودة طبعه فىأنواع النظم) وكذلك صاحب كتاب ـ أمل الآمل ـ فقد وصفه بذلك ولاشك انه عند تعارض الشهادات تعتبر شهادة الاثبات دون شهادة النفى فأقصى ما عند النافى انه ما رأى وأما المثبت فقد علم ورأى و (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟) فكيف اذا كان النافى مغرضا غير ثقة فليس من المعقول أن تكون محفزات الشعر متوفرة لدى العلامة فى تلك البيئة التى جعلت من الكواز والعجان والعطار شعراء ثم لا تكون لديه ملكة شعرية ؟ واذا حصل السبب حصل المسبب دون شك .

ومن الغريب أن يعمد مؤلف هذا الكتيب الى رواية هزيلة متهافتة فيأخذها بنظر الاعتبار ثم يقفل عينه وعقله عن مآت المصادر التاريخية التى

تخالفها فليس سوى كتاب روضات الجنات يزعم هذا الزعم الباطل فتابعه الشيخ على غير هدى فرواية روضات الجنات سقيمة فأنها نفت أن تكون للعلامة سليقة شعرية ثم تناقضت فأعترفت صراحة بالعثور على مجموعة فيهـــا من الاشعار الابكار المنسوبة الى العلامة وهذا نص الرواية (وكان لعدم وجود طبع النظم فيه لم يقل الشعر والا لم يكن بصابر عنه. وبالاقل فى الحقانيات ، نعم اتفق لي العثور فى هذه الاواخر على مجموعة من ذخائر أهل الاعتبـــار ولطائف آثار فضلاء الادوار فيها نسبة هذه الاشعار الابكار اليه) فهل يجتمع قول هذه الرواية ـ لعدم وجود طبع النظم فيه وقولها ـ اتفق لي العثور على مجموعة الخ ولا أدرى لماذا آمن مؤلف كتيب المختصر ببعض هذه الرواية وكفر ببعضها ؟

(من كان فوق محل الشمس رتبتُه   فليس يرفعـه شـيء ولا يضـع)

ومن شعر العلامة الذى اعترف حتى منكرى شاعريته قوله :ـ

ليس فى كل ســاعـة أنـا محتـا   ج ، ولا أنـت قـادر أن تنيــلا
فاغتنـم عزتى ويسـرك فاحـرز   فـرصـة تسـترق فيهـا الخليـلا

ونقل صاحب المختصر عن تذكرة الشيخ نورالدين ان ابن تيمية كان معاصرا للعلامة ومنكرا عليه بالخفاء فكتب اليه العلامة هذين البيتين :ـ

لو كنت تعلم كل ما علم الورى   طرا لصرت صديق كل العالم
لكن جهلت فقلت : انّ جميع من   يهوى خلاف هـواك ليس بعالم

فكتب اليه فى جوابه الشيخ شمس‌الدين محمد بن‌محمد بن عبدالكريم الموصلى أبياتا وأرسلها اليه منها :ـ

يا من يموه فى السؤال مسفسطا   ان الذى ألـزمت ليس بـلازم
هذا رسـول الله يعلم كل مــا   علمـوا وقـد عـاداه كل العالم

انتهت رواية الماشطة وأقـول ان فى أبيات الموصلى غبـاوة وجهـلا فقد اعتبر بيتى العلامة سؤالا ثم زعم ان ذلك السؤال سفسطة وشعر الموصلى

أجدر أن يوصف بالسفسطة لا سيما البيت الثاني حيث زعم أن رسول الله ـ ص ـ يعلم كل ما علم الورى ـ وقد عاداه كل العالم ـ فالقضية غير مسلمة فهل عاداه فريق من قريش بعد اسلامهم أم عادته قريش قبل البعثة أم هل عادته الصحابة الاخيار هل عاداه الاطفال كل هؤلاء من مصاديق الناس ولم يعاده منهم أحد أما زعمه أن الرسول يعلم كل ما علم الورى فافتراء أيضا فقد ورد عنه ـ ص ـ لو كنت مطلعا على الغيب لاستكثرت من عمل الخير ، وورد في الكتاب المجيد بشأن المنافقين (انك لا تعلمهم) فان كانت مؤاخذة على بيتي العلامة فعدم الملازمة بين قوله ـ لو كنت تعلم كل ما علم الورى ـ وبين قوله المتفرع عليه (لصرتَ صديق كل العالم) فالعلم شيء االصداقة شيء آخر فأبليس أعلم الناس وهو موضع لعنتهم ، وقد يصح قوله بالتأويلات البعيدة ، بأن الذي يحصل على مثل تلك الدرجة الكبيرة من العلم يدخل تحت صداقته أحبابه وخصومه أما الاحباب فتحصيل حاصل وأما الخصوم فمن باب الممالأة والمصانعة ، أو نقول انه من باب التعليق على المحال ، لان صداقة كل العالم متوقفة على تحصيله علوم الناس كلها ولما كان الثاني محالا فالمتعلق عليه مثله في البطلان والاستحالة • ويختص العلامة الحلي بقابلية كبيرة في استحضار الاجوبة المفحمة المسكتة منها ما نقله صاحب كتاب ـ لؤلؤة البحرين ـ أن السيد رشيد الموصلي وهو من أفاضل علماء اخواننا أهل السنة كان من جملة العلماء الذين حضروا لمناظرة العلامة في البلاط الايراني وانه اعترض على العلامة حين ابتدأ خطبته بعد حمدالله بالصلاة على النبي ـ ص ـ وآله فقال الموصلي بعدم جواز الصلاة على غير الانبياء ، فأجابه العلامة ان الدليل على الجواز قوله تعالى (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) فقال السيد الموصلي : وأي مصيبة أصابت علياً وأولاده ليستوجبوا بها الصلاة ؟ فذكر العلامة مصائبهم المشهورة ثم التفت اليه قائلا : وأية مصيبة أعظم من كونك وأنت من أبنائهم تفضل

عليهم من لا يستحق التفضيل ، فضحك الحاضرون وخجل الموصلى انتهى : والاعجب من بلادة السيد الموصلى فأنه شافعى المذهب وان رئيس مذهبه محمد بن ادريس يرى بطلان صلاة المصلى حتى يصلى على آل محمد وهو القائل : ـ

يا آل بيت رسول الله حبكموا   فرض من الله فى القرآن أنزله
كفاكموا من عظيم الفخر أنكموا   من لا يصلّي عليكم لا صلاة له

رواهما كثيرون من علماء اخواننا أهـل السنة ويكفى أن يكون من رواتهما امامهم العالم الشيخ ابراهيم الراوى الرفاعى فى كتابه ـ اللمعـة البهية فى الادلة الاجمالية المطبوع فى مطبعة السعادة بجوار محافظـة مصر تحت اشراف الاستاذين السيد شاكر البدرى والشيخ عمر بن عبدالرحمن ابن بكر الماردينى من علماء الازهر فى سنة ١٣٥٩هـ ص ١٤ فانه قـال (وأشرف الأمة المحمدية أهل البيت النبوى مع مالهم من فضل الصحبـة لقوله تعالى [انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا] وهذه الأية تعم الرجال والنساء ، وقوله تعالى [قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى] وبهذه الآية دلالة على افتراض محبة أهل البيت النبوى ، والى ذلك أشار الامام الشافعى رحمه الله فى قوله : ثم ذكر البيتين المذكورين، أما جواب العلامة عليه الرحمة ففيه نظر فلا تجوز الصـلاة عـلى كل من أصابته مصيبة فيجب ملاحظة أسباب النزول فالآية نزلت فى واقعة خاصة لان العلامة لا يقول بالصلاة على كل أحد أصابته مصيبة وقال انا لله وانا اليه راجعون فالاجدر أن يجاب بما بيناه ، وقد تخرج على العلامة نحو خمسمائة من المجتهدين الافاضل سوى من لم يبلغ درجة الاجتهاد .

وفـاتـه

انتقل الى جوار ربه نهار السبت فى الحادى عشر من محرم الحـرام

سنة ٧٢٦ هـ فى الحلة ودفن فى النجف الاشرف وقبره الشريف مزار معروف بجانب قاعدة المنارة الذهبية على يمين الداخل الى الروضة الحيدرية المقدسة فى الايوان الذهبى المقابل الى السوق الكبير ، وقد عاش رحمه الله وجعل الجنة مأواه (٥٨) سنة أنفقها فى خدمة الدين والعلم ومحاربة البدع ، ولا صحة لما زعمه الخاقانى من أنه توفى سنة ٧٢٨هـ حسبما نشره على غلاف كتاب ـ استقصاء النظر فى القضاء والقدر المطبوع سنة ١٣٥٤ هـ بمطبعة الراعى فى النجف الاشرف •

٤٩ ـ الحسن بن داود الرجالي ٦٤٧ ـ ٧٤٠هـ

هو تقى الدين أبو محمد الحسن بن على بن داود الحلى النيلى المعاصر للعلامة الحلى وشريكه فى الدرس عند استاذهما المحقق كان من حسنات الدهر ، علما وذكاء ، ودربه واسعة ، ودراية شاملة ، ورجولة كاملة ، وشهامة وغيرة ، واصالة رأى ، وأنفة واباء ، وشرفا وسموا ، وغيرها من مميزات الرجولة وصفات الكمال ، تفنن فى العلوم الشرعية فحذق الفقه والاصول والكلام والتفسير والحديث والرجال والعلوم اللسانية فأتقن النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والعروض وتبحر بالعلوم العقلية فدرس المنطق والحكمة وزاول العلوم الرياضية فقرأ الحساب والهندسة فهو العالم المشارك فى كثير من العلوم طويل الباع فيها فلو استنطقنا التاريخ عما سجله من مآثر خالدة لأدهشنا بكثرة تلك الآثار الجليلة ولابن داود معرفة باسرار الشعر ومن شعره الذى رثى به الشيخ محفوظ بن وشاح قوله من البحر المتقارب :ـ

لك الله أى بنـــاء تداعـــى ؟ وقد كان فوق النجوم ارتفاعـا
وأى عـلاء دعته الخطـوب ؟ فلبّى ، ولولا الردى ما أطاعـا
وأى ضيـاء ثوى فى الثرى ؟ وقد كان يُخفى النجوم التماعا

لقد كان ، شمس الهدى، كاسمه فأرخى الخسوف عليه القناعا
فوا أسفا ، أين ذاك اللسان ؟ اذا رام معنى أجاب اتباعا
وتلك البحوث التى ما تمل ؟ اذا مل صاحب بحث سماعا
فمن ذا يجيب سؤال الوفود ؟ اذا عرضوا ، أو تعاطوا نزاعا
ومن لليتامى ولابن السبيل ؟ اذا قصدوه عُراة جياعا
ومن للوفاء وحفظ الاخاء ؟ ورعي العهود اذا الغدو شاعا
سقى الله مضجعه رحمة تروّي ثراه وتأبى انقطاعا

ومن شعره يوم عيد الغدير من البحر الكامل :ـ

أفما نظرت الى كلام محمد ؟ يوم الغدير وقد اقيم المحمل
من كنت مولاه ، فهذا حيدر مولاه ، لا يرتاب فيه محصّل
نص النبى عليه نصا ظاهرا بخلافة غراء لا تتأول

وشعره كثير وفير لا سيما ما كان منه على نوع الاراجيز تراه متفرقا فى شتى الكتب وبطون الطوامير والمجاميع ولسهولة الشعر عليه أكثر من نظم العلوم والفنون على بحر الرجز الذى يلقبونه ـ بمطية الشعراء ـ فمن تآليفه ـ كتاب الرائض فى الفرائض منظومة على الرجز ، والدر الثمين فى اصول الدين ، واللمعة فى الفقه وهى غير اللمعة الدمشقية فتلك برزخ بين الفقه والاصول من تآليف الشهيد محمد بن مكى العاملى ، ولابن داود كتاب الخريدة العذراء فى العقيدة الغراء وكتاب عقد الجواهر فى الاشباه والنظائر مطبوع وله كتاب اللؤلؤة وهو غير لؤلؤة البحرين وللمترجم له ، كتاب عدة الناسك فى قضاء المناسك ، وكتاب الجوهرة فى نظم التبصرة ، ومنظومة فى موضوع الامامة وكلها درر منظومة واما كتبه النثرية فكثيرة منها كتاب البغية فى القضايا وكتاب تحصيل المنافع وكتاب التحفة السعدية وكتاب خلاف المذاهب الخمسة نحا فيه منحى كتاب تهذيب النفس فى معرفة المذاهب الخمس للعلامة الحلى ولابن داود ايضا كتاب مقتصر المختصر

وكتاب الكافى وكتاب النكت وكتاب تكملة المعتبر وكتاب حل الاشكال فى علم المنطق وكتاب الاكليل فى علم العروض وكتاب قرة عين الخليل فى شرح النظم الجليل والاصل لابن الحاجب فى علم العروض وكتاب مختصر الايضاح فى علم النحو وكتاب حروف المعجم وكتاب مختصر أسرار العربية وغيرها من الكتب النفيسة التى تتجاوز الثلاثين ولكنه لم يشتهر بها وانما اشتهر بكتابه ـ الرجال ـ فنسب اليه فقيل ، الحسن بن داود الرجالي، وقد أبدع وأجاد فى كتابه هذا فجاء فريدا وحيدا فى بابه لطيفا فى اسلوبه قال صاحب كتاب ـ أمل الآمل ـ (وسلوكه فى كتاب ـ الرجال ـ أنه رتبه على الحرف الاول فالاول فى الاسماء واسماء الآباء والاجداد) الخ ..
هكذا كانت الحلة أمس وهكذا حالها اليوم فانا لله وانا اليه راجعون .

مولده

ولد هذا العالم الجليل البحاثة المدقق فى اليوم الخامس من جمادى الآخرة سنة ٦٤٧ هـ يوافقها قولي :

لما أتى ، أفق العلا   أرخت : مشرق به

واما وفاته فقد وقع فيها اختلاف فقيل انها كانت سنة نيف و٧٤٠ هـ وورد فى بابليات اليعقوبى ص ١٠٥ ج ١ (ان فى التاريخ المذكور نظراً فأنه ان صح يكون عمره نحو المائة فيكون من المعمرين ولو كان لذكروه والله أعلم انتهى) وهذا (النظر) فيه نظر اذ لا مجال لهذا الاعتراض فما هنالك سجلات رسمية بأسماء المعمرين ولا قوائم أهلية تحصي هذه الاسماء حتى اذا رجعنا اليها ولم نجد فيها اسم الشخص المقصود حكمنا بعدم كونه من المعمرين بل حتى لو كانت أمثال هذه القوائم والسجلات فمن الجائز وقوع السهو بعدم درج الشخص فيها وكم فى الناس من الوف المعمرين لم يذكرهم ذاكر ولم أعلم من أين استنتج الاديب اليعقوبى هذه الملازمة

فبني حكمه عليها كما لا أعرف لمن يعود الضمير في قوله (لذكروه) ومن الجائز المقبول أن يكون تاريخ وفاته كما هــو مذكور بالرغم من استبعاد صاحب البابليات لأن من تلاميذه الشيخ زين الدين المطـار آبادي المتوفى سنة ٧٦٢ هـ فاذا طرحنا منها سني وفاة ابن داود وهي ٧٤٠ فيكون عمر المطار آبادي في سن ٢٢ عاما وهو السن اللائق بأن يكون فيه من تلامذة ابن داود وفي كتاب رياض العلماء جاء فيه (انه الفقيه الجليل رئيس أهل الادب ـ الى أن قال ـ العالم الفاضل الرجالي النبيل المعروف بابن داود من جهة الاختصار ، وحال هذا الشيخ في الجلالة أشهر من أن يذكر وأكثر من أن يسطر وكان رحمه الله شريك الدرس مع السيد عبد الكريم بن جمال الدين احمد بن طاووس الحلي وغيره ، وله سبط فاضل هو الشيخ ابو طالب ابن رجب) الخ •• وهذا غاية ما تيسر لنا من ترجمته وفوق كل ذي علم عليم •

٥٠ ـ الحسن بن سليمان

لقد أكثرت من البحث والتتبع المستمر وقلبت عشرات الكتب والمؤلفات وأنفقت الساعات الطويلة الغاليـة في التفتيش والتنقيب فوقفت على عـدة شخصيات علمية وأدبية كان يغمرها النسيان ، والحسن بن سليمان واحد من هذه الشخصيات المغمورة وهو الحسن بن سليمان بن خالد الحلي من أفاضل تلامذة الشهيد محمد بن مكي مؤلف كتاب اثبات الرجعة ، وكتاب مختصر بصائر الدرجات ، وبصائر الدرجات هذا من جملة مؤلفات شيخ الطائفـة أبي القاسم سـعد بن عبد الله ابن ابي خلف الاشعري القمي والحسن بن سليمان ـ المترجم له ـ اختصره ووسمه بمختصر البصائر أو منتخب البصائر لا أعرف أيهما الصحيح وهو من الكتاب التي وصفوها بالنفيسة والجليلة لم أطلع عليـه اختصره دون أن يخل بمادة الـكتاب وانما اكتفى بحذف

الفضول منه والمتكرر والحسن بن سليمان من أفاضل رجالات القرن الثامن الهجرى ولا أعرف من أحواله أكثر من هذا وقد أعجزنى الاطلاع على تاريخ ولادته ووفاته بالضبط كما جهلت أكثر آثاره حيث مرت بالحلة أدوار جديرة بالاعتبار زخرت بالعلماء والادباء والحكماء ورجال السياسة وقادة الفكر وقادة الجيش ولكن الحوادث والنكبات التى تعرضت لها الحلة محت كثيرا من تلك الصفحات الناصعة من تاريخ الفكر العربى فلم يتيسر لنا الاطلاع الكافى على تلك الثروة الفكرية الهائلة ولم يكن بوسعنا سوى الوقوف على أقل من القليل من تاريخ الحلة فى تلك الفترة النيرة من الزمن فوصلت لنا معلومات مبتورة كما تصل قطرة الماء الى قلب الضمآن فلا تبل الغلة ولا تشفى العلة ولكن وجودها أفضل من عدمها ولولا تلك النكبات المؤسفة لكانت الحلة أعظم مدينة تفخر بكثرة علمائها حتى تخرج على العلامة وحده أكثر من خمسمائة مجتهدا سوى من قصَّر عن درجة الاجتهاد وسوى تلامذة العلماء الآخرين فليس من المبالغة من قال ان فى عصر العلامة (٤٤٠) مجتهدا فأنى اذا قلت ان المجتهدين قد يبلغون عدة آلاف فى عصر العلامة فلم أكن مسرفا بالمبالغة لذلك لم تستطع أية مدينة فى العالم أن تخرج في عصر واحد وعلم واحد هذا العدد الغفير من العلماء حتى أكابر مدن الغرب وحتى فى عصر الذرة والكهرباء وعسى أن تنيقظ أبناء تلك الهاليل من هذا النوم الطويل ليعيدوا مجد آبائهم الغطاريف بما لديهم من قابلية ودرايـة لا ينقصها سوى العزم والتوجه والتوجيه ولكن من هو الموجّه ومتى ، ان هذا الجواب نتركه الى الزمن فهو الذى بوسعه هذا الجواب .

٥١ ـ ابن مظاهر الحلي

قليل من الناس من تطابق اسماؤهم أفعالهم ، وصاحب هذه الترجمة من اولئك الناس القلائل ، فهو حسن الافعال ، حسن السمعة ، حسن

الفهم والادراك ، حسن السجايا والاخلاق ، يصح فيه قول العلامة السيد جعفر كمال الدين الشهير بالحلي :

لفظ اسمه حسن يحيى الفؤاد به   كأنما اتخذوه من معانيه

وابن مظاهر هو الشيخ الجليل النبيل الفقيه التقي الورع الصالح الزاهد العالم العامل عز الدين الحسن بن احمد بن مظاهر الحلي والد الشيخ العالم الثقة زين الدين علي بن الحسن بن مظاهر المجاز من فخر المحققين سنة ٧٤١ هـ ووصفه باجازته (بالشيخ الامام الفقيه العالم السعيد عز الدين بن مظاهر) وحذف احمد ايجازا نسبة الى الجد كما يقال في الرسول محمد بن عدنان وابن فهد وكما يقال للسيد العلوي في عصرنا ابن محمد وكما يقال رضي الدين ابن طاووس ، وطاووس جده وذلك على سبيل النسبة الى الجد بقصد الاختصار . وهذه الشهادة على ايجازها كافية وافية في اعطاء فكرة واضحة عن شخصية المترجم له من الناحية الفكرية وبيان ما لهذا الرجل الجليل من مكانة سامية ولكنه مع الاسف كأمثاله من عظماء أهل الحلة أخنى عليهم الدهر بكلكله ولفهم بسجفه ولم يبق من آثارهم سوى جمل مقتضبة ولولا هذه النتف القليلة لنسج عليهم الدهر خيوط النسيان وطوى صفحة ذكرهم في سجل الاضمحلال .

٥٢ ـ النقيب غياث الدين النيلي

هو العالم النحرير والفقيه الشاعر غياث الدين عبد الكريم ابن ابي طالب محمد النسَّابة ابن النسَّابة جلال الدين عبد الحميد المتوفى سنة ٦٦٦ نقيب المشهد العلوي المقدس والكوفة الغراء ينتهي شريف نسبه الى ابي عاتقة الزاهد العابد الحسين الملقب بذي الدمعة ابن زيد الشهيد المصلوب في كناسة الكوفة ابن الامام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام . وقد كان النقيب غياث الدين من المعاصرين للشاعر

الحلي صفي الدين ابن ابي السرايا الطائي وهو الذي ذكر النقيب المذكور بديوانه وجعل عبد الحميد أباه وهو جده من باب الاختصار وقد تطرقنا لجواز هذا الاستعمال عند العرب في ترجمة ابن مظاهر الحلي ، واما أبوه الصلبي فهو محمد ومرثية الصفي الحلي له مثبتة بديوانه المطبوع وقد ذكر في تمهيد الرثاء أن جماعة من العرب خرجت على غياث الدين المذكور وهو بشط سوراء وسلبته ما عنده حتى وصلت أيديها الى سلب سرواله فامتنع ومانعها فضربه أحدهم فقتله ، والصفي نظم قصيدته هذه تحريضا للنقيب الطاهر شمس الدين الآوي على أخذ ثاره وفي مطلع القصيدة تورية وجناس .

هو الدهر مغرى بالكريم وسلبه ، فان كنت في شك بذاك فسل به
أبعد غياث الدين يطمع صرفه ؟ بصرف خطاب الناس عن ذم خطبه
وتخطو الى عبد الكريم خطوبه ويطلب منا اليوم غفران ذنبه ؟

سنذكرها عند ترجمة الصفي . والمترجم له ، له كتب وآثار أجودها كتاب الانوار المضية في الحكمة الشرعية وهو كتاب نفيس في عدة مجلدات، وللنقيب تلاميذ محصلون منهم الشيخ حسن بن سليمان الحلي ، اما تحصيل غياث الدين العلمي فأكثره كان على يد استاذه ابن فهد وفخر المحققين بن العلامة وكلاهما من علماء الحلة الذين ضربوا بسهم وافر في شتى العلوم ولا بد لمن يعتني بالدراسات الاسلامية أن يقف على عبقرية هؤلاء الفحول بكل اجلال واحترام .

٥٣ ـ النقيب رشيد الدين الآوي

أريحية الشاعر ، ورصانة تفكير العالم ، ومدارك الفيلسوف وحنكة القائد ، وتجاريب الحكيم ، وورع العابد ، ونفحات عالم القدس ، واشراقة العقل المناضل للتصورات الوهمية ، وافاضات الملائكة ووقار الملوك كل ذلك

وغير ذلك من مميزات النقيب رشيد الدين علي بن محمد الرشيدى الآوى الذى ظفر بالنقابة وناهيك بالنقابة يوم ذاك ولم يظفر بها جزافا ولم تعط له كما تعطى الوظائف المهمة فى عصرنا لمحسوبية أو منسوبية ولاعتبارات سخيفة بل حازها عن جدارة تامة واستحقاق كانت له مع صفى الدين الحلى السنبسى الطائى الشاعر الشهير مودة وثيقة والفة وصحبة و ـ شبيه الشيء منجذب اليه ـ فكانا صديقين حميمين تجمعهما روابط العلم والادب ووحدة العقيدة ، وتقارب الروح والفكر ، ووحدة الوطن والبلد ، وهو الذى طلب من الصفى الحلى معارضة قصيدة ابن المعتز البائية التى يفتخر بها على العلويين افتخار الجنادل على الدر والظلام على النور والباطل على الحق ، القصيدة الحمقاء التى يقول فيها :ـ

ونحن ورثنا ثياب النبى — فكم تجذبون بأهدابها ؟
لكم رحم يا بنى بنته — ولكن بنى العم اولى بها
قتلنا امية فى دارها — ونحن أحق بأسلابها

فأجابه الصفى ببائيته على البديهة بقصيدة جاء فيها :ـ

ألا قل لشرّ عبيد الاله — وطاغى قريش وكذابها
وباغى العباد وباغى العناد — وهاجى الكرام ومغتابها
أأنت تفاخر آل النبى ؟ — وتجحدها فضل أحسابها
بكم باهل المصطفى ؟ أم بهم ؟ — فردّ العداة بأوصابها
أعنكم نفى الرجس ؟ أم عنهموا ؟ — لطهر النفوس وألبابها
أما الرجس والخمر من دابكم ؟ — وفرط العبادة من دابها
وقلتم : ورثنا ثياب النبى — فكم تجذبون بأهدابها ؟
وعندك لا تورث الانبياء — فكيف حظيتم بأثوابها ؟
فكذبت نفسك فى الحالتين — ولم تعلم الشهد ، من صابها
أجدّك يرضى بما قلته ؟ — وما كان يوما بمرتابها

وكان (بصفين) من حزبهم ... لحرب الطغاة وأحزابها
وقد شمر الموت عن ساقه ... وكشرت الحرب عن نابها
فأقبل يدعو الى (حيدر) ... بأرغابها ، وبأرهابها
وآثر أن ترتضيه الأنام ... من (الحكمين) لاسبابها
ليعطى الخلافة أهلا لها ... فلم يرتضوه لأيجابها
وصلى مع الناس طول الحياة ... و (حيدر) فى صدر محرابها
فهلا تقمصها جدكم ؟ ... اذا كان اذ ذاك أحرى بها
لذا جعل الامر شورى لهم ... فهل كان من بعض أربابها
أخامسهم كان ؟ أم سادسا ؟ ... وقد جليت بين خطابها
وقولك : انتم بنو بنته ... ولكن بنى العم اولى بها
بنو البنت ايضا بنو عمه ... وذلك أدنى لأنسابها
فدع فى الخلافة فضل الخلاف ... فليست ذلولا لركابها
وما أنت والفحص عن شأنها ... وما قمصوك بأثوابها
وما ساورتك سوى ساعة ... فما كنت أهلا لأسبابها
وكيف يخصوك يوما بها ... ولم تتأدب بآدابها ؟
وقلت : بأنكموا القاتلون ... أسود أمية فى غابها
كذبت ، وأسرفت فيما ادعيت ... ولم تنه نفسك عن عابها
فكم حاولتها سراة لكم ... فردت على نكص أعقابها
ولولا سيوف (أبى مسلم) ... لعزت على جهد طلابها
وذلك عبد لهم ، لا لكم ... رعى فيكموا قرب أنسابها
وكنتم أسارى ببطن الحبوس ... وقد شفكم لثم أعقابها
فأخرجكم ، وحباكم بها ... وقمصكم فضل جلبابها
فجازيتموه بشر الجزاء ... لطغوى النفوس واعجابها
فدع ذكر قوم رضوا بالكفاف ... وجاءوا الخلافة من بابها

هموا الزاهدون هموا العابدون هم الساجدون بمحرابها
هموا الصائمون هموا القائمون هموا العالمون بآدابها
هموا قطب ملة دين الاله ودور الرحى حول أقطابها
عليك بلهوك بالغانيات وخل المعالي لأصحابها
ووصف العذار وذات الخمار ونعت العقار بألقابها
وشعرك في مدح ترك الصلاة وسعي السقاة بأكوابها
فذلك شأنك ، لا شأنهم وجري الجياد بأحسابها

وهذه القصيدة الرصينة الجليلة تدل على قابلية الصفي الحلي الشعرية الشخصية التي أعجبت الباحثين في الدراسات الاسلامية ، فقصيدته هذه الى العلم أقرب منها الى الشعر وكم في الشعر من علم وحكمة ونظرا لانها جائت على سبيل الارتجال فقوله (وكيف يخصّوك يوما بها) جاء ملحونا . والصواب أن يكون بثبوت النون (يخصّونك) لعدم وجود الناصب والجازم ولعل التحريف من النساخ وهو أقرب الاحتمالات نظرا لتضلع الصفي بالعلم والادب ولعل أصل البيت هكذا (وكيف تخصص يوما بها) كما أن محمد علي اليعقوبي أثبت هذا البيت هكذا (قتلتم أمية في دارها الخ ..) وهو خطأ فاحش لا يخفى على أحد من الناس لاختلال المعنى وكيف يقول قتلم انتم ونحن اولى بالاسلاب فالاسلاب للقاتل كما يدركه أقل الناس انظر ص ١١٠ ج ١ من بالياته ، وقول الصفي في تفنيد مزاعم ابن المعتز – وعندك لا تورث الانبياء – لجواب مسكت مفحم فأن مسألة توريث الانبياء من جملة المسائل الخلافية بين الشيعة واخواننا أهل السنة الذين لا يقولون بتوريث الانبياء لرواية رواها أبو بكر – رض – منفردا (نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة) والشيعة ترى صحة توريث الانبياء وتستدل بأدلة جليلة منها عموم آية الميراث وبما رواه احمد بن حنبل في مسنده باسناده الى زيد ابن ابى أوفى قال دخلت على رسول الله – ص – مسجده

ـ الى أن قال ـ قال رسول الله (والذى بعثنى بالحق نبيــا ما اخترتك الا لنفسى فأنت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى من بعدى وانت أخى ووارثى وانت معى فى قصرى فى الجنة) أورده العلامة الحلى فى كتابه المنهاج فرد عليه ابن تيمية فى كتابه ـ المنهاج ـ ص ٧٦ ج ٤ بوجوه ضعيفة قال فى الوجه الرابع منها [انّ قوله فى هـذا الحـديث أنت أخى ووارثى باطل على قول أهل السنة والشيعة فأنه ان أراد ميراث المـال بطل قولهم ان فاطمة ورثته وكيف يرث ابن العم مع وجود العم ؟ وهو العباس ـ الى أن قال ـ وان أراد ارث العلم والولاية بطــل احتجاجهم بقـوله (وورث سليمان داود) الخ ..] وهذه مغالطة وسفسطة فقوله ـ أخى ووارثى يراد به ارث العلم والولاية هنا ، واما قوله بطل قولهم ـ وورث سليمان داود ، فلا يبطل هذا القول لعدم وجود الملازمة فنحن لا نقول ان كل لفظة الارث يراد بها العلم والولاية ليصح استدلاله فالارث فى ـ وورث سليمان الخ .. كان استعماله على سبيل الحقيقة واستعملت هذه اللفظة فى هذا الحديث مجازا وليس من نص يمنع استعمال اللفظ مرة حقيقة واخرى مجازا ولو قلنا أن المراد بالارث ارث المال فعندنا أن البنت تحجب العــم وحينئذ يكون الميراث لفاطمة ـ ع ـ ولزوجات الرسول ـ ص ـ ولعـلم النبى ان ابنته تموت قبل زوجها فما تناله من ميراث يرجع الى زوجها ميراثا فيصح انه وارثه وهو من علم الغيب ولو فرضنا جدلا صحة حديث ـ نحن معاشر الانبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة ـ فيجــوز أن يكون معنـاه ان ما تركناه صدقة لا تجرى عليه احكام الارث ويبقى صدقة كما كان فهـو خاص بالمتروك على سبيل الصدقة وما سواه يورث فتكون (ما) مفعولا الى (نورّث) ولذلك استأذن عمر ـ رض ـ السيد عائشة أن يدفن فى غرفتها فما معنى الاستيذان اذا كان ما تركه النبى صدقة وامره بيده بصفته خليفة المسلمين ومـا معنى قول السيدة عائشـة ـ البيت بيتي ـ فلا بد أن يكون

الوجه الصحيح هو ما ذهبنا اليه وقد أحسن صفى الدين الحلى فى رده على ابن المعتز حيث قال :ـ

وعندك لا تورث الانبياء فكيف حظيتم بأثوابها ؟

وكان صديقه الآوي ـ صاحب هذه الترجمة ـ عالما مثله فقيها فاضلا ورعا صالحا أديبا وقد اجازه العلامة الحلى وكان تاريخ هذه الاجازة فى شهر رجب الاصم من شهور سنة ٧٠٥ هـ أى قبل وفاة العلامة اعلى الله مقامه بـ (٢١) عاما وهو من تلامذة العلامة وقد وصفه باجازته هذه بأوصاف جليلة كقوله (الشيخ الاجل الاوحد الفقيه الكبير العالم الفاضل الزاهد الورع العلامة أفضل المتأخرين ولسان المتقدمين المحقق المدقق مفخر الافاضل خواجه رشيد الملة والحق والدين علي بن محمد رشيد الآوى الخ) وهذه الشهادة تستشف من ورائها قيمة ـ الآوي العلمية والادبية والدينية وهو لا شك من افضل فضلاء عصره معاصر للشيخ جمال الدين احمد بن الشهاب محمد ابن أبي عبدالله الاسدى الحلى أحد أئمة الفقه وكوكب منير من كواكب العلم كما عاصر الآوي فخر المحققين وشاركه فى فضيلة العلم ولكننا مع الاسف لم نقف على مصادر موسّعة لتحيط بنواحي هذه الشخصية الفذة احاطة السوار بالمعصم وكل ما هنالك عبارات وجيزة غير مترابطة اشبه برؤوس أقلام ونتف من احواله بقيت تصارع حوادث الدهر ومع هذا الشح الشديد من جانب نرى التراجم تجود بسخاء بل بتبذير واسراف من جانب آخر بحيث تعنى بتوافه الامور وتلتقطها على علاتها .

٥٤ ـ الشفهيني الحلي

من الاهمية بمكان دراسة العالم الاسلامى القديم والحديث دراسة فاحصة مستفيضة ومقارنة حالته امس بحالته اليوم والعكوف على دراسة أسباب هذا التباين الشديد ومن ثم العمل المجدى المتواصل لازالة تلك

الاسباب للرجوع بالاسلام الى سيرته الاولى وتنقية جوهره مما طرأ عليه من صدأ والاهابة برجال الفكر المصلحين الى توحيد الكلمة ومعالجةأمراضه الباطنية قبل كل اصلاح خارجي للمحافظة على التراث الاسلامي فيوسط هذه العواصف القواصف والا فان أقل تهاون قد يعرّض الاسلام وأقداسه الى الخطر المحقق الماحق .

ومن هذه الدراسات الملذة المفيدة دراسة رجال الفكر من سلفنا الصالح لاستعراض انتاجاتهم العقلية واخذ الصالح منها والاهتداء بهديهم لانقاذ هذا التراث الغالي من أفاعيل تيار الالحاد الجارف والدعوة المادية الهدامة ومن جملة هذه الدراسات ـ كتاب فقهاء الفيحاء ـ الذى عنيبتراجم فحول العلماء امثال ابي الحسن علاء الدين الشيخ علي الشفهيني الحلى من المع رجالات القرن الثامن الهجرى ، كان شديد الحسّاسية دقيق الملاحظة مرهف الحس خصب الشاعرية عالما حكيما مدققا فاضلا فقيها صالحا شاعرا مجيدا ، وعند البحث في هذه الشخصية ومميزاتها ينفتح لنا موضوعان ، علمي ويشمل ما لصاحب هذه الترجمة من مكانة مرموقة في علم الفقه والاصول والحكمة والمنطق وما شاكلها من علوم ذلك العصر ، وموضوع أدبي ويتناول ملكة الشفهيني الادبية النادرة وقدرته العجيبة على قرض الشعر وملكة راسخة في النظم ، وهذان الموضوعان يدلان بمجموعهما على عظمة هذا الرجل الجليل قال بعض مؤرخيه فيه (الشيخ علي ابن الشفهينية الحلى فاضل عالم شاعر ولعله معاصرا لابن فهد رثى الحسين ـع ـ سبع قصائد مجموعة من شعره) الخ وعبّر عنه صاحبكتاب ـ رياض العلماء ـ (بالشيخ ابن الشفهينية من العلماء العقلاء معاصر للشهيد ومن الشعراء وأصله من جبل عامل) وفي كتاب تزيين الاسواق معنون ـ بالشاهيني ـ وفي كشكول الشيخ يوسف البحراني دعاه ـ بالشهفيني وذكر ذلك غيره كما ذكره آخرونباسم عليبن الحسين الشهيفية ولا شكأن هذا الاختلاف

من خبط النساخ وعدم ضبطهم كما يجوز ان تكون صحيحة كلها ولعل من الراجح ما ذهب اليه صاحب كتاب ـ تزيين الاسواق ـ ففى الحلة اليوم بيت معروف ببيت جاج شاهين ولعله هو فحرّف فلم يوجد بيت فى الحلة يقاربه فى الاشتقاق ولعله من ذرية صاحب هذه الترجمة فبيت حاج شاهين من البيوتات القديمة فى الحلة • وأرى فى تعبير صاحب كتاب ـ رياض العلماء ـ بأنه من العلماء العقلاء بعض الغضاضة والسماجة فى التعبير فكلمة العقلاء جائت نشازا بعد وصفه بأنه من العلماء ولو قال من العلماء راسخي العقول لصح التعبير لانه ليس كل العلماء كذلك للتفاوت فى درجات العقل • والشفهينى ممن طغت سمعته الشعرية فأخفت سمعته العلمية او كادت مع انه من زعماء الحركة العلمية وقد جلى فى الشعر حتى كان من عباقرته وقصيدته الكافيّة شاهدة بطول باعه وتفننه ومطلعها :ـ

يا عين ما سفحت غروب دماك ... الا بما أُلهمتُ حب دُماك
ولطول الفك بالطول أراك ... أقمار تم فى غصون أراك

ومنها :ـ

لك ناظر فى كل حسن ناظر ... منّاك تسويفا بلوغ مُناك
كم نظرة أسلفتُ نحو سوالف ... سأمت اساكِ بها علاج أساك

ويقول مستطردا فى غزله :ـ

شمس تبوّأت القلوب منازلا ... مأنوسة عوضا عن الأفلاك
سكنت بها ، فسكونها متحرك ... وجسومها ضعفت بغير حراك

ومنها :ـ

ماذا يضرك يا ظُبيّة بابل ... لو أن حسنك مثله حسناك
أنكرتِ قتل متيّم شهدت له ... خدّاك ما صنعت به عيناك
وخضبتِ من دمه بنانك عنوة ... وكفاك ما فتكت به كفاك

ومنها :ـ

حجبوك عن نظرى فيا لله مـا   أدناك من قلبى ، وما أقصـاك

ويأتى من تخلّصه بقوله :ـ

وشكرتُ منّته عليَّ وحسن ما   أولاك من نعمـائه مـولاك
أولاك حب محمـد ووصيّـه   خـير الانام ، فنِعْمَ ما أولاك

ويسترسل الشاعر فى اسلوبه الجميل فيأتى من المدح ما يشبه قلائد الدر ، وله قصيدة اخرى لامية قد احتوت على صنوف من أنواع البديع والصناعة اللفظية ورغم ما فيها من صناعة بديعية جائت خالية من التكلف وقد استهلها بقوله :

نمَّ العـذار بعارضيـه وسلسلا   وتضمّنت تلك المراشف سلسلا
قمر أباح دمى الحرام محلـلا   اذ مر يخطر فى قبـاه محلـلا
رشـأ تردّى بالجمال فلم يدع   لاخ الصبابة فى هواه تجمُّلا
كتبَ الجمالُ على صحيفة خده   بيراع معنـاه البهيج ومثّـلا
فبـدا بنونيْ حاجبيـه معـرّفا   من فوق صادىْ مقلتيه وأقفلا

منها قوله :ـ

حلو الشمائل لا يزيد على الرضا   الا عـلىَّ قسـاوة وتـدلـلا

ومنها هذا الحوار الروائى الجميل :ـ

أبكي فيبسم ضاحكا ويقول لي   لاغرو ان شاهدت وجهيَ مقبلا
أنا روضة، والروض يبسم نوره   بُشراً اذا دمع السحاب تهملا

ومنها :ـ

لا شيء أجمل من عفـاف زانه   ورع ومن لبَس العفاف تجمّلا

الى أن يأتى الى التخلص فيقول :ـ

لي فيـه مزدجر بما أخلصتـه   فى المصطفى وأخيه من عقد الولا

فهما لعمرك علة الاشياء فى الـ ـعلل الحقيقة ان عرفت الأمثلا
الزاهدان العابدان الراكعا ن الساجدان الشاهدان على الملا

ثم يمضى فى مدح أمير المؤمنين علي ـ ع ـ فيقول :ـ

ان يحسدوك على علاك فانما متسافل الدرجات يحسد من علا

والقصيدة على طولها وتكرارها لا يمل أحد سماعها وكفى هذه القصيدة أن تشغل العلماء فضلا عن الادباء بالعناية بها حتى أن الشهيد ـ رحمه الله ـ على جلالة قدره ورسوخ قدمه فى العلم عمد الى شرحها وهى قصدة طويلة رائعة كسائر شعره ، أما قوله (يا نور قدس من الله البدىء بدا) الخ فليس كما توهمه بعضهم بأنه يشير فيها الى قضية ـ البداء ـ الذى هو لغة ، ظهور رأى لم يكن واستصواب شيء عُلِمَ بعد أن لم يُعْلَم وهذا جائز فى حق الناس ومستحيل على الله تعالى لاستلزامه الجهل والله منزه عنه ، وقد اشتبه البلخى فى تفسيره ومن حذا حذوه فى نسبة هذا القول الى الشيعة اللهم الا اذا كان المراد منه معارضة اليهود فى زعمهم أن الله فرغ من الامر وانه لا يبدو منه شيء ـ يد الله مغلولة ـ والصحيح من البداء كما حققه العلماء ، البداـ منه بأحداث ما لم يكن واظهار ما خفى فى التكوينات ، وكذا نسخه لبعض الاحكام الشرعية حسب الحكمة فى محو شيء واثبات شيء آخر وانه ـ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ـ وليس منه قوله تعالى ـ والله غالب على أمره ـ فهذا نحو أمره بالصوم واسقاط الاتيان بالمأمورية لعذر يمنع المتكلف من الاتيان بالمأمور .

قال اليعقوبى التبريزى حفظه الله فى بابلياته تحت عنوان ـ حنينه الى وطنه ـ (ويؤكد ما رجحناه من عدم كونه حليا بالاصل حنينه الى بلد كان قد نشأ فيه واستوطنه قبل الحلة فتراه دائما يتذمر من غربته فى قصائده التى قالها فى الحلة ويبكى لنأى أحبابه ويندب فيها عصر شبابه ومن ذلك قوله :ـ

أبكي اشتياقا كلما ذُكروا وأخو الغرام يهيجه الذكر

ورجوتهم في منتهى أجلي | خلفا فأخلف ظني الدهر
وأنا الغريب الدار في وطني | وعلى اغترابي ينقضي العمر

انتهى موضع الحاجة من كلام اليعقوبي ولكنه لم يصب كبد الواقع وقد اشتبه اشتباها كبيرا فيما ذهب اليه فانه صرح بأنه غريب الدار في وطنه فلماذا اعتبر اليعقوبي لفظة ـ الغربة ـ ولم يعتبر ـ الوطن ـ وقول الشاعر لا يختلف عن قول الخطابي القائل :

وما غربة الانسان في شقة النوى | ولكنها والله في عدم الشكل
واني غريب بين (بست) وأهلها | وان كان فيها اسرتي وبها اهلي

وقد قال الشاعر أنا غريب الدار في وطني ولم يقل اني غريب الدار عن وطني ليستدل (بعن) معنى تجاوزه حدود وطنه ولكنه عبّر (بفي) الظرفية وحتى لو افترضنا تصريح الشاعر بغربته لجواز انه نظم الشعر في بعض أسفاره وتشوّق الى بلده الحلة والغريب عدم التفاته الى هذا المعنى من قول الشاعر نفسه :

اذا غبتموا عن ربع حلة بابل | فلا سحبت للسحب فيه ذيول
وما النفع فيها وهي غير أواهل | ومعهدها ممن عهدتُ محيل
تنكّر منها عُرفها فأهيلها | غريب ، وفيها الاجنبي أهيل

وقد فصّلت هذا في كتابي (مناقشات ومداعبات) الخطى على ان اليعقوبي قد أحسن في كتابته عن الشفهيني في كتابه ـ البابليات ـ لاحياء ذكر هذا الجهبذ وان كانت بحوثه تحتاج الى رويّة ففيها مواضع كثيرة خالفت الصواب ولم ينصف الكثيرين ممن ترجم لهم وقليل من الناس من ينصف النوابغ ويعرف لهم منزلتهم ولست أرى جناية أفضع ولا أقسى من اهمال هؤلاء النوابغ أو ترجمتهم ترجمة مغلوطة ومشوهة فان مقياس ثقافة الامة وقد تُرمى الحلة ببعض هذا العقوق فانها مع الاسف قد تجنّت على

نوابغها فلم تحتفظ بقسم كبير من التراث الماضي كما لم تشجع النابهين وأهل الرأي في هذا العصر لتدفعهم الى اتمام رسالتهم الثقافية بنوع من التشجيع والتقدير اللهم سوى ثلة من ذوي الاحساس الرقيق دفعها حرصها على سمعة بلدها وحبها لخدمة الثقافة الى تشجيع الطبقة المثقفة ولكن وجود هذه الفئة يكاد يكون بحكم المعدوم وبسبب قلة التشجيع أصابت الحلة انتكاسة ثقافية أخرتها أشواطا عن مستواها الثقافي الذي يجب أن تكون فيه فضاعت بسبب هذه الانتكاسة المؤسفة جوانب مهمة من تاريخ الحلة المجيد .

٥٥ ـ عميد الدين الاعرجي ٦٨١ ـ ٧٥٤هـ

السادة الأعرجية من الأسر الحلية الشريفة يتصلون بجدهم الاعلى ـ عبدالله ـ الملقب بالاعرج ابن الحسين الاصغر . والحسين هذا هو وأخوه زيد الشهيد الذي يتصل به نسبنا ، كلاهما نسل الامام زين العابدين ابن الامام الحسين شهيد المبدأ والأباء . ولما كان رجوع انتساب الأعرجين الى جدهم الاعلى ـ عبد الله الاعرج ـ وهو من القرن الرابع الهجري كان من البديهي كثرة أبنائه ووفرة أغصان شجرته حتى أصبحت هذه الاسرة من أضخم الاسر عددا كثيرة الفنون طيبة الثمر كريمة المغرس وشيجة العروق ممتدة أغصانها الوافرة الوارفة الظلال الى أنحاء الدنيا وكل هذه الفروع تلتقي بجدها الاعلى ـ عبدالله ـ المعدود من الطبقة الثالثة بعد الامام ـ ع ـ والمعاصر للسفاح العباسي ، وقد نبغ من هذه الاسرة نوابغ أفذاذ في العلم والادب ، في علوم الدين والدنيا ، ما خلدها ورفع شأنها وبوأها المكانة المرموقة التي تستحقها حتى تقلد بعض أعلام هذه الاسرة نقابة الطالبيين ، وامارة الحج ، واضطلع بعضهم بمسؤولية التقليد والمرجعية الدينية ، ومن فروع هذه الاسرة آل زوين وآل شكارة ، وآل فخري زادة وآل العميدي وآل الفحام وآل السيد مرتضى ، وبيت الأعرجي في الحلة ، الذي ينقسم الى عدة بيوتات

منها آل السيد عبدالحسين السيد منصور ويتفرع منهم آل السيد أحمد العطار وآل السيد حميد وآل السيد حسن وآل السيد محمد كما ينتسب الى أعرجية الحلة السادة آل الشلاه وآل الفحام وآل حديد وآل شوكة ومنهم بيت سبع الدرج وجد هؤلاء سميّت المحاويل باسمه فقيل ـ محاويل الامام ـ وتتصل الاسرة الأعرجية بالقاضى ـ سنان ـ قاضى المدينة المنورة وقد أعقب القاضى سنان المذكور ولدين نشأا بكنفه ولأمور سياسية نُفيا من الحجاز الى العراق وهما ـ هاشم ، وقاسم ـ فسكن الاول قرية (جناجة) على وزن ـ نعمامة وسحابة ـ وتسمى قديما ـ قنافيا ، وسكن الثانى بلدة الموصل ولا أعرف سبب تفرقهما وعدم اجتماعهما فى بلد واحد مع وحدة النسب والبلد والمصيبة وكان مجيئهما الى العراق فى سنة **٥٨٧**هـ قبل تمصير الحلة ثم لما تمّ تمصيرها وسكنتها الدولة المزيدية هاجر هاشم بن سنان من جناجة المذكورة الى قرية ـ الحصين ـ تصغير حصن واسمها القديم ـ حصن سامة ـ ومكث بها برهة من الزمن ثم تركها وسكن الحلة فيمن سكنها منذ أول تأسيسها سنة **٥٩٤** هـ ولهاشم هذا تنتسب أعرجية الحلة ، أما اسرة آل الشلاه فتفترق عن أعرجية الموصل من جدها ـ ضياء الدين المكنى بأبى البركات وبقي فرع فى الحلة من بيت الاعرجى محافظا على هذه النسبة فيقال لكل فرد منه فلان الاعرجى ومن نبهائهم صديقنا المحامى البارع السيد سعيد الاعرجى وأخوه المغفور له موسى الاعرجى والمرحوم الشاعر السيد مهدى الاعرجى ومن بهاليل هذه الاسرة فى القرن الرابع الهجرى ابراهيم محمد الاشتر ابن عبيد الله الثالث الذى كان له من الاولاد نيف وعشرون، بسطوا نفوذهم على الكوفة وامتد ملكهم وقوت شوكتهم حتى قيل (السماء لله ، والارض لبنى عبيد الله) وهذا الرجل من مشاهير عصره مدحه جماعة من الشعراء ، وممن مدحه أبو طيب المتنبى بقصيدة طويلة من البحر المنسرح مطلعها :ـ

أهـلا بـدار سباك أغيـدها   أبعد ما بان عنـك خردها ؟

ومن مديحها قوله :ـ

خير قريش أباً وأمجـدها   أكثـرها نائلا وأجـودها

وفى هذه القصيدة أشار المتنبى الى ما فى وجه الممدوح من أثر ضربة سيف أصابه بها بعض مردة العرب بظاهر الكوفة فزادته هذه الضربة جمالا على جمال فقال فيها المتنبى :

يا ليت لي ضربة أتيـح لهـا   كما أتيحت له (محمدها)

أثرٌ فيها ، وفى الحديد وما   أثرٌ فى وجهـه مهنـدها

وهذه القصيدة مثبتة برمتها فى ديوان المتنبى • وان من مشاهير هذه الاسرة فى القرن الثامن الهجرى المترجم له السيد الجليل عميد الدين عبد المطلب ابن أبى الفوارس محمد ابن فخر الدين علي الاعرجى الحسينى الذى ـ يطاول نور الشمس نور كماله ، ولد هذا السيد الجليل ليلة النصف من شهر شعبان من سنة ٦٨١ هـ وأدركه الاجل المحتوم ليلة الاثنين العاشرة من شعبان سنة ٧٥٤ هـ وكانت وفاته فى الحلة وصلي عليه فى مقام مشـهد الشمس ثم حملوه الى مشهد امير المؤمنين علي ـ ع ـ ودفن فيه وافتقـد الناس بموته ركنا من أركان العلم ونجما مضيئا من نجوم الفكر كان قـد تلقى أكثر ثقافته على خاله آية الله العلامة الحلى فاشتهر بغزارة العلم وجلالة القدر ، وله آثار محمودة منها رسالة نافعـة فى مناسخات الميراث سميت (المسألة النافعة للمباحث الجامعة) وهى تكميل لمسألة المناسخات التى أوردها الخواجة نصير الدين الطوسى فى رسالة الفرائض ، وتصدى الى تقريض ، المسألة النافعة ، الشيخ احمد بن الحداد بقصيدة وقعٌ فى ذيلها ـ مملوكه أحمد بن الحداد الحلى فى سنة ٧٢٠ هـ ، ومن الذين قرظوها خاله العلامة وجاء من جملة التقريظ قوله (أحسنت ايها الولد العزيز العضد الحسيب النسيب المعظم الفقيه المدقق عميد الملة والدين جعلت فداك فيما أودعتـه

في هـــذه الاوراق الدالة على التميز عن الأقران ، والتبريز على أكثــر اشخاص نوع الانسان ، وقد أتيت فيها بالمعاني اللطيفة ، والمسائل الشريفة ، أحسن الله اليك ، وأفاض نعمته عليك ، ولا استبعاد في ذلك منك ، وأنت من نسل شجرة النبوة ، وفقك الله لكل خير ، ودفع عنك كل ضر ، بمنه وكرمه) وهذا تقريظ اشتمل على جهات من المـــدح والاوصاف فقوله ، الولد العزيز فيه اشارة الى رابطة الدم حيث ان الخال والد ثان كما يقولون واشارة اخرى الى شرف اتصاله بشجرة النبوة الزاكية وهاتان الاشارتان خاصتان بالنسب وليس له فيه قدرة اختيار وانما هي منحة الهية يهبها لمـن يشاء . وثالث الاشارات تتعلق بصفة الكتاب وأن المؤلف أحسن في تأليفـه بما أودعه في الكتاب من المعاني للطيفة والمسائل الشريفة ، وهناك اشـارة الى شخصية المؤلف الثقافية فوصفها العلامة بأن عميـد الدين بتميزه على الأقران والتبريز على كثير من اشخاص نوع الانسان ، ومن مجموع هذه الاشارات ، والحر تكفيه الاشارة ، نعرف ما كان للسيد عميد الدين من مرتبة سامية وقرب منزلة من خاله العلامة ووثوقه به واعتماده عليه وحبه له حتى تمنى أن يفتديه بروحه بقوله ــ جعلت فـداك ــ تعبيراً عن فرط اعجابه بالكتاب واستجاب الله من العلامة فتوفى قبل عميد الدين بـ (٢٨) سنـة ، ونرى اصحاب التراجم والمعنيين بالسير من المصنفين المنصفين قـد أجمعوا على مدح عميد الدين لا تقليداً للعلامة واتباعا لرأيه فيه وانما لشهادة آثاره ومدح أساطين العلماء ومن هؤلاء الافاضل صاحب كتاب ــ الكنى والالقاب ــ فأنه ترجم له وقال ص ٤٥٢ ج ٢ فيه ما يلي (السيد عبد المطلب بن السيد مجد الدين ابن أبي الحسن علي فخر الدين العالم الفاضل الجليل الاديب الشاعر النسابة ابن محمد بن احمد بن علي الاعرج المنتهى نسبه الى عبيدالله الاعرج بن الامام زين العابدين) الخ .. وأمه أخت العلامة بنت الشيـخ

سديد الدين فالعلم لم يجئه طارئا وانما تورثه من أبيه وخاله وجده فبرز بالعلوم العربية ووالرياضية والفقهية والاصولية وعلم الانساب والعروض واللغة والتاريخ ومن مؤلفاته ومصنفاته وهى كثيرة ، رسالة المواريث المار ذكرها آنفا وله كثير من الشروح والتعليقات والتعقيبات على كتب خاله العلامة منها كتاب مُنْيَـةُ الاديب فى شرح التهذيب ، فى علم الاصول وكتاب كنز الفوائد فى حل مشكلات القواعد فى مجلدين والقواعد من تصانيف العلامة ايضا وله كتاب تبصرة الطالبين فى شرح نهج المسترشدين ، وكتاب شرح أنوار الملكوت فى علم أصول الكلام، يروى عن جماعة منهم والده مجد الدين ابو الفوارس محمد وقد بالغ بالثناء عليه صاحب كتاب الازهار وقال ان اسمه مرقوم فى حائر الحسين ـ عليه السلام ـ ومن ذرية عميد الدين من معاصرينا المرحوم السيد حكيم العميدى وكان من أئمة الجماعة فى محلة ـ الكلج ـ من محال الحلة وابنه صديقنا الشاعر الظريف السيد رحيم العميدى الذى له أكثر قصائد ديوان سخيف ورحيم من الشعراء المحافظين ينظم الشعر على الطريقة القديمة بالاوزان والمعانى انتحل شعره متطفل حصل فيما بعد على شهادة الدكتوراه بطريقة ـ خدمة الجبال ـ أو اللعب على الحبال ـ وهو ممن ارتد عن الاسلام والعياذ بالله وتتعجب من أبيه الذى يزعم التقوى لم يتبرأ منه بالصحف وسوف يرث من أبيه تلك الثروة الطائلة فيكون هذا الاب قد أعان ولده الكافر ونفعه فاللوم يعود بطبيعة الحال على الوالد الذى تعلم منه ولده هذه الاخلاق وشجعه ضمنا على الكفر والالحاد و (لا تجد قوما يوادون من حاد الله ورسوله ولو كان آباؤهم أو أخوانهم أو عشيرتهم) ولنعد الى التحدث عن الفاضل سيد رحيم فهو من المسلمين الثابتين على الايمان ولا ندرى لأى باعث أهمل ترجمته محمد علي اليعقوبى وتجاهله الخاقانى وترجما لبعض العوام ولقباهم بالشعراء والادباء • ومن اسرة السيد رحيم العميدية الشاعر

الشعبي السيد محسن نجل المرحوم الخطيب السيد احمد (قيّم عمران) والسيد محسن يجيد الشعر الشعبي وله أمثلة مطبوعة منـــه ينتهي نسبه الشريف الى عميد الدين الذى لقبه الشهيد ، بعلم الهدى ، وبشيخ أهــل البيت فى زمانه ، كما فصلنا قبل قليل بعض احواله •

٥٦ ـ نظام الدين العميدي ـ ٦٨٣هـ

السيد نظام الدين عبد الحميد بن مجد الدين أبى الفوارس محمد بن فخر الدين علي بن عز الدين بن محمد بن أحمد بن علي الاعرجى هــو اخو عميد الدين عبدالمطلب الذى ترجمنا له فى رقم (٥٥) من هذا الكتاب وقد تمتع نظام الدين بمركز علمى دينى رفيع ولكنه لم يبلغ المستوى الذى بلغه أخوه عميد الدين وانه يأتى بالدرجة الثانية بعد أخيه فى العلم والادب والزعامة والرآسة ، كان من أفاضل فقهاء عصره حين كان للعلم والادب دويّ •

وضجة لا تستقر ساعة   كأنها ضجة برج بابل

واتجه نظام الدين اتجاهه الثقافى السديد فاعتنى كما اعتنى أخوه من قبله بشرح كتب خاله العلامة الحلى ومن هـــذه الشروح ، شرحه لكتاب ـ نهج المسترشدين ـ وسمى الشـــرح ـ بتذكرة الواصلين فى شرح نهج المسترشدين ـ وهو الكتاب الذى شرحه أخوه ودعاه بكتاب تبصرة الطالبين فى شرح نهج المسترشدين ، وقـــد تعرضت مجموعة جدنا حجة الاسلام المسماة ـ نثر الخزامى ـ الى ذكره ولكن الترجمة أتلفها العث والضـــياع والباقى منها لم يكن شيئا ذا بال سوى ان السيد المذكور شرح كتاب نهج المسترشدين وهو ابن تسعة عشرة عاما وهذه الجملة لم تنفرد بذكرها هذه المجموعة بل ذكرتها كافة كتب التراجم وقد نسب بعض الادباء للسيد نظام الدين هذيه البيتين :

اذا اختلفت فى الدين سبعون فرقة ... ونيف ، كما قد صح عن سيد الرسل
أفى الفرقة الهُلّاك آل محمد ؟ ... أم الفرقة الناجين؟ ماذا ترى قل لي؟

وروى المرحوم الشيخ محمد السماوى ص ٣٠ من كتابه (ظرافة الاحلام) فى الفصل السابع نقلا عن الشيخ محمد حسين النورى فى كتابه ـ دار السلام ـ أن بعض علماء خوارزم قد نذر أن يحج فجاء حتى وصل قنطرة فى شط النيل من الحلة ، وكانت له زمن بنى العباس قنطرة عليها طريق الحاج وبقيت بعدهم مدة ، فرأى الشيخ الفقيه ابن نما الحلى ، أمير المؤمنين ـ ع ـ فى المنام فقال عليه السلام له ـ ان عالم خوارزم قد ورد الى هذه البلدة وقد أشرف أن يعبر فأرسل اليه أحد اصحابك بهذين البيتين يسأله فيهما ويعزم عليه حتى يجيبه عنهما ـ وتلا له البيتين فانتبه الشيخ وهو يحفظهما وأرسل أحد تلامذته بالبيتين اليه وسأله أن لا يعبر الا بعد الجواب ، فرجع الى بغداد ولم يعبر ، هكذا رواها صاحب كتاب ظرافة الاحلام فأن أردت التفصيل فراجع ذلك الكتاب . والظاهر أن البيتين ليسا من نظم نظام الدين وأنهما من جملة مقطوعة شعرية لشرف الدولة مسلم ابن قريش العقيلى المسيبى ملك الموصل المقتول سنة ٤٧٨ هـ والله العالم بحقائق الامور .

٥٧ ـ صفي الدين الحلي ٦٧٧ ـ ٧٥٠هـ

اذا استشرت المصادر التاريخية عن شخصية صفى الدين فانى أتلقى جوابها الاجماعى بما لهذا الرجل العبقرى من أثر بارز فى تاريخ الفكر الاسلامى سواء من الناحية العلمية أو الادبية ، أو السياسية أو الاجتماعية وقد ساهم هذا الرجل مساهمة فعلية وذات نتائج باهرة فى كل هذه النواحى حتى كان رئيس مدرسة فكرية فى المجتمع الاسلامى فى عصره فمن الناحية العلمية نقول واثقين انه كان من أساطين علماء الامامية ومتقدميهم يتفجر

علما ومعرفة ، ومن الناحية الشعرية يكفى ديوانه المطبوع أن يعطينا فكرة واضحة عن نبوغه الشعرى وابداعه ، وأما ناحيته السياسية فقد خاض الحروب وشجع على اشعال أوارها لانتصار فكرة سياسية معينة وتكفى بائيته التى انتقد بها عبد الله بن المعتز مثالا وان أمكن تفسيرها بالباعث الدينى ولكن الدين الاسلامى لم يتنصل من الامور السياسية فيمكن تفسيرها بهذين السببين ولا تناقض ، وأما الناحية الاجتماعية فى ديوانه وكتبه من دعوة حارة الى الاصلاح الاجتماعى ومحاربة رذائل الاخلاق وايقاظ الضمير وقد اتصلت هذه الحلقات بعضها ببعض فكونت شخصية الصفى العالم الاديب السياسى المصلح الاجتماعى الذى أحدثت شخصيته التى أبت الانطواء على نفسها أعنف الهزات فى عالم الفكر تبلورت عن تقدم الثقافة واتساع الوعى فى مجتمعه حين تفاعلت محاولاته الاصلاحية ومحاولات المصلحين الآخرين من أنداده وكان لشعره أثر أكثر بروزا من وسائل اصلاحاته الاخرى وشعر الصفى الحلى يقوم على ثلاث ركائز ، العقل الواعى ، والشعور الفياض ، والخيال الخصيب . والشعر اذا كانت هذه ركائزه فهو النبوغ بعينه أو ابن عمه .

لقد نظم الصفى فى كافة المواضيع الشعرية المعروفة فى عهده وطرق كافة أبواب الشعر وولج منها الى الابداع والامتاع والاجادة ولا عجب فقد كان مرهف الحس يتحسس كل شىء حوله فيميز خيره من شره وجيده من رديئه فينظم فيه من شعره الرنان وكأنه ينقل ما هو مسطور فى نسخة وجدانه . ثم نظر شاعرنا قضية الحياة المعقدة فحاكمها بأحساسه العميق وخرج منها بنتائج صحيحة ، فيها الحكمة وفيها العبرة ، وقليل هذا النوع من الشعراء الذين يتصل شعرهم بشعورهم ويتلاقى خيالهم وحقائق الامور ، فأكثر من نعرف من هذه المجموعات الكبيرة من الشعراء لم يزيدوا عن كونهم شعراء ألفاظ جوفاء لا تكاد تمتاز عن النثر المبتذل الرخيص الا بما

فيها من موسيقى الشعر وجرس القافية والوزن ، ولكن شعر الصفى وهو من فحول الشعراء لم يكن فى مثل هذا المستوى المنحط وانما هو أزهار مونقة وأسفار خالدة ، فيها المعجب المطرب من بدائع الشعر وروائع الفن تبارى فى مضمار الجودة ناحيته اللفظية وناحية المعنى فكلاهما بلغ من حسن الاختيار ما جعله مترابط الحلقات فى سلسلة الابداع فحسن اللفظ متصل بحسن المعنى الذى هو شديد الاتصال بالعلوم ، المعانى ، والبيان ، والبديع • وقد تناول شعره شتى المواضيع الشعرية من مديح ورثاء ، وهجاء ، ووصف وغزل وحكمة وسياسة وعرفانيات وردود حتى فى الاحماض والمجون من الادب المكشوف وأجاد فيها كلها فبينما هو من عرفانياته فى صومعة راهب واذا به من المجون والغزل فى صالة رقص ومجلس طرب بين الغيد والكاس والغلمان واذا تحمس وافتخر جعلك واقفا فى ساحة قتال فيها الكر والفر ولمع السيوف ورشق السهام هذا هو الوصف الصادق لديوان ـ الصفى ـ الذى هو عبارة عن خلاصة فلسفته ومعرفته لهذه الحياة التى درسها وتوفق الى حل الكثير من ألغازها وأسرارها متوصلا الى حل تلك الرموز بما لديه من وسائل المعرفة المشرقة والادراك الواعى ما أهله لأن يصبح علما من أعلام الفكر العربى يشار اليه بالبنان ويكفى الصفى دليلا على نضوجه الفكرى أن يكون من تلامذته مثل السيد تاج الدين بن معية وقد أعطانا ابن حجر العسقلانى فى كتابه ـ الدرر الكامنة ـ فكرة غير واضحة وفيها من التحامل الطائفى البغيض ما يفسر لنا سبب الاجمال فى ترجمته للصفى فقد جاء فى كتاب ـ الدرر الكامنة ـ أن الصفى [تعانى فى الادب ومهر فى فنون الشعر كلها ، وتعلم المعانى والبيان والبديع وصنف فيهما ، وتعانى التجارة فكان يرحل الى الشام ومصر وماردين وغيرها فى التجارة ، ثم يرجع الى بلاده ، وفى غضون ذلك يمدح الملوك والاعيان وانقطع مدة الى ملوك ماردين وله فيمدائحهم الغرر ، وامتدح الناصر محمد

ابن قلاوون والمؤيد اسماعيل بحماة وكان يتهم بالرفض] والمراد بالرفض حب أهل البيت عليهم السلام لأننا قد أوضحنا فيما مر من مواضيع هـــذا الكتاب افتعال هذه الفرقة من المسلمين وعدم وجودها الا فى العقول المريضة وقد أحسن محمد بن ادريس الشافعي ـ رض ـ في قوله :ـ

ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقــلان أنى رافضي

وقد ذهبت ـ والحمد لله ـ تلك العداوات التى لا طائل تحتها كمـــا ذهب كثير من الخرافات الدينية لتى اختلقتها الاوضاع الشاذة التى أثرت تأثيرا سيئا فى سلوك الناس فى تلك الحقبة المظلمة من الزمن والآن نرى ـ من حسن الحظ ـ الرغبة الصادقة فى التفاهم وازالة تلك الخلافات والعمل على وحدة كلمة المسلمين ـ الشيعة والسنة ـ فقد مضى أمس بما فيـه ـ ونحن ابناء اليوم وقد لمسنا الضرر الكبير الناتج عن تلك الانقسامات المخالفة الى روح الاسلام حتى كادت أن تودى بالاسلام والمسلمين دون تفريق بين شيعى وسنى ومتى كثرت الثقافة وانتشر الوعى زاد التفاهم وتقاربت الآراء وسوف لا يمضي زمن طويل حتى نرى زوال آخر ظلمة من ظلمات الماضى السحيق فلم يجد فريق من المبتدعة سلاحا أمضى من سلاح الطائفية يشهرونه لقتل الاسلام باسم ـ تحت راية الاسلام ـ ناسين أن الاسلام هو دين السلام لا دين المهاترات والبغضاء وقد دعا حتى مخالفيـه فى العقيدة الى نبـــذ الخلافات ، والى الوحدة فقال تعالى ـ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمـــة سواء بيننا وبينكم ـ الآية ، اذن فمن الباب الاولى والاحرى دعوته المسلمين ـ وهم أهله ـ الى اتفاق الكلمة وكم فى القرآن الكريم من شواهد ناصعة على هذه الدعوة الكريمة كقوله تعالى (واعتصموا بحبـــل الله جميعا ولا تفرقوا) فالمتهاترون والمفرقون يخالفون القرآن المجيد بعناد واصرار ومن يخالف القرآن ليس لنا أن نجعله فى حظيرة المسلمين وان صام ، وان صلى

وان تظاهر بأنه من علماء الدين فأنه داعية الفوضى والشقاق ، وصنيعة الالحاد عن قصد أو دون قصد •

ولادة الصفي

ولد عبد العزيز بن محاسن بن سرايا بن علي ابن ابى القاسم السنبسى الطائى ، فى مدينة الحلة نهار الجمعة الموافق ٥ ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ بعد وفاة المحقق الحلى بعام واحد وتعهد تربيته أبوان صالحان كريمان ولما استوى عوده تعلم القراءة والكتابة ومبادىء العلوم ثم تدرج فى السلم العلمى حتى وصل الى الدرجة العالية فأتقن العلوم العربية ، والعلوم العقلية ، والعلوم الدينية ، وساعده عقله الراجح وفهمه الغزير وطبعه الشفاف ومزاياه النادرة ، أن يكون نادرة زمانه علما وادبا ، وكانت أسفاره العامل المساعد الى نبوغه ، فقد سافر الى مصر ، وفى مصر يوم ذاك ثورة ثقافية طاغية فى شتى نواحى الثقافة والعلم ، وكانت مصر فى العصر الذى زارها فيه الصفى الحلى فى عصر هو أزهى العصور فاختلط بعلمائها وأدبائها واستفاد منهم واستفادوا منه فأصبح فى وقت قصير موضع حبهم وتقديرهم وحفاوتهم ولم يزل يعلو نجم سعوده حتى فاجأه القدر المحتوم فى بغداد سنة ٧٥٠ هـ وقد وقع اختلاف فى تاريخ وفاته فبعضهم يزيد سنة وبعضهم يزيد سنتين على ما ذكرناه ولعل اختيارنا هو الاصح •

شعره

كانت فى الحلة فى عصر الصفى نهضة علمية وأدبية بلغت القمة ، كالثورة العلمية والادبية فى مصر وقد قُدِّرَ للصفى أن يقف بنفسه على ما وصلت اليه الثورتان فى الحلة ومصر فكان فى شعره أثر ظاهر من لهيب الثورتين وشررهما وليس بالامر الغريب لمثل الصفى فى رجاحة عقله

وتفهمه للامور وذكائه المفرط أن يأخذ من كنوز الثروة الثقافية أغلى ما تصل اليه يده من لئالىء الشعر ودرر العلم ومن هذا وذاك تهيأ للصفى ما لم يتهيأ للكثيرين سواه من سعة الفكر فأصبح بجدارة ، من أبرز شعراء العلماء وعلماء الشعراء ، له المكانة الممتازة والمكان المرموق ، يقابل بالحفاوة اينما ذهب ، وبالاحترام والتقدير أينما سار ، ولاقى من حسن الوفادة فى مصر وماردين وغيرهما من المدن والاقطار التى زارها ما هو خليق به ، ولكنه فى مصر غيره فى ماردين نظرا لما أسداه الازهر من صنيع مشكور فى الرقى الثقافى والازهر يوم ذاك جامعة علمية ومركز مهم للثقافة عرف للصفى علمه وأدبه فكان موضع عناية العلماء الازهريين وادبائهم ثم توسعت دائرة الاحتفاء به فقربه البلاط الناصرى حتى كان من حاشيته ولما قفل راجعا الى العراق نظم ما بذهنه من انطباعات عميقة عن مصر وعبر عن تلك الانطباعات بشعره الرصين أحسن تعبير ، اما الثقافة فى مصر فكان زعماؤها جديرين برفع رايتها فزعامة العلوم العقلية والفقه والاصول وما شاكلها كانت للازهر والكتابة والانشاء قد عهد بهما الى علاء الدين بن الاثير ، والشعر والخطب ، فلجمال الدين ابن نباتة وكانت لصفى مع كل هؤلاء صداقة وثيقة لم تنقطع حتى بعد رجوعه الى وطنه فقامت المراسلة مقام المقابلة وناب القلم عن القدم فى مساجلات ادبية ممتعة كانت ثروة أدبية لا يستهان بها بما فيها من روائع الوصف ومبتكر الشعر ورائق المديح والتى تشف عما فى نفوس الخليين من طبيعة الوفاء الاصيلة كما تنم عن حسن تواضع هذا الشاعر العالم وحسن عشرته فى شعر حي لانه وليد شعور حي وضمير حي وعصر حي ، هو القرن الثامن الهجرى الذى بلغ فيه النضوج الفكرى الذروة فحلق الصفي فى سماء الشعر بجناحين قويين من موهبته الفنية وثقافته الواسعة فما تكاد تعثر فى شعره على غثاء أو سقط الا نادرا وليس النادر موضعا للقياس .

وان صلته الشعريـة بأبي تمام والبحترى وهم ثلاثتهم من عشـيرة واحـدة كانت أقرب من صلته بهما من ناحيـة النسب والقربى ، فأصبح الصفي وريثهما فى زعامة الشعر العربى ، ووريثهما فى العبقرية والخلود •
وكانت جولاته وتعدد سفراته وضربه فى عرض البلاد وطولها السبب المهم لاصطباغ شعره بالصبغة الطبيعية و سببا مباشرا لهيامه بالطبيعة وبما اودع الله فيها من جمال ملك عليه مشاعره ولبه فوصف وأبدع فى الوصف ولم ينس وصف الطبيعـة حتى فى مدائحـه فتراه حين يمدح السلطـان الملك المنصور مثلا لا ينسى الوصف فيقول :ــ

من نفحة الصور ؟ ام من نفحة الصور ؟
أحييت يـا ريـح مَيْتاً غـير مقبـور

منها :ــ

والريح ترقم فى امواجـه شـبكا ... والغيم يرسـم انـواع التصـاوير
والنرجس الغض لم تُغضض نواظره ... فزهره بـين منغـَض ومـزرور
كأنه ذهب مـن فـوق أعمــدة ... مـن الزمرّد فى أوراق كـافور

ومن الحائيّة الساكنة الملحقة بتاء يقول :ــ

يا نسمة لأحـاديث الحمى شرحت ... كم من صدور لارباب الهوى شرحت

والقافية التى مطلعها :ــ

فى فيروزج الصبح أم ياقوتة الشفق ... بدت فهيّجت الورقـاء فى الورق

والنونية التى استهلها بقوله :ــ

خلع الربيـع عـلى غصون البـان ... حُـلـلا فواضلهـا عـلى الكثبان

ففيها من الوصف الرائع صور تأسـر القلوب وتأخذ بالالباب كأن قريحة الشعرية ريشة رسام فنان تجيد رسم المناظر وتبدع فى التصوير ، وليس ديوانه سوى لوحات رائعة من التصوير الشـعرى الفنى المسرحى من دقة الملاحظـة والمشاهدة ، هى حصيلة ثقافة الشـاعر العبقرى ونتـاج

قريحته الفياضة .

ان الصفي الحلي من أساتذة السيد تاج الدين بن معيّة المتوفى سنة ٧٧٦ هـ كما انه من تلامذة فخر المحققين وقد وقع خلاف بين المؤرخين فمنهم من زعم انه من تلامذة المحقق كصاحب كتاب أمل الآمل مع انه ولد بعد وفاة المحقق بسنة واحدة فأنكروا أن يكون ابن سنة من تلامذة المحقق واذا علمنا انه من تلامذة فخر المحققين لا المحقق ارتفع الاشكال وعندى انه يجوز ان يكون المراد بقولهم الصفى هو سميّه الشيخ صفى الدين محمد بن يحيى بن سعيد الهذلى ابن عم المحقق الحلى المذكور ومن معاصريه .

واما ما ذكره الفاضل السيد حسن الصدر فى كتابه تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٣٠٥ من أن وفاة الصفى الحلى سنة ٦٩٦هـ فهو سهو والصواب انه توفى سنة ٧٥٠ هـ .

نماذج من غزله ونسيبه

أسبلن من فوق النهود ذوائبا ... فجعلن حبات القلوب ذوائبا

وجلون من صبح الوجوه أشعة ... غادرن فَوْدَ الليل منها شائبا

بيض دعاهن الغبى كواعبا ... ولو استبان الرشد قال : كواكبا

سفهن رأى المانوية عندما ... اسبلن من ظلم الشعور غياهبا

ومن غزله :ــ

لا تخشى يا ربع الحبيب همودا ... فلقد أخذت على العهاد عهودا

كم غادرت بغناك يوم وداعنا ... صوب المدامع ان طلبت مزيدا

ولكم سكبت عليك هاطل ادمعى ... فى ذلك اليوم الطويل مريدا

ولقد عهدت بك الظباء سوانحا ... بظلال شعبك والحسان الغيدا

حورا اذا غوزلن كن جآذرا ... واذا أردن الفتك كن أسودا

أخجلن زهر الاقحوان مباسما ... زهرا وضاهين الشقيق خدودا

وله من اخرى :ـ

كيف الضلال ونور وجهك مشرق؟ وشذاك فى الاكوان مسك يعبق
يا من اذا سفرت محاسن وجهه ظلت بـه حدق الخلائق تحدق
أوضحت عذري فى هواك بواضح مـاء الحيـا بأديمـة يترقـرق
فاذا العذول رأى جمالك قال لى : عجبـا لقلبك كيف لا يتمـزق ؟
أغنيتنى بالفكر فيك عن الكرى يا آسرى ، فأنـا الغني المملق
لـولاك ما نافقت أهـل مودتى وظللت فيـك نفيس عمرى انفق
وصحبت قوما لست من نظرائهم فكأنني فى الطرس سطر محلق

صور من حماسته

ولقد أسير على الضلال ولم أقل أين الطريق ؟ وان كرهت ضلالى
وأعاف تسآل الدليـل ترفعـا عـن أن يفوه فمى بلفظ سـؤالى

ويقول أيضا وفيه اللف والنشر المرتب :ـ

سـوابقنا والنقع والسمر والظبـا وأحسابنا والحلم والبأس والبِـرُّ
هبوب الصبا والليل والبرق والقضا وشمس الضحى والطود والنار والبحر

ومن حماسته هذه القصيدة الرائعة وقد خمستهـا وأذيعت من دار الاذاعة العراقية مرتين أولها فى ١١ـ١٢ـ١٩٤٧ وقد التقطتهـا الصحف البغدادية فنشرتها ، واتخذتها بعض المدارس الرسمية نشيدا وطنيا يتـلى صبيحة كل يوم ومن هذه المدارس مدرسة الوثبة فى الحلة واليك الاصل والتخميس :ـ

أَلحقُّ أن العلا من صنع أيدينـا
فأن شككتَ ، فعاين عز ماضينا
ولا تسلنا ، اذا حاولت تبيينـا
سـلِ الرماح العوالى عن معالينـا واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا

فسوف تنبيك تفصيلا صوارمنا

بأننا معشر شاعت مكارمنا

وطالما باء في خسر مخاصمنا

لما سعينا ، فما رقت عزائمنا عما نروم ، ولا خابت مساعينا

على عدانا العلى كانت محرّمة

تأبى العلى فئة رعناء مجرمة

صنا ـ فلسطين ـ كي تبقى مكرمة

بضمر ما ربطناها مسومة الا لنغزو بها من بات يغزونا

ان العدى لم تنل منا مطامعهم

وان أعدوا ظباهم ، أو مدافعهم

فبيضنا أخذت منهم مواضعهم

وفتية أن نقل أصغوا مسامعهم لقولنا ، أودعوناهم ، أجابونا

قد عاينوا غرر العلياء معاينة

لا يعرفون نفاقا ، أو مداهنة

ولم يهابوا ـ انجليزاً أوصهاينة

قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة يوما ، وان حكموا كانوا موازينا

أحسابهم، وظباهم ، لحن مشرقة

وأحرزوا غرر العلياء باسقة

وما مفاخرهم كانت ملفقة

اذا ادعوا ، جاءت الدنيا مصدقة وان دعوا ، قالت الايام : آمينا

هذى هى العرب ، لم تجهل مكارمها

ليست تسالم الا من يسالمها

عجبت ! من آل صهيون تخاصمها

ان الزرازير لما قام قائمها توهمت أنها صارت شواهينا

همـوا الكـلاب أرادت ذلـة السبـع
وذاك امــر محـال قـط لم يقـع
بل كالبغاث التى للجهل ، والطمع
ظنت تأني البـزاة الشهب عن جزع   وما درت أنه قـد كان تهوينــا
نحن الحمـاة ، ففينــا ان دهيت فلذ
ومن يدينـا اذا شئت النـوال فخـذ
أما العــداة فعنـا بالعـلاء تشذ
ذلّوا بأسيافنـا طـول الزمان فمـذ   تحكّموا أظهـروا أحقادهم فينـا
فانظر عدانا تجدهم قـد بغوا وطغوا
وكم هموا نهقوا من جهلهم ورغـوا
جاروا علينـا وما هم للضمير صـغوا
أخلوا مساجـد من أشياخنـا وبغـوا   حتى حملنـا فأخلينا الدواوينـا
فالنصر عن أوجـه الاعــداء منغلق
والذل شاع بهم ، والرعب والفـرق
والسمر مياسـة ، والسـيف ممتشق
وللـدماء عــلى أثوابنـــا علـق   بنشره عن عبـير المسـك يغنينـا
فإن رأى الخصـم منا الموت والتلفـا
فــلا يلم قــط الا نفسـه أسـفا
فمـا اعتــدينا ، ولكن نطلب النصفا
انا لقــوم أبت أخلاقنـــا شـرفا   أن نبتدى بالأذى من ليس يؤذينـا
هذى السجايا عليهـا ظـلّ طابعنـا
هيهـات من أحــد فيهـا ينازعنـا
بأربـع قــد سبقنا مــن يضارعنـا
بيض صنائعنــا ، سود وقائعنـا   خضر مرابعنـا حمـر مواضينـا

يا أيها العرب هيا واحرسوا الوطنا
وعن عيونكم ولتنفضوا الوسنا
صونوا البلاد جميعا فى ظبا ، وقنا
لا يظهر العجز منا دون نيل منى ... ولو رأينا المنايا فى أمانينا

أمثلة من حكمياته

بنو الدنيا فرائس للمنايا ... وناب الموت عنها غير ناب
ومن يغتر فى الدنيا بعيش ... فقد طلب الشراب من السراب

* * *

قناعة المرء بما عنده ... مملكة ما مثلها مملكة
فارضوا بما قد جاء عفواً ولا ... تلقوا بأيديكم الى التهلكة

* * *

لعمرك لا يغني الفتى طيب أصله ... وقد خالف الآباء فى القول والفعل
فقد صحَّ أن الخمر رجس محرّم ... وما شك قوم أنه طيّب الأصل

* * *

تحمل من حبيبك كل ذنب ... وعُدَّ خطاه فى وفق الصواب
ولا تعتب على ذنب حبيبا ... فكم هجر تولد من عتاب

* * *

بقدر لغات المرء يكثر نفعه ... فتلك له عند الملمات أعوان
فسارع الى حفظ اللغات مجاهداً ... فكل لسان فى الحقيقة انسان

الوان من هجائه :

قال النبى مقال صدق لم يزل ... يجرى على الأسماع والأفواه
من غاب عنكم أصله ، ففعاله ... تنبيكموا عن أصله المتناهى
وسفرت عن أفعال سوء أصبحت ... بين الأنام قليلة الأشباه

وتقول : أنك من سلالة حيدر أفأنت أصدق ؟ أم رسول الله ؟

وفى الابيات الاخيرة مغالطة منطقية فأنها تصح فيمن غاب أصله ولم تظهر سيادته فعند هذه الجهالة التامة أمر الرسول ـ ص ـ أن تنظر الى الافعال اما السيد المعروف نسبه وحسبه فلا ينطبق عليه هذا الحديث الشريف فأبو لهب جائت منه أفعال سوء مع انه من شجرة النبوة وجعفر الكذاب ظهرت منه أفعال سوء وهو من ذرية الرسول بلا شبهة •

من اسلوبه الهجائي أيضا :ـ

(طفيل) تقاد بأذنابها وقود الجياد بأرسانها
اذا افتخرت فتية بالرجال ففخر ـ طفيل ـ بنسوانها

* * *

سُمّيتَ عيسى ولم تظفر بمعجزة ولم تشابهه فى علم ولا حسب
ولا أتيت بشىء من فضائله الا بأنك من أم بغير أب

* * *

لما اغتنى أفقدنا نفعه وتلك من شيمة بيت الخلا
يسعى اليه ان غدا فارغا وما به نفع اذ ما امتلآ

صور من وصفه :

فى الشمع أوصاف كوصفي أوجبت حبي له ، والبعد عن أضداده
جريان أدمعه وصفرة لونه وسهاد مقلته وذوب فؤاده

* * *

بحر من الحسن لا ينجو الغريق به اذا تلاطم أعطاف بأعطاف
ما حركته نسيم الرقص من مرح الا وماجت به أمواج أرداف

* * *

خلع الربيع على غصون البان حللاً فواضلها على الكثبان

وهى مطبوعة بديوانه وكذلك قصيدته فى وصف الربيع :

ورد الربيــع ، فمرحبا بوروده ... وبنُــور بهجتــه ونَور وروده
وبحسن منظــره وطيب نسـيمه ... وأنيــق مبســمه ووشـي بروده

وقال يصف الخمرة :

سلاف تميت العقل فى حالة شربها ... وتنعش منا الروحوالجسم والقلبا
محجبّة وسط الدنان ، ونورهـا ... يمـزق من لألاء غرتهـا الحجبـا
اذا مسها وقــع المـــزاج تألمت ... وأزبد منها الثغر وامتلأت رعبـا
وأعجبُ من بكرٍ لها الماء والدٌ ... وترجع أنّى رام تقبيلهـا غضـبى
هى الشمس الا أنهـا فى شروقها ... اذا امتزجت فى كأسها أطلعتشهبا
يعضّ عليهـــا التائبــون بنانهـم ... ويندب كل منهمـوا عقـــله ندبا
اذا ما حسوناها أقــروا بأنهــم ... قد ارتكبوا فى تركها مركبـاً صعبا

وفى الباب الثالث من ديوانه شواهد كثيرة فليراجعها القـــارىء اذا رام المزيد •

طرائف من مدائحه :

فو الله ما اختـار الالـــه محمـداً ... حبيبـا ، وبين العالمين له مِثْـلُ
كـذلك ما اختـار النبى لنفســه ... عليــاً وصياً وهـو لابنته بعــل
وصيّــره دون الانـــام أخـاً له ... وصنواً ، وفيهم من له دونه الفضل
وشاهد عقل المرء حسن اختيـاره ... فما حال من يختاره الله والرسل ؟

* * *

يا عتــرة المختـار يامـن بهـم ... بفــوز عبـــدٌ يتولاهمــوا
أعـرف فى النـــاس بحبي لهـم ... اذ يعــرف الناس بسيماهمــوا

* * *

أمـير المؤمنـــين أراك امـّــا ... ذكرتك عند ذى حسب صغى لي

وان كررت ذكرك عند نغل ... تكدّر باله وبغى قتالي
فصرت اذا شككت بأصل مرء ... ذكرتك بالجميل من المقال
فليس يطيق سمع ثناك الا ... كريم الأصل محمود الخلال
فها أنا قد خبرت بك البرايا ... فأنت محك أولاد الحلال

* * *

ملك يرى تعب المكارم راحة ... ويعدّ راحات الحياة متاعبا
بمكارم تذر السباسب أبحراً ... وعزائم تذر البحار سباسبا
لم تخل ارض من ثناه ، وان خلت ... من ذكره ملئت قناً وقواضبا
ترجى مواهبه ، ويرهب بطشه ... مثل الزمان ، مسالماً ومحاربا
فاذا سطا ملأ القلوب مهابة ... واذا سخا ملأ العيون مواهبا
كالغيث يبعث من عطاه وابلاً ... سبطا ، ويرسل من سطاه حاصبا
كالليث يحمي غابه بزئيره ... طوراً ، وينشب في القنيص مخالبا
كالسيل يحمل منه عذبا واصلاً ... ويعده قوم عذاب واصبا
كالبحر يهدي للنفوس نفائسا ... منه ، ويبدى للعيون عجائبا
فاذا نظرت ندى يديه ورأيه ... لم تلف الا صائبا ، أو صائبا

* * *

لله ملاحك اللبيب وقد ... ابدى لنا من فعاله حسنا
قد حمل البحر في سفينته ... وعادة البحر يحمل السفنا

نبذة من رثائه وهى من القصيدة التى رثى بها النقيب غياث الدين عبد الكريم النيلي المترجم برقم (٥٢) مثبتة بديوانه :

هو الدهر مغرىً (بالكريم) وسلبه ... فأن كنت فى شك بذاك فسل به
أرانا المعالي كيف ينهد ركنها ؟ ... وكيف يغور البدر من بين شهبه
أبعد (غياث الدين) يطمع صرفه ... بصرف خطاب الناس عن ذم خطبه ؟
وتخطو الى (عبدالكريم) خطوبه ؟ ... ويطلب منا اليوم غفران ذنبه ؟
سليل النبى المصطفى وابن عمه ... ونجل الوصي الهاشمى لِصُلبه

فتى كان مثل الغيث يخشى وباله ويرجى لطلاب الندى وبل سحبه
رقيق حواشي العيش فى يوم سلمه كثيف حواشي الجيش فى يوم حربه
فلا يتقي الأسياف الا بوجهه ولا يلتقي الأضياف الا بقلبه
ولا ينظر الاشياء الا بعقله ولا يسمع الاخبار الا بلبه
اذا جال فى يوم الردى، قيل: من له؟ وان جاد فى يوم الندى قيل: من به ؟
أمن بعد ما تمت محاسن بدره ودارت على كل الورى كأس حبه ؟
دهته المنايا وهى فى حد سيفه وصرف الليالي وهو من بعض حزبه
كأن لم يقدها كالأجادل شزياً ويرفع قب الليل من نقع قبه
ولم يقرع الاسماع وقع خطابه ولم يطرق الهيجاء موقع خطبه
ولا كان يوم الدست صاحب صدره وللجيش يوم الحرب مركز قطبه
ولم أر مثل اليوم ليث عريكة أذاقته طعم الموت عضة كلبه
ولو كان ما بين الصوارم والقنا وفوق متون الخيل ادراك نحبه
لكان جميل الذكر عن حسن فعله ينفس عن قلب الفتى بعض كربه

والقصيدة كلها خالية من التعقيدين اللفظى والمعنوى تفيض سلاسة وسهولة تعبير اكتفينا بهذا القدر منها لوجودها فى ديوانه •

آثاره :

من آثاره المهمة ديوانه فى ثلاثة مجلدات ، ودرر النحور فى مدائح الملك منصور ، وكتاب الانوار المضية فى الحكمة الشرعية ، وهو كتاب جليل القدر فى عدة مجلدات ، له تلامذة منهم السيد تاج الدين ابن معية والشيخ حسن بن سليمان الحلى ، ولولا ان الفاضل جواد احمد علوش قد كتب عن الصفى الحلى كتابه ـ شعر الصفى ـ والكتاب مطبوع لتوسعت فى ترجمة الصفى الا انه لم ينصف الصفى وقد ناقشناه فى كتابنا الخطى ـ مناقشات ومداعبات ـ الذى عزمنا على طبعه قريبا انشاء الله •

٥٨ ـ أبو القاسم علي الحلي

فرع زاك من شجرة ـ آل المطهّر ـ المطهرة التى فاح عاطر ذكرها عند ترجمتنا لسديد الدين برقم (٤٣) وتطرقنا لقبسة منيرة من تاريخها المشرق وجدير بتاريخ هذه الاسرة الكريمة أن يحتل الصفحة الاولى من سفر المجد والخلود ، ولاجل توقى ملل التكرار لم نعد الى الاطالة فى هذا المبحث فنقول :ـ

ان أبا القاسم المفيد الملقب بالامام شمس الدين علي بن السعيد الهمام محمد بن الحسين بن علي بن المطهّر من اكابر تلامذة العلامة الحلي وشريك سديد الدين والد العلامة فى قراءة ـ ما لا يحضره الفقيه ـ وما لا يحضره



صورت مدرسة الرشاد الابتدائية للبنين فى الحلة وقد حازت الاولية فى مدارس اللواء فى امتحانات هذه السنة وهى من معامل الثقافة فى الحلة ولمديرها الاستاذ السيد أحمد عباس ومعلميها فضل كبير فى خدمة الحقل الثقافى .

الفقيه من كتب الامامية الجليلة ويعتبرونه من الصحاح الاربع التى عليها مدار مباحث الفقه الجعفرى لمصنفه ابن بابويه الشهير بالشيخ الصدوق قدس سره توفى بالرى سنة ٣٨١ هـ كما انه قد زامل نحو (٥٠٠) مجتهدا من شركائه فى الدرس عند العلامة الحلي كرضى الدين علي بن احمد وفخر المحققين وأحمد بن محمد بن الحداد وقد وصفه صاحب كتاب ـ رياض العلماء ـ بقوله (وقد كان هذا الشيخ ووالده الشيخ محمد بن حسين المذكور أيضا من أفاضل العلماء كما يظهر من مطاوى اجازة الشيخ فخر الدين المذكور للشيخ زين الدين علي بن الشيخ عز الدين حسن بن أحمد بن مظاهر) ولعله كما يظهر لبعض المترجمين انه من أسباط العلامة الحلي ، وعلى كل حال فهو فرع نضر من تلك الشجرة الطيبة التى اصلها فى الارض وفرعها فى السماء •

٥٩ ـ الشيخ رضي الدين

هنالك قرائن كثيرة تدل على تفوق صاحب الترجمة على كثيرين من رجال الفكر الاسلامى وانه قد ساهم فعلا بقسط وفير من الحقل الثقافى وخدم الدين من طريق العلم خدمة مشكورة وبسبب جهاده العلمي وجهوده الاصلاحية احتل مكانه الاجتماعى اللائق وقد وجد له فى الحلة تربة خصبة لبذر بذور الاصلاح فشمر عن ساعد الجد قائما بواجبه الدينى خير قيام •

ان هذا الشيخ الجليل هو رضى الدين علي بن الشيخ سديد الدين يوسف بن علي بن محمد بن المطهر اخو العلامة الحلي علما وأدبا وحسبا ونسبا ، كان ـ رحمه الله ـ من علماء الحلة الافاضل والفقهاء الذين ساروا فى المقدمة حتى اشتهر ذكره وذاع صيته فى البلاد وأصبح موضع احترام الناس واكبارهم فخضعت لأوامره الرؤساء والزعماء فان كان مركزه المالى

متواضعا فقد كان نفوذه واسع النطاق ولا ينكر أحد جميل مساهمته الفعلية بترقية الشؤون الاجتماعيــة فى نشاط كبير ملحوظ ولولا وجود أخيــه ـ العلامة الحلي ـ لاحتل مكانة أرفع بحيث لا ينافسه عليها أحد وهكذا سنة الله فى خلقه فنرى الشمس تحجب أشعة القمر وان كان للقمر نور وهاج وشعاع هادىء بهيج •

يكنى الشيـخ رضى الدين صاحب هذه الترجمة بأبى القاســم حينا وبأبى الحسن تارة اخرى الا أن كنيته الثانية أشهر ، له مؤلفات وتصانيف جديرة بالاهتمام ضاع مع الاسف اكثرها ، ومن مصنفاته المطبوعة كتاب العُدد القوية لدفع المخاوف اليومية ، يروي عنه ابن أخيه فخر الدين محمد ابن الحسن بن يوسف ، كما يروي عنه ابن اخته السيد عميدالدين عبدالمطلب الذى اشتهرت به السادة العميديون ، ورضىالدين موضوع بحثنا هذا هــو غير رضى الدين علي بن المطهّر ، فقد كان هذا الاخير أيضا من مشــاهير علماء الحلة ومن بيت المطهّر نفسه ذلك البيت العريق فى المجد والسؤدد والشرف ، وقد سبق لنا أن تحدثنا لك عن هذا البيت الجليل والاسرة الكريمة ونظن ان فى ذلك ما يكفى عن العودة فى الموضوع مرة اخرى •

٦٠ ـ العتايقي

قد تحسب من نوع الخيال الشعرى ما سأحدثك به عن كفاءات هذه الشخصية العلمية الفذة ولكننى لم أكن مسرفا أبدا عند تقديرى للواقــع التاريخى ولذلك سيكون تحدثي عنها بما لا يقبل اللبس والمكابرة • فالعتايقى أوشكت أعماله الجليلة أن تنطق قبلى باكباره واجلاله ، وأعماله وحدها هى التى فتحت له منافذ الشهرة ومهّدت له طريق الخلود • وهى وحدها التى جعلت العبقرية تفتح له مسالكها ، وهى وحدها التى جعلت الالسن تنطق بتمجيده والكتب التاريخية تزدان باسمه ، وتشيد بذكره • ورجل كالعتايقى

ممتاز بكفاءاته المتعددة والخصوبة الذهنية خليق بالاكبار والتعظيم فهو من الرؤساء الاجلة والعلماء الافاضل والشعراء الالباء ، ارتدف ظهر النجم فى علو الهمة ، وأزرى بالمسك فى طيب الاخلاق ، هو باقة ندية شذية من روضة الكمال يأسرك منظرها ورواؤها ، ويعجبك شذاها وأريجها ، أخذ من كل نوع من الكمالات بنصيب ، قوى العقيدة والشخصية والاخلاق والهمة ، قوى القلب والعضل ، قوى الحجة والعبارة والبيان ، قوى الايمان والاسلام ، وثيق العزم صبوح الوجه ، مهذب الطبع رضى النفس تجسم فيه الكمال بأكمل معانيه •

من هذه الصفات النبيلة تكونت شخصية ـ العتايقى ـ المعروف بالشيخ كمال عبدالرحمن بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن يوسف ابن العتايقى الحلى نسبة الى العتايق وهى من القرى الملاصقة الى الحلة التى لا زالت معروفة بهذا الاسم حتى اليوم الا أن العامة حرفوا ـ القاف الى جيم ـ فيقولون ـ العتايج ـ تقع شرق الحلة على جانب الفرات الايسر وهى لشدة قربها من الحلة تحسب أحيانا من بعض محلاتها أكثر أبنيتها من الطين وجذوع النخل وأكثر أهلها يشتغلون بالفلاحة وهم أهل قوة ونشاط واستقامة فى المعاملة •

نشأ ـ العتايقى ـ نشأة صالحة فى بيئة صالحة وبيت صالح فتحلى بحلية العلم والادب فكانت له معرفة تامة بعلم الفقه واطلاع واسع بأصوله ، متضلع بالعلوم اللسانية ، متقن للعلوم العقلية والكلام المعبّر عنه بعلم التوحيد وقد سجل علومه هذه بمؤلفاته ومصنفاته النفيسة التى يجيىء فى مقدمتها كتابة ـ صفوة الصفوة ـ فرغ من تأليفه سنة ٧٨٧هـ ويأتى بعده ـ مصباح الارواح ـ الفه سنة ٧٣٢هـ كما تصدى الى شرح ديوان المتنبى وفرغ منه سنة ٧٨١هـ وصنف كتابه ـ تجريد النية من الرسالة الصخرية ، وله كتاب المنتخب فى لباب الادب ـ ألفه سنة ٧٧٦هـ وهو كتاب أدبى جليل وله أيضا كتاب ـ مختصر أوائل أبى هلال العسكرى ـ فرغ منه سنة ٧٥٣هـ وهو

كتاب جيد يحتوى على فنون غالية من علم الكلام والحكمة والرياضيات والطب والادب والفقه والاصول فهو موسوعة نفيسة ودائرة معارف قليلة النظير أما كتابه شرح الشمسية ، فبديع الاسلوب ، ومثله كتابه ـ شرح الكافية ـ لمصنف حكمة الاشراق ، وكتاب تسليك الافهام وشرح معرب الزبدة ، وشرح نهج البلاغة فرغ منه سنة ٧٨٠هـ وقد اتهمه المغرضون فزعموا انه أغار فى كثير من أبواب كتابه ـ شرح النهج ـ على أبواب شرح النهج لابن ميثم ، واننا نستبعد ذلك غاية الاستبعاد ولعدم وقوفى على الشرحين للمضاهاة والمقارنة لم أستطع أن أعطى حكما فى السلب أو الايجاب حول هذه التهمة التى لم يعضدها صاحبها ببرهان والذى أظنه فى العتايقى عدم هذه الاغارة لاكتفائه الذاتى ورسوخ قدمه عى العلم والادب ، وللعتايقى رسالة فى الدلالة لابى الحسن على بن محمد البندهى استنسخها سنة ٧٧٨هـ قد حدثناك عنها ص ٧٤ من هذا الكتاب . ومن آثاره كتاب الايضاح والتبيين في شرح منهاج اليقين للعلامة الحلي أعلى الله مقامه وللعتايقى كتب كثيرة اخرى منها الشروح الثمينة ككتاب التشريح ومن أجل ثروته العلمية والثقافية الطائلة لا يستطيع المنصفون الا أن يضعوه فى رأس قائمة المفكرين ورسل الثقافة فى القرن الثامن .

ان العتايقى معاصر للشهيد ولبعض تلامذة العلامة كانت له ميول شديدة الى تفهم الحكمة ودراسة التصوف الذى هو نوع خاص ليس على النحو الشائع المعروف وقد جعله البحاثة أغا بزرك الطهرانى النجفى فى ج ٤ ص١٨٤ من ذريعته من بعض تلامذة العلامة الحلى وليس ذلك بالامر الغريب فقد توفى العلامة سنة ٧٢٦هـ وقد الف العتايقى كتابه المصباح سنة ٧٣٢هـ أى بعد وفاة العلامة بست سنوات ومثل هذا الكتاب لا يقوم بتأليفه صبى ابن ست سنين فلابد أن يكون الفه وهو فى سن تؤهله لان يكون من تلاميذ العلامة وهناك ـ عتايقى آخر هو الشيخ محمد بن على بن أحمد ابن

أبى الحسن العتايقى من جملة شيوخ السيد بهاء الدين عبدالحميد النجفى وأما المترجم له ، فهو الشيخ عبدالرحمن بن ابراهيم والمنقول عنه أنه قال (قال العبد الفقير الى رحمة الله تعالى عبدالرحمن بن ابراهيم العتايقى بأنى كنت أسمع فى الحلة السيفية حماها الله تعالى بأن المولى ـ الزهدرى ـ كان به فلج فعالجته جدته لابيه) ثم ذكر السيد بهـــاء الدين المذكور فى عرض الحكاية انه (حصل بينى وبينه صحبة ـ أى بينه وبين ـ الزهدرى (حتى كنا لم نفترق) مما يدل انه من مستوى الزهدرى ونظرائه •

٦١ ـ الكاشاني

الكاشانى ، أو القاشانى ، من علماء الحلة ومجتهديها مجاز من العلامة الحلى أعلى الله مقامه سنة ٧١٣هـ وبقى يصاحب العلامة بعد اجازته ثلاثة عشر عاما ثم كانت فجيعة الاسلام بوفاة العلامة قدس سره وبقى الكاشانى نجما يستضاء بهديه وهو المكنى بأبي الحسين أو بأبى يوسف على القاشانى الحلى قال فيه بعض من تصدى الى تراجم الاكـــابر من الناس (انه من أجلـــة متأخرى المتكلمين وكبار الفقهاء معاصر للقطب الرازى المتوفى سنة ٧٦٦هـ ونقل عنه القاضى نور الله التسترى فى كتابه الموسوم ـ بمجالس المؤمنين ـ ما فحواه أن ولادة هذا العالم الجليل كانت بمدينة كاشان من مدن ايران الا انه هاجر الى العراق واختار الحلة الفيحاء دار اقامته فاستوطنها ، وكان تثقيفه من البداية الى النهاية فيها انتهى •كان متوقد الذهن صافي السريرة كبير النفس عالى الهمة له آثار فكرية ومصنفات من أجودها كتابه الحاشية ، على شرح التجريد للاصفهانى وله شرح طوالع القاضى البيضـــاوى وحاشـــية شرح الشمسية وغيرها • والكاشانى ساهم فى النهضة الفكرية فى عصره وكان فى طليعة رواد العلم كان كتابه ـ الحاشية على التجريد ـ بمثابة طلقة نارية فى قلب الجهالة والضلالة وهو من ناحية الحزم والعلم وعلو الهمة كبير

الشبه بسميه السيد أبو القاسم الكاشانى المعاصر ممن حضر الدرس على حجة الاسلام السيد صالح السيد حمد الحلى فكان فاضلا مبرزا بين تلامذته ثم دفعه طموحه وكفاءاته الى خوض ميادين السياسة فكان صوته مدويا فى حقل السياسة العراقية فى ثورة العشرين ، والايرانية فى قضية اسيلاء ايران على شركة النفط الايرانى وطرد الانجليز وشركات النفط من أكبر الركائز الاستعمارية وكانت هذه الخطوة الجريئة أعنف صدمة للمستعمرين فى وزارة مصدق التى كان الدكتور فاطمى وزير خارجيتها ثم وقف بينه وبين مصدق خلاف لتقارب مصدق من الجهة اليسارية ومهادنته حزب ـ تودة ـ العميل وقد توفى أبو القاسم الكاشانى قريبا فخسرت ايران والعالم الاسلامى فى موته مصلحا من أكبر المصلحين قام بواجباته الدينية والوطنية أفضل قيام أسكنه الله فراديس جنانه وجزاه عن جهوده الجبارة خير جزاء .

٦٢ ـ ابن البقال ٧٠٨ ـ ٧٨٨ هـ

ان من عرف فى حياته حرية العقل وحرية الروح ليس يعجزه النجاح فى حياته العملية فان أكثر من نجحوا فى حياتهم هم من نشأوا على هذه الحرية فدخلوا دائرة أعمالهم بهمة عالية وصراحة ونشاط وتقدموا فى أعمالهم وأحرزوا فيها النجاح المطلوب وشمس الدين محمد بن الحسين الحلى المشهور ـ بابن البقال ـ واحد من هؤلاء الافذاذ الذين قدروا لحرية العقل والضمير والروح حق قدرها كان مولده فى الحلة الفيحاء وعاش تحت سمائها الضاحكة ونشأ وترعرع فى انديتها العلمية ومحافلها الادبية حتى أصبح من عداد شخصياتها البارزة تعلم الادب وفنونه ومهربه ونظم الشعر وعالجه فأجاد فيه ثم سافر الى حلب الشهباء ومدح أهلها كان معاصرا لمجد الدين أحمد بن على بن الحسن بن خليفة البغدادى الاصل ، الحلى المسكن والدراسة والتحصيل المولود سنة ٦٩١هـ وكان من تلاميذ العلامة

الحلى الناجحين فى العلوم والمعرفة وقد ذهب الى دمشق كما ذهب سميه الى حلب فانتفع به خلق كثير وتوفى سنة ٧٦٥هـ ويعرف بابن البقال الحلى أيضا اقتبسنا ترجمته بايجاز وتصرف من كتاب ـ تاريخ العراق بين احتلالين ـ للبحاثة الفاضل عباس العزاوى ص ١٢٠ ج٢ ومن مصادر اخرى • أما ابن البقال المترجم له ، فقد ولد سنة ٧٠٨هـ وتوفى سنة ٧٨٨هـ وهو القائل فى ذكر نيل الحلة :ـ

يا صاحبيَّ بأرض النيل لى قمرٌ	جمال بهجته أبهى من القمر
وردُ الخدود ، ورمان النهود على	بانِ القدود ، به قد عِيل مُصطبرى

وعند اثبات هذين البيتين بدا لى تشطيرهما فقلت :ـ

(يا صاحبيَّ بأرض النيل لي قمر)	الناس تعزوه من جهل الى البشر
ما قلت ذا قمر لما رأى بصرى	(جمال طلعته أبهى من القمر)
(وردُ الخدود ورمّان النهود على)	قتلي تظافرنَ حتى صرتُ فى خطر
كيف السلوّ ورمّان النهود على	(بانِ القدود به قد عيل مصطبرى)

٦٣ ـ محمود بن سالم الشيباني

كما أن الجبال أوتاد للارض وخزانات للماء فالعلماء فى كل عصر، هم أوتاد الامة وخزانات شرفها وسؤددها يحفظونها من الضعة ويصونون كرامتها ، وكما أن الكواكب زينة السماء وأمانٌ لاهل الارض فالعلماء زينة العصر وأمان الامة من مهاوى الجهل والضلال ومزالق الرأى يقدمون للبشرية ثمرات جهودهم العقلية وباقات شذية من السمو الروحى والتقدم والارتقاء • ومهذب الدين محمود بن يحيى بن محمد بن سالم الشيبانى الحلى من أشهر هؤلاء العلماء الذين أفنوا زهرة حياتهم فى الحقل الفكرى والتتبع العلمى قد بذل جهودا جبارة فى خدمة الثقافة سواء من ناحية التدريس أو التأليف والتصيف فقد كان استاذا ناجحا فذا وهو من مشائخ أبى عبدالله السيد تاج

الدين محمد بن القاسم بن معية الحسينى الديباجى استاذ الشيخ الشهيد والمتوفى سنة ٧٧٦ هـ قال فى وصفه صاحب كتاب روضات الجنات (بالفقيه الصالح الاديب النحوى) ووصفه مصنف كتاب ـ الفوائد الرضوية ـ (بالشيخ العالم الفقيه الصالح الشاعر الاديب المنشىء البليغ) وأخبر أنه يروى عنه ابن معية وقال فيه صاحب كتاب أمل الآمل انه (كان فقيها عالما صالحا شاعرا اديبا منشئا بليغا يروى عنه ابن معية) والاعجوبة التى تستلفت الافكار ان يبرز أمثال الشيبانى والصفى الحلى بالادب الجيد والشعر المقبول والآثار العلمية والادبية بأسلوب رائع بليغ فى عصر كانت فيه اللغة العربية تعانى الفساد قد زاحمتها اللغة التركية فأثرت فى تراكيبها ومفرداتها الأثر السيىء وكأن الله أرسل هذه الفئة من الناس لحفظ تراثنا العربى والاسلامى والا لضاعت تلك الكنوز .

فالشيبانى من أئمة الادب كما أجمعت التراجم على ذلك ونعته بالأحاطة والاجادة فى علم النحو واللغة والفقه . أما فى الشعر فأنه ينحط عن درجة شعراء الطبقة الاولى بل والثانية ولذلك لا يمكننى أن أوافق صاحب كتاب ـ روضات الجنات ـ فى مبالغاته المفرطة التى قد يكون باعثها عدم معرفته بالشعر وعدم ممارسته لفنونه والا فأية مصلحة له بهذه المبالغة التى تعرضه الى النقد ؟ فالرجل حين ارتضى القصيدة الهمزية التى سنذكرها قريبا اما لموافقة موضوعها لرغبة فى نفسه أو لاشتباهه بأنها من الشعر الجيد أفرط فى مدحها والقصيدة المقصودة هى التى نظمها ـ الشيبانى ـ فى رثاء شمس الدين ابن وشاح فزعم ـ عفا الله عنه ـ أنها خريدة فريدة (قلما يوجد مثلها فى المراثى) ولعل قوله هذا يوافق الواقع فأنه لا يوجد مثلها فى الركة وضعف التعبير وقد يكون نظمها ارتجالا دون معاودة الفكرة فيها فجائت معبرة عن شعوره دون أن تعبر عن شعره وليس كل الساعات مؤاتية للنظم الجيد فقد تنبو قريحة الشاعر الفحل فلا يستطيع النظم أصلا أو يجيء بالشعر

الركيك فكانت هذه الجملة ـ قلما يوجـد مثلها في المراثي ـ من باب ليت عينيه سواء ، لو لم تكن القرائن الاخـرى تقتضي ارادة المدح ودونك ما وجدناه من هذه القصيدة :ـ

عز العزاء ، فلات حين عـزاء ... من بعـد فـرقة سيد الشـعراء
العـالم الحبـر الامام المرتضى ... علم الشريعـة قـدوة العلمـاء
أكذا المنون تهـد أطواد الحجى ؟ ... ويغيض منهـا بحـر كل عطـاء
ما للفتـاوى لا يُرَدّ جوابها ؟ ... ما للدعـاوى غطيت بغطـاء ؟
ما ذاك الا حـين مـات فقيهنـا ... (شمس) المعالى أوحد الفضلاء
ذهب الذى كنـا نصـول بعـزه ... ولسانه المـاضى على الاعـداء
من للفتـاوى المشكلات يحلها ؟ ... ويبينهـا بالـكشـف والأمضـاء
من للكـلام يبـين من أسـراره ... معنى الحقيقـة خـالق الاشـياء ؟
من ذا لعلم النحـو واللغـة التى ... جائت غرائبهـا عن الفصـحاء ؟
من للعروض يبين من أسراره الـ ... ـخافى ؟ ومن للشعر والشعراء ؟
ما خلتُ قبل يُحَطّ فى قعر الثرى ... أن البـدور تغيب فى الغبـراء
أيموت (محفوظ) ؟ وأبقى بعده ؟ ... غـدر لعمـرك موتـه وبقـائى
مولاى ـ شمس الدين ـ يافخر الملا ... ما لي أنـادى ؟ لا تجيب نـدائى

هذا نموذج من القصيدة التى زعم صاحب الروضات قلة وجود مثلها فى الشعر كأنه لم يطلع على مراثى فحول الشعراء كالصفى مثلا وهـو من أصدقائه حتى كانا يتبادلان الرسائل الادبية ومن هـذه الرسائل قصيدة الشيبانى الزائية التى مطلعها :ـ

عبد العـزيز ، عليّ أنت عـزيز ... ولمجـدك التعظـيم والتعـزيز

وهـذه ترتفع عن مستوى الهمزية ولكنها لم تتخط متوسط الشعر ايضا وقد انبرى الصفى الحلى الى اجابته بقوله :ـ

من لي بقربك ؟ والمزار عزيز طوبى لمن يحظى به ويفوز
فلو استطعت رفعت حالي نحوكم لكنّ رفع الحال ليس يجوز
يا أيها الشيخ الذي آراؤه حرز لنا ، في النائبات حريز
عرض العروض فلم ترعك دوائر منه ولم تشكل عليك رموز
وكذا اقتفيت من القوافى اثرها فأطاعك المقصور والمهموز
وضربت نحو(النحو) همّة أوحدٍ اضحى له فى (حاله) (تمييز)

وترى فى البيت الثانى تورية بارعة تشبه التورية البارعة فى آخر الابيات وهذه الابيات نظمها الصفى وهو فى (ماردين) وأرسلها جوابا على أبيات صديقه الشيبانى الذى نحن الآن بصدد ترجمته ، كما أرسل الصفى قصيدة اخرى رائية للشيبانى يصف له بها حالته فى ماردين وما نال فى ظل حكامها من عز ووجاهة ويتشوق بها الى وطنه ومسقط رأسه ـ الحلة ـ ويتودد بها الى اخوانه فيها ويقول فى بعضها من البحر الطويل :

أخلاى بالفيحاء ان طال بعدكم فأنتم الى قلبى كسحريَ من نحرى
وان يخل مَن تكرار ذكري حديثكم فلم يخل يوما من مديحكموا شعرى

ومنها :ـ

اطالب نفسى بالتصبر عنكموا وأوّل ما أفقدت بعدكموا صبرى

ومن مديحها :ـ

فيا أيها المولى الذى وصف فضله يجل عن التعداد والحد والحصر
أبثك بالاشعار فرط تشوقى ولا أتعاطى حصر وصفك فى شعرى

ومنها :ـ

أسوق الى البحر الخضم جواهرى وأهدي الى ابناء بابل من سحرى

٦٤ ـ محمد بن كحيل

نشأ ابن كحيل وموكب النهضة الفكرية قد ألقى رحاله فى الحلة

الفيحاء واستقرت فى ربوعها قافلة الثقافة تغـــذي ذلك المجتمع البشرى الواعى بمقومات التطور الرشيد فمضى كما شائت العناية الالهية فى هـــذه النهضة الفكرية الى أبعد الحدود • فلو مثلت هـــذه النهضة الفكرية جسما لكان العلم عقلها الواعى والشعر قلبها الحساس والفن الكتابى أصلب أعصابها ولكان التطور الاجتماعى ما تبقى منها من اعضاء • فلأجل ادراك حقيقـــة تلك النهضة يجب أن تدرك ذلك كله ادراكا تاما وحينئذ تستطيع أن تعرف فضل ما وصلت اليه الحلة فى ذلك العهد المضىء من المدينة واسهامها فى ذلك التراث الانسانى العظيم من ابداع تارة ومن تنقيح وتشذيب تارة أخــرى يمكن أن يعبر عنه بكلمة واحدة هى ـ الجبروت ـ • أما العلم فقـد عرفت تصعيده وتطوره من وفرة العلماء المجتهدين اللامعـين حتى كان للعـــلامة الحلى وحده نحو (٥٠٠) تلميذا كلهم بلغ رتبة الاجتهاد • واما الشعر فقـد انتجت تلك الحقبة الزمنية امثال الصفى والشفهينى وابن حميدة والسنبسى والحمصى وشميم النحوى والحيمى وابن الدربى والشيبانى وابن عقيـــل التاجر وابن بطريق وسالم بن محفوظ وابن البقال ذلك الموكب الشعرى الطويل الذى يبتدىء مسيرته الكبرى من نقطة مبدأ تأسيس الحلة واستمر عنفا وشدة حتى القرن الثامن وحقبة من القرن التاسع ثم أدركه عناء السفر الطويل فتباطأ حينا واشتد حينا فى مسيرته التطورية وكان الفـــن الخطابى والكتابى يواكبه ويسايره فى هذا الطريق الطويل •

وُلد الشيخ شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن كحيل ابن الشيخ سلطان العارفين ـ جاكير ـ بن ـ ناكير ـ الكردى الأدرازى الحلى المعروف بأبن نعيم ولما فتح عينه رأى الثقافة فى الحـلة فى كل ناحيـة من نواحيها وبكل جهة من جهاتها لانها جزء من مفهوم الحلة كالكهربائية سارية فى كل أوصال الكون لأنها جزء من طبيعة الكون فلم يضع بصره على أية جماعة فى الحلة الا ويرى العلم والشعر والادب يدور على ألسنتها وهـــو

محور حديثها على الدوام فى طابع استطرادى متقدم فى نمو وارتقاء فصهرته تلك المجالس الفكرية الراقية ببوتقتها وطبعته العروبة بطابعها فأصبح أبو نعيم الكردى وكأنه من ابناء يعرب وقحطان فتلقن فى الحلة علومه ومعارفه حتى أصبح معدودا من فقهائها وأكابر شعرائها المجيدين وهو صاحب ديوان المدائح الكبير الذى رتبه على جميع الحروف الهجائية وسماه (شرف المزية فى المدائح العِزّية) والديوان كله عبارة عن مجموعة مدائح فى الصاحب الصدر عز الدين ابى محمد الحسن بن الحسين ابن نجم الدين مظفر ابن ابى المعالي بن العروى بن قيصر الاسدى الحلى وقد دعاه فى أول خطبته بـ (نزهة الجليس وفرحة الأنيس) فرغ منه سنة ٦٩٥هـ وهذا الديوان قد مدحه العلامة الحلى وقرظه فقال فى جملة تقريظه (لقد أحسنت ايها الشيخ العالم الفاضل البارع النحرير اللقن الفصيح العلامة المحقق ملك العلماء شمس الملة والدين فيما نظمته) الخ .. ولا يعسر على القارىء الفطن ادراك قيمة هذا الرجل الفكرية من خلال هذه الكلمات القليلة التى جرى بها يراع العلامة فى حق ابن كحيل لأنه يدرك بنفسه ما لأبن كحيل من منزلة ثقافية ادراك مشاهدة واختبار ومثل العلامة الحلى يعني ما يقول ولا يرسل الشهادات العلمية جزافا كما تعطى فى عصرنا لمن يستحق ولمن لا يستحق فكانت جناية من يعطي هذه الشهادات من العلماء المتساهلين أكبر جناية تاريخية ودينية فقد قللوا بتلك الشهادات المزيفة من قيمة العلماء الحقيقيين حتى اقتضى لأحد العلماء الافاضل أن يبرز شهادته العلمية الى وجيه فأجابه الوجيه متهكما (شهادتك هذه من فابريقة الشهادة التى أعطاها الشيخ فلان الى فلان الحلى المرابى العامى) فذهب العالم وقلبه يكاد يتفطر من شدة أسفه على هذا التدهور الخلقى الوبيل . ولا زالت أمثال هذه الشهادات المزيفة تعطى للعوام وأشباه العوام رغم انكار المجتهدين المصلحين على هذه البدعة كما فعل المرحوم السيد محسن الامين العاملى فى التنديد بهؤلاء

المتساهلين فى كتابه أعيان الشيعة ولكن ..

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

فانا لله وانا اليه راجعون والعاقبة للمتقين .

٦٥ ـ فخر المحققين ٦٨٢ ـ ٧٧١هـ

لقب ضخم فخم ولكنه يلتحم التحاما عريقا وثيقا بشخصية صاحبه ويتصل اتصالا وطيدا بعلمه وثقافته وهما الفيض الفكرى العظيم الذى تفجر فأرتوت بمعينه رجال العلم وأقطاب الفكر .

انه لقب عظيم ، الى شخصية عظيمة لا يسع المنصف أن يقف منها الا موقف الاجلال والاكبار أمام هيبتها وعظمتها لما لها من أثر بليغ فى سير موكب الحياة العلمية الهادر بطريق النور طريق الكواكب والشهب .

نقول ذلك واثقين من صحة هذا القول دون أن نلاحظ من الآخرين مقاومة تتحدانا أو تدفعنا الى شيء من الشك والارتياب فقد وصفه بالنبوغ العلمى وسعة الفكر كل من ترجمه وكتب عنه والآن بين أيدينا كتاب ـ أمل الأمل ـ وهو يحدثك عن هذا النابغة الجليل بما تتأكد منه صحة ما قلناه فيه من مديح فقد جاء فى هذا الكتاب انه (محمد أبو طالب ابن الحسن ابن يوسف بن علي بن المطهر ، كان فاضلا محققا مدققا فقيها ثقة جليلا ، يروي عن أبيه العلامة وغيره) كلمات على وجازتها كافية أن تعطينا فكرة صادقة عن عظمة شخصية ـ فخر المحققين ـ النادرة اللامعة فوصفته بالفضل بمدلوله الواسع وبالتحقيق الشامل وبالتدقيق العلمى الدقيق ووصفته بالورع والتقوى فقالت انه ـ ثقة ـ ثم وصفته بالجلالة الاجتماعية وهى من أرفع القاب الملوك .

وصاحب ـ روضات الجنات ـ فى ترجمة ـ المحقق قال (ونقل بعض علماء الشافعية انه رآه مع أبيه فى مجلس السلطان ـ خدابنده ـ

فوجده شابا عالما فطنا مستعدا للعلوم ، ذا أخـلاق رضية ربي في حجر أبيه) الخ .. وقد أكد لنا كثير من المترجمين ومن هـؤلاء الفاضل القمي فى كتابه ـ الكنى والألقاب ـ بأن فخر المحققين قد فاز بدرجة الاجتهاد فى السنة العاشرة من عمره الشريف ، ولعل هـذا من المبالغات فنفسى لا تكاد تطمئن الى صحة الرواية ولكن لا نجزم بعدم امكانها فالله تعالى قد أودع فى بعض الناس قوى روحية طاغية لتصفع الماديين الملاحدة كالطفل عادل شعلان فى الصف الخامس الابتدائى وقد منحه الله قوة لا ارادية تظهـر بها له حلول أعوص المسائل الحسابية التى لا يستوعبها عقله بحيث اخطأت الآلة الحاسبة وهو لم يخطىء وقد سبقها بالجواب ولما سئل أجاب بأنى أرى جواب المسألة يتمثل أمام عينى وقضيته مشهورة فلعل فخر المحققين أعطي موهبة لتفهـم القضايا العلمية الدقيقة وهو فى سن مبكر كما أعطي عادل شعلان موهبتـه الحسابية العجيبة وهذا الامر ممكن الوقوع ، ومعنى الممكن ما جاز حصوله واستبعادنا لا ينفى وقوع الأمر ولكننا نقول حسب العادة لا حسب شـواذ الامور ان هذا السن لا يمكن لأحاطة المرء لدراسة علم النحو وحده لـو فرضنا انه بدأ يتعلم من يوم ولادته وهنـاك احتمال ان الناسخ أضاع فى محبرته لفظـة (تسعة) سهواً وكان الاصل (تسعة عشرة) والله العالم بواقع الامور .

فخر المحققين ، فخر المحققين عمل جاهدا على تطور الوعى الثقافى مقتديا بسيرة أبيه وجده وبالمحقق الحلى خال أبيـه ومتأثرا بتلك الموجـة الثقافية العارمة فى عصره حتى أصبح أبوه العلامة الحلى فخوراً بتحصيـله العلمى معجبا بفكره المستنير ونضوجه العقلى المبكـر ولم يكن يكتم هـذا الاعجاب فطالما حدّث عنه ونوه عنه وأطراه وكفاك شاهدا على ثقة أبيـه بكفائته الممتازة انه أمره فى وصيته التى ختم بها كتابه ـ القواعد ـ بأتمـام ما بقى ناقصا من كتبه بعد وفاته ثقة منه بأن لولده تلك الرتبة العلمية التى

تنسجم ورتبة العلامة بحيث يعتمد عليه بأتمام نواقص تلك الكتب • فغير عجيب أن يكون لفخر المحققين تلامذة كثيرون حرص كثيرا على تثقيفهم وتعليمهم منهم الشيخ نظام الدين علي بن محمد بن عبدالحميد النيلي والشيخ موسى بن جعفر بن عيسى بن مبارك الحلى وعشرات من أمثال هؤلاء الفحول •

وفاته :

لقد استقبلت الحلة نبأ وفاته بموجة طاغية من الأسى والأسف وكانت هذه النكبة يوم ٢٥ جمادى الآخرة من سنة ٧٧١ هـ وأرخت وفاته بقولي :ـ

فبعده آثاره ان مات أرخ عاشت

أما ولادته المباركة فكانت ليلة ٢٠ جمادى الاولى من سنة ٦٨٢ هـ فعمره الشريف ٨٩ عاما رحمه الله تعالى •

٦٦ ـ ابن معيّة ـ ٧٧٦هـ

أمامي الآن دويوين أضخم من واقعه فهو لا يجاوز ٥١٩ بيتا من الشعر الركيك المبتذل بل والمسروق عدد صفحاته (١٠٣) تشمل المقدمة والتقاريظ التى استجداها صاحبها استجداء وضع مقدمته محامى يريد نشر اسمه بكل ثمن وبكل مكان هو المرحوم عبد المحسن القصاب فوصف حركة الشعر واستقراره على شاطىء العصر الحديث ، شاطىء الحياة المادية ثم صاحب المقدمة استمر بخياله وتصوراته ووصف الشعر القديم واستهجنه ثم وصف الشعر فى العصر المادى عصر الكهرباء وما للشعر المتجدد من رفعة ـ حسب زعمه ـ (فلا وحدة القافية تتحكم فيه ولا المعنى المهم يسانده ولا زخرف القول يشايعه يريدونه واقعيا بسيطا يصف حياتهم كما هى بقول مشرق واسلوب سهل ومعنى رائع بسيط ينسجم وعصرهم) ثم أعطى ـ القصاب ـ

برهانا ما بين لديه (أول نسمة من نسمات ابناء ذلك القديم هذه النسمات التى تمرد صاحبها على قديمه المحافظ) كلام لا أفهمه ، كلام متناقض لا أدرى فى أية ساعة كتبه فقد جعل أهم عيب الشعر القديم وحدة القافية فما باله لا يرى وحدة القافية فى هذا الدويوين ، أما رأى قصيدة (ايها الشباب) و (فلسطين) و (زفرة) و (الشاعر) و (ايها العربى) و (العيد) و (لوطن المضطهد) وهكذا أغلب نظم هذا الدويوين الذى اربأ بنفسى أن أسميه شعرا فهل هذا النظم الركيك أفضل من شعر الأخطل والفرزدق وجرير وأبى تمام لا لشىء الا لأن عبد المحسن يحب التجدد وهذا شعر جديد فان أجاب بالايجاب فقد فزتُ أنا والسيد رحيم العميدى بهذا الفخر العظيم . ولنقدم للقارىء الكريم نموذجا من هذا الدويوين ص ٢١ :

واخدم بلادك ما استطعت وكن لها ... حصنا مكينا محكم الاركان
عالي البناء رصينه متماسكا ... فى قوة الاخلاص والايمان
كن يا فتى الوطن المجيد كحارس ... لبلادنا بنزاهة يقظان

وخذ شاهدا آخر ص ٣٧ :

هذا العراق بسهله وحزونه ... أمسى يرحب فى قدوم امينه
ابتهجت مياه الرافدين ورحبت ... فى العيلم المملوء فى مكنونه
بالله حدثنا عن الوطن الذى ... قد طال (واويلاه) عهد شجونه
يبكى فيجهش بالبكاء ويقول قد ... ذبح العدو فتاى فى سكينه

وشاهدا ثالثا ص ٤٢

وكم قائل لم لا تكن ذا وظيفة ... لتصبح بين الناس ذو النهى والامر
ويسطع فى الآفاق نجمك زاهرا ... وتصبح من دون الورى رجلا مثرى

وشاهدا رابعا ص ٥٢

لو اعتقدت بأن الله اودعها ... سر الجمال لحقا كان معتقدى

وشاهدا خامسا ص ٥٦

هيا لنركب زورقا ونسير في　　نهر الفرات المؤنس الفضي
فلعلنا في النهر ندرك راحة　　فلقد سئمنا العيش في الارض

وشاهدا سادسا ص ٥٨

هيا الى الروض أيا سلوتي　　نمشي الهوينا تحت جنح الظلام
هناك نستلهم وحي الجمال　　على ضفاف الجدول الجاري
هناك يا ليلى خرير النهر　　كأنه ترجيع اوتار
فلنحتس في الروض خمر الوصال　　ما بين اغصان وازهار
هيا فقد هب نسيم السحر　　في الحقل يا جلوة افكاري
هيا معي نهجر كل الملأ　　ما الناس الا فئة آثمة

وشاهدا سابعا ص ٦٥

انا ان مت فاحملوني رويدا　　وارفقوا بي ولا تسيروا بجد
واذا جئتموا المقابر حطوا النعـ　　ـعش فوق الثرى الى جنب لحد
واتركوني ملقى ولا تدفنوني　　ان تركي خير من الدفن عندي
انا ما بينكم وقد ذبت خوفا　　كيف بي لو تركت في اللحد وحدي

وشاهدا ثامنا ص ٦٦ في رثاء الملك غازي .

وأقمت للشعراء سوق عكاظهم　　وجعلتهم في احسن الاحوال
قد كنت حصنا للعراق مشيدا　　قد كنت سورا محكم الاقفال

* * *

شبل ترعرع في عرين جدوده　　وفراسة الآساد في الاشبال

* * *

ومنها في عبدالاله :

أأميرنا المحبوب يا من في سما　　ء العرب أنت الكوكب المتعالي
حقق امانينا فأنت المرتجى　　بعزائم فيهن اي صقال

وشاهدا تاسعا في المرحوم السيد محمد علي القزويني

رثتك البرايا فى العويل وفى البكا　　كذلك يرثى العبقرى امجهد
يؤبنك الجمع الشجى بصمته　　وفى الصمت معنى لم تنله القصائد
ويا قمرا قد اوحش الكون والسما　　وفى ضوئه امست تنار المراقد
فهل يسمح الدهر الخؤون بأوبة !　　وهل أنت للافق المروع عائد

وشاهدا عاشرا ص ٧٦

كم من شباب تسر العين نظرته　　أمسى عليه تراب اللحد مهدوما
قدكان يرضع من ثدى الرفاهة واله　　ـعيش الهنى فأضحى اليوم مفطوما

والدويوين كله شواهد على تفاهته ولا اريد ان احدثك عن ناظمه الحقيقى الذى تعمد هذه التفاهة فلهذا الموضوع موضع آخر ولكننا نعتب على المقرظين وصاحب المقدمة لماذا يقفلون عيونهم ويكتبون ما يشاؤون فهل مثل هذا النظم السخيف يستحق التقريظ ؟

اما ترى كيف الناظم اختطف معانى قصيدته وبعض الفاظها من الرصافى ثم كبابه جواده ولم يقدر ان يحسن حتى فى الاخذ والرصافى هو القائل :

ان العراق بعرضه وبطوله　　وبرافديه وباسقات نخيله
يهتز مبتهجا بمقدم ضيفه　　ويبش مبتسما بوجه نزيله
ومرحبا والشكر فى ترحيبه　　ومؤهلا والحمد فى تأهيله

وكيف تعمد الناظم أن يدس شطرا غير موزون ليختبر به نباهة صاحب الدويوين (ابتهجت مياه الرافدين ورحبت) فلم ينتبه ونشره على علاته كما نشر (قد طال واويلاه عهد شجونه) و (ذبح العدو فتاى فى سكينه) وكيف فى الشاهد الثالث قد جزم الناظم ـ فعل المضارع ـ بلا جازم فقال (وكم قائل لم لا تكن ذا وظيفة) والصواب عربية (تكون) لتجردها عن الناصب والجازم وكيف رفع (ذو) وحقها النصب وكيف اذا

كان ذا وظيفة يصبح دون الورى رجلا مثرى فهل معناه انه يبقى وحده فى الوظيفة فاذا شاركه غيره فى السبب فكيف لا يشاركه فى المسبَّب ؟ وفى الشاهد الرابع لم يعرف كيف الغزل فقال (لو اعتقدت بأن الله اودعها)الخ ولو للامتناع ومعنى البيت انه لم يعتقد بأن الله اودعها سر الجمال ففضلا عن كونـه معنى مبتذلا فانه يتنافى والغزل لتمخضه عن ذم وهو مناقض لبقية الابيات ، وترى فى الشاهد الخامس سذاجـة التفكير حتى أن الناظم تعمد سطحية الفكرة فأخذها صاحب الدويوين وهو لا يعلم ما وراءها الاكمه فنشرها بالدويوين المنسوب اليه فطلاب الرابع الابتدائى يعلمون جيدا ان الارض قسمان ماء ويابسة ولكن البيتين يظهران ان النهر غير الارض ولعل المراد بهما نهر المجرّة فى السماء •

فلعلنا فى النهـر ندرك راحـــة فلقـد سئمنـا العيش فى الارض

وفى الشاهد السادس تعمد الناظم التناقض ولـم يفطن لـه صاحب الدويوين فقـد دعا سلوته الى الروض فى جنح الظلام ثـم زعم ان هناك الاستمتاع بمناظر الطبيعة فهل يصح هـذا فى الظلام الذى يحجب رؤية كل شـىء ؟ ثـم كيف انقلب ذلك الظـلام الى (السَحَر) وانظـر الى (فلنحتسى) لماذا لم تجزم بلام الطلب ؟ فتحذف الياء لتذهب هذه المسكينة من سجنها الى بعض شأنها ؟ وكيف حكم حكمه القاسى عـلى كل الناس وفيهم أبوه وأقرباؤه فدعـا حبيبته الى هجر الناس لان الناس كلهـا آثمة والشاهد السابع مـا هو الا صورة هزيلة تُضحك الثكلى صورة عـلى انها لا تتجاوز أربعة أبيات فقط جائت تفيض بالتناقض فالبيت الاول يدل على انه حى لأنه يقول (اذا أنامت) والبيت الرابع يصرح انه ميت وقد ذاب من خوف القبر وهو بينهم فكيف اذا بقى وحده فى قبره ثم ان وصيته تقتضى أن يحملوه الى قبره وأن يسيروا بنعشه رويدا واذا به يطلب منهم أن يبقوه ملقى بلا دفن وهذا تناقض آخر وتعليله فى ابقائه بلا دفن لانه يخاف من

وحدة القبر فهل اذا بقي ملقى فى المقابر بلا دفن يضعون عليه حراسا الى يوم يبعثون ؟ والشاهد الثامن لا يحتاج الى تعليق فسخافة الشعر واضحة لكل أحد حتى انه يجهل معنى فراسة فحسبها من الافتراس فقال (وفراسة الآساد فى الاشبال) وما معنى صقال العزائم وما معنى أقفال السور كل ذلك وأكثر منه فى هذه القصيدة المنافقة والشاهد التاسع لم يخل من هذا التناقض الذى أصبح من صفات هذا النظم الخاصة (فالرثاء بالعويل والبكاء) يتنافى وقوله (يؤبنك الجمع الشجى بصمته) وما معنى قوله (فيا قمراً قد أوحش الكون والسما) سلمنا انه لم يعرف ان النهر قسم من الارض فهل يجهل ان السماء جزء من الكون فما معنى هذا العطف فهل هو عطف تفسير فليس السماء هى الكون فلابد أن يكون قصده ما ذكرناه ثم هل أن المرثي كان فى السماء فأوحشها فقده ؟ واذا قلت لك ان تفكيره عامي لا تصدق ولكن هذه الشواهد كافية لاثبات ذلك ، فالعوام يطلقون لفظة الارض ويريدون منها اليابسة وقد فكر الناظم مثل تفكيرهم والعوام يطلقون لفظ (شباب) وهو جمع شاب على المفرد والناظم فكَّر أيضا مثل تفكيرهم فقال (كم من شباب تسر العين نظرته) الخ ..

وسطحية التفكير فى كافة الدويوين أصدق شاهد ومع كل هذه التفاهة يأتى المقرضون فيصفون هذه التفاهة (بالادب الناضج) الذى كاد ينشر ابن سرايا كما زعم الشاب أحمد رضا الهندى وانها سحر حلال وان المقرظ لا يعلم (أهى معانى زهت أم الروض زاهر ؟) كل ذلك لشدة الالحاح بطلب التقريظ ولوفرة الوسائط وقد قدمت هذه المقدمة تمهيدا للمقارنة بين مدائح عصر ابن معية التى تجيء معبرة عن واقع الممدوح وبين مدائح عصرنا التى تأتى جزافا لاعتبارات خاصة ودوافع معلومة ولكننا اذا أفرطنا بالثناء على (ابن معية) موضوع بحثنا هذا فقد اعتمدنا على أقوال مترجميه ونظرتهم الى هذه الشخصية المحبوبة التى تستحق الاكبار والاجلال . فأنه

عالم فاضل نحرير وشاعر أديب وكاتب بليغ وفقيه متضلع ومؤلف متقن ونقيب جليل كان مفخرة من مفاخر الحلة عالما صالحا لوذعيا واسع الذكاء كثير الرواية جيد الحفظ عارفا بالأنساب متقنا للعروض هو أبو عبد الله تاج الدين جعفر بن محمد ابن أبى جعفر القاسم بن الحسين بن معية الديباجى الحسنى الحلى ، اشتهر بابن معية وهى أم جده الثانى عشر وهى معية بنت محمد بن جارية بن معاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة الكوفية الانصارية ، اما ابن معية فينتهى نسبه الشريف الى اسماعيل الديباج وقد أثنى على صاحب هذه الترجمة كل من كتب عن حياته ووصفوه بما يستحقه من أوصاف المدح والثناء وفي مقدمتهم تلميذه البار جمال الدين احمد بن علي المتوفى سنة **٨٢٨** هـ صاحب كتاب عمدة الطالب فقد تحدث عن الديباجى ونقل لنا حديثه عن نفسه حيث يقول الديباجى (لهجت بقول الشعر وأنا صبى فسمع والدى بذلك فاستدعانى وقال يا جعفر قد سمعت انك تهذى بالشعر فقل فى هذه الشجرة حتى أسمع وكانت هناك شجرة نارنج فقلت ارتجالا :ـ

ودوحة تدهش الابصار ناضرة   تريك فى كل غصن جذوة النار
كأنما نصلت بالتبر فى حلل   خضر تميس بها قامات أبكار

فاستدعاني وقبل ما بين عيني وأمر لي بفرس وثياب ودراهم أمر باحضارها فى الحال ووهب لي ضيعة من ضياعه وقال يا بنى استكثر من هذا فانّا نقصد دار الخلافة ومعنا من الخيل وغيرها وأنواع التكلفات والهدايا ومما لا يُتمكن من مثله ، ويجيء ابن عامر بدواته وقلمه فتَقْضي حوائجه قبلنا ويرجع الى الكوفة ونحن مقيمون ولم تُقْضَ لنا بعد حاجة) وبمثل هذه التشجيعات والتلطيفات تنمو الملكات العلمية والادبية وأصبح بتشجيع من أبيه من الشعراء المعدودين ولكن لم تشغله مزاولة الشعر عن تحصيله العلمي فقد كان من العلماء المتقنين الا انه كثير المشائخ والاساتيذ وهذه حالتى انا ايضا فعند مكثي فى مدرسة الشرابيانى فى النجف الاشرف كنت

أدرس عند استاذ فاذا لم أستفد منه أذهب الى آخر وقد لاحظ هذه الظاهرة الاديب السيد مسلم السيد حمود ابن بنت العالم فمازحني بقوله :ـ

يا جامعا دروسه أحرفا ... قد عاد فيها ليس بالمستفيد
أراك يا رب النهى والعلا ... في كل يوم لك شيخ جديد

فأجبته على سبيل المزاح ايضا :ـ

حفظت درسي ثم حررته ... كي لا أساويك فلم أستفد
وهل بترك الشيخ عاب اذا ... لم يك شيخي فاضلا مجتهد
يا ايها البحر الذي قد طمى ... لكنما أعني به (المتجمد)
هجوتني ولم أكن مذنبا ... فصح فيك القول : حرك تجد

والديباجي كما كان كثير الاساتيذ فأنه كان كثير الطلبة والتلاميذ له فضائل ومحاسن وآثار جديرة بالاعتبار وقد انتهى اليه علم النسب في زمانه بحيث تفوق على كل من مارسه .

آثاره :

آثار ابن معية كثيرة منها كتاب نهاية الطالب في نسب آل ابي طالب ، وكتاب الفُلْكُ المشحون في انساب القبائل والبطون ، وكتاب معرفة الرجال ، وكتاب اخبار الامم في (٢١) مجلدا وكتاب كشف الالتباس في نسب بني العباس ، وكل هذه الكتب في علم النسب وله كتاب الابتهاج في علم الحساب ، وكتاب منهاج العمال وضبط الاعمال ، وقد أضر آخر حياته وكُفَّ بصره ولكن بصيرته بقيت متوقدة نيرة ففقد نعمة البصر ولم يفقد نعمة البصيرة . قال فيه صاحب كتاب عمدة الطالب (شيخي المولى السيد العالم الفاضل الحاسب النسابة اليه انتهى علم النسب في زمانه واليه الاسانيد العالية والسماعات الشريفة أدركتُه قدس سره شيخا وخدمته قريبا من اثنتى عشرة سنة ، قرأت عليه ما أمكن حديثا ونسبا وفقها وحسابا وأدبا

وتاريخا وشعرا الى غير ذلك) أما شعره فهذه بعض نماذجه :ـ

يعز على أسلافكم يا بنى العـــلا   اذا نـــال من أعراضكم شتم شاتم
بنوا لكموا مجد الحياة ، فمـا لكم   أسأتم الى تلك العظـــام الرمائم ؟
أرى الف بانٍ لا تقـوم بهـا دم   فكيف ببانٍ خلفـه الف هـادم ؟

وقد أعجبنى الساعة تشطير هذه الابيات فقلت :ـ

(يعز على أسلافكم يا بنى العـلا)   اذا لم تكونوا مثلهم فى المكـــارم
ويحزنهم جـدا وهم فى قبـورهم   (اذا نال من أعراضكم شتم شاتم)
(بنوا لكموا مجد الحياة، فما لكم؟)   قنعتم بمجـد تالـد متقـادم
فأن لم تنالوا طارفا بعـد تالـد   (أسأتم الى تلك العظـام الرمائم)
(أرى الف بانٍ لا يقوم بها دمٍ)   الى أسس من مجدكم ودعـائم
اذا الف بانٍ سعيهم دون هـادم   (فكيف ببانٍ خلفه الف هادم) ؟

ومن شعر الديباجى فى الفخر والحماسة :

ملكتُ عنـان الفضل حتى أطاعني   وذللت منـــه الجـامح المتصعبـا
وضاربتُ عن نيل المعالي وحوزها   بسيفي أبطال الرجال فمـــا نبـــا
وأجريتُ فى مضمار كل بلاغـــة   جوادى ، فحاز السبق فيها وما كبا
ولكنّ دهرى جـامح عن مآربى   ونجمى فى برج السعادة قد خبـا
ومن غالب الايام فيمـا يرومـه   تيقّن أن الدهـر أمسى مُغلّبـا

ويترجم ابن معية فى أبياته هذه عن أحاسيسه وما يشعر به من سمو فى النفس وعما لديه من همة وطموح واعتداد كبير فهو يتشكى من معاكسة الدهر لآماله ورغائبه شأنه فى ذلك شأن كل شريف فهو يقرر حصوله على المقدمات ويأسف لفوات النتيجة وكأنه لا يعلم أنّ النتيجة تتبع أخسّ المقدمات ولا شىء يمكن وصفه بالخسة من صفات هذا السيد الشريف النبيل وقد صرح انه ملك عنان الفضل وذلل منه كل جامح وانه ضارب بسيفه

ابطال الرجال فما نبا سيفه على طول الضراب عن نيل معاليه وحوزها ، وأنه أجرى جواده في مضمار كل بلاغة فما كبا جواده في تلك المضامير ومن كان هذا حاله فلا بد أن يحظى بالسعادة نتيجة لهذا العناء الطويل المضني فكيف كانت النتيجة انه يحدثنا عنها بأنها جاءت معاكسة تماماً لآماله وان الدهر لم يسعفه بما يريد لأنه كان جامحا عن مآربه ، وأن نجم حظه كان خابيا ويعلل ذلك بقوله :ـ

ومن غالب الايام فيما يرومه		تيقن أن الدهر أمسى مغلّبا

تعليلا يريح به نفسه القلقة فهو أقرب الى التعلل منه الى التعليل ، ثم نراه بعد صراعه هذا مع الايام يستسلم استسلام البطل الذى لا أمل له بنفع المقاومة يأكل قلبه الحزن ومرارة الهزيمة والخذلان ويعلن هذا الاستسلام على الملأ بقوله (ونجمي في برج السعادة قد خبا) وقوله (ولكن دهري جامح عن مآربي) وما أجدر أن يكون هذا الشعر من الشعر الوجداني المنتزع من صميم الحياة والواقع ، ان ابن معية شاعر وابن شاعر نشأ في بيئة شعرية فلا عجب اذا أصبح من مبرزى الشعراء وقد أورد الباحثون من شعر أبيه قوله :ـ

وأهيف فاتر الاجفان أضحى		يفوق الغصن لينا واعتدالا
حكى قمر السماء بلا لثام		وان عطف اللثام حكى الهلالا

ومن شعر والده ايضا :ـ

ومن العجائب أن قلبي يشتكي		ألم الفراق وانتموا بمكانه

ولكننا نود أن نقف عد قوله لأبنه (يا بني استكثر من هذا فأننا نقصد دار الخلافة) الى آخر الحديث فقد صرح ان اشغاله لا تنقضي في دار الخلافة مع ما جلبه معه من نفائس الهدايا ويتقدمه ابن عامر بدواته وقلمه لأنه شاعر فاذا كان سبب تقديم ابن عامر هو الشعر فقد شاركه فيه أبو السيد تاج الدين وزاد عليه بما يقدمه من هدايا فلابد أن يكون هناك سبب آخر لتعطيله في

دار الخلافة وتقديم ابن عامر عليه ولعل هذا التعطيل وثيق الصلة بالسياسة ولكن ظاهر الرواية تدل على أن أبا السيد تاج الدين لا يعرف الشعر فطلب من ولده تعلم الشعر ليتقدم في دار الخلافة ولعله من باب التشجيع • وقد امتثل صاحب هذه الترجمة أمر أبيه فأكثر من نظم الشعر حيث كان سمح القريحة خصب الشاعرية ذا ملكة مؤاتية ولكن الحوادث لم تبق لنا من شعره الا القليل النادر أشبه بقوت الارملة ، ومن شعره الذى تمرد على الحوادث قوله فى الحكمة وفيه الاقتباس :ـ

أحسن الفعل لا تَمُتَّ بأصل ... ان بالفعل خسة الاصل توسى
نسب المرء وحده ليس يجدى ... ان قارون كان من قوم موسى

النابهون من آل معيّة :

آل معية أسرة حسنية شريفة النسب كريمة الحسب نبغ منها عدة نوابغ فى العلم الدينى فقها واصولا وحديثا وفى الادب شعرا وكتابة ، تحلى بعض أفرادها بحلية النقابة والرآسة ومن هؤلاء النابهين أبو محمد اسماعيل بن جعفر وكان معدودا من الشعراء المتفوقين فى عصره توفى سنة ٦٨٠ هـ وهو القائل :ـ

أسـرت قلبى الأسيرة لمـا ... صرت فى ذكرها بغير خلاف
ليس بالشعر يا معيـة تحظى ... بوصال من الغوانى اللطـاف

ومنهم أبوه ، عبد الله بن جعفر بن محمد النقيب الذى وصفه صاحب كتاب ـ أمل الآمل ـ بقوله (عالم جليل ، يروى عنه ابن أخيه القاسم بن معية القائل :ـ

ألـم يبلغـك شـأن بني حسين ... وفرهموا ، وما فعل (الحرونْ) ؟
فيـا لله فعـل (أبي نمَيٍ) ... وبعض الفعـل يشبهه الجنون
يصـول بأربعـين على مئـين ... وكم من كثـرة طلبت تهـون

قالها فى مدح (أبي نمي) فى حادثة رواها المؤرخون ومنهم صاحب كتاب (أعيان الشيعة) وصاحب كتاب عمدة االطالب فحواها أن شريف مكة راجح ابن قتادة ذهب الى المدينة ليستنجد أخواله من بنى الحسين على ابن أخيه الحسن بن علي بن قتادة فأنجدوه لغرض استعادة امارته وذلك عام ٦٣٩ هـ فلم يخرج من المدينة الا وقد صحبه سبعمائة فارسا قصدوا مكة ومعهم الامير عيسى الملقب (بالحرون) وكان أشهر فارس فى بنى الحسين فى يومه فلما بلغ الأمر أبا سعيد الحسن بن علي بن قتادة المذكور وكان ابنه (أبو نميّ) الذى توفى سنة ٧٠١ هـ فى ينبع يتراوح سنه بين (١٨) عاما و (١٧) عاما ارسل اليه أبوه يطلب حضوره فخرج اليه فى اربعين رجلا ولما التقوا برجال الحملة انهزم جيش بنى الحسين المؤلف من سبعمائة فارسا كما ذكرنا ورجع الى المدينة ، وهذه الحادثة هى التى أثارت قريحة عبد الله بن جعفر والد صاحب هذه الترجمة فنظم الابيات النونية المذكورة على سبيل الفخر والحماسة متعصبا لقومه متباهيا بعشيرته لأن المادح والممدوح ينتمى الى قبيلة واحدة ، واذا تأمل المتأمل فى هذه الحادثة فليس تعجزه معرفة الاسباب الواقعية للهزيمة هى غير قوة الاربعين فارسا وشدة بطشهم وانما هناك أمور أهم تكمن وراء الهزيمة فأن المستنجد والمستنجد عليه كلاهما من أسرة واحدة والخلاف لا يتجاوز الخلافات العائلية الموقتة ، خلاف بين عم ، وابن أخيه على رآسة زمنية ايهما يحظى بها بقي فخرها فى نفس الاسرة لم يخرج منها الى أسرة غيرها فاذا فرضنا أن بنى الحسين قرروا الثبات والصدق فى القتال فالخسارة خسارتهم أينما كانت سواء كانت فى أصحاب راجح بن قتادة أو فى اصحاب ابن أخيه الحسن بن علي بن قتادة فكان خروج السبعمائة فارسا من باب تطييب النفس وجبر الخاطر ورعاية المصاهرة لأمكان تسوية هذا الخلاف العائلى تسوية سلمية دون اراقة الدماء ولأجل ذلك لم تر الحملة مبررا للاستماتة فى الحرب فانسحب أفرادها بزى

منكسرين منخذلين بعد اقامة العذر فى استجابتهم الى نداء المستنجد ، ولهذا لم تذكر الرواية أن قتيلا واحدا قد قتل فى هذه المعركة الصورية لا سيما وعلى رأس الحملة بطل عظيم هو ـ الحرون ـ الذى حاز هذا اللقب لكثرة ما يحرن اذا استحرّ الحرب وحمى الوطيس ولكنه هذه المرة لم يحرن كعادته الأمر الذى يفضح هذه الحرب الصورية ويؤيد السبب الذى أوضحناه. وكما أن الحرب قد وقعت بين عم وابن أخيه فالجنود المتقاتلون ابناء الحسن وابناء الحسين هم ايضا ابناء عمومة فاذا جدوا فى الحرب فالخسارة لا تنال أجنبيا غريبا ولهذا لم تدر رحى الحرب على قطب من الجدية والواقعية ، والا فليس من المعقول ابدا أن يبرز لكل حسني من الاربعين رجلا نحو سبعة عشر رجلا حسينى من السبعمائة فارسا وفيهم مثل الحرون ثم لا تقع اصابة واحدة من الجانبين وكلهم فوارس شجعان ، والمعروف عن شجاعة آل الحسين أكثر مما هو معروف من شجاعة آل الحسن حتى أن الثورات ضد الدولة الاموية والعباسية كلها أو أكثرها لم تؤجج لظاها سوى السيوف الحسينية منذ استشهاد الامام الثائر الحسين بن علي ـ ع ـ وما أجدرنى بقولي الذى أقوله الآن :ـ

بنى الحسن الكرام لكم فخار ... ولكن دون أبناء الحسين
فلم تكن الأمامة فى بنيكم ... اذا فكرتموا فى الأسرتين
لقد كانت لنا حقا صريحا ... بدون تعسف وبدون مين
فمن ساواكموا يا قوم فينا ... فلم أره صحيح الناظرين
نعم ، للنجم ضوء ليس يخفى ... ولكن دون ضوء النيرين
فمن عزم وصمصام صنيع ... نصول على الكماة بصارمين
ومن ينكر شجاعتنا كفتنا ... شهادات المهند والردينى
نمد الى العلا باعا طويلا ... وشانُ خصومنا قِصرُ اليدين
وهل تخفى على أحد علانا ؟ ... وقد ملأت فضاء المشرقين

لقـد ولي منافسنـا بغبـن كما نقلوه عن خفّيْ حنين
رويداً يا بني عمي رويـداً مخافـة أن أقاضيكم بـدين
فأن كنتم لهذى النـاس عينـا فأبنـاء الحسين ضياء عـين
وان الله طهـرنا جميعـا من الرجس الذميم وكل شين
لنـا فى المصطفى فخر عظيم وهل كالمصطفى فى الخافقين ؟
وينمينـا (عـليٌ) للمعالي ويكفينا عـلاً بأبى الحسين
ولو أمسى يفاخرنا سـواكم لأرجعنـاه دامـى المقلتين
ولستم تجهـلون عـلاء قومى وقـد شادوه فوق الفـرقدين

وعن تاج الدين بن معية الديباجى يروى الشيخ زين الدين جعفر بن علي بن يوسف بن عروة الحلى المنعوت فى كتاب ـ أمل الآمل ـ بالفاضل الفقيه الصالح ، كما يروى عن ابن معية الشيخ الشهيد الذى لم يكتم اعجابه به فلقبه بأعجوبة الزمان ويروى عنه تلميذه صاحب كتاب عمـدة الطالب ويروى هو عن العلامة الحلى وابنه فخر المحققين والعميدى والسيد رضى الدين الآوى والسيد علي بن عبد الحميد الحسينى النسابة كما يروى عن ابيه السيد جلال الدين أبى جعفر القاسم ابن الحسين وغيرهم .

وفاته :

توفى رحمه الله فى الحلة سنة **٧٧٦** هـ ثم نقل جثمانه الطاهـر الى النجف الاشرف ومن المحتمل انه عمر نحوا من سبعين سنة حمل خلالهـا مشعل الهداية والاصلاح فأنار درب المجد للسالكين ولا شك ان تاج الدين كان من أعلام النهضة الفكرية فى عصره اما اليوم فقد استحالت تلك الجذوة العلمية فى الحلة الى حفنة من رماد وذهبت تلك المدارس العلمية الكثيرة لتقوم مقامها أوكار الرذيلة من حانات الخمور وأندية القمار ، والامل وطيد بالمصلحين وبالشباب الغيور على أمجاده وتراثه الانسانى أن يكافح فى سبيل اعادة ذلك المجد التليد .

٦٧ ـ النديم الصوفى

هو عفيف الدين ابو المعالى محمد بن حسان العطاوى الشهير بالنديم الصوفى من أعيان الحلة ووجوهها ، رقيق الطبع حسن السجايا خفيف الدم حسن المعاشرة ، واذا صح القـول بوجود نوع علاقة بين اخلاق الانسان وخلقته فبامكاننا على ضوء هـذه الصفات الحبيبة أن نتصور صاحب هـذه الترجمة رجلا معتدل القامة ، أقنى الانف ، ادعج العين ، قرمزى الشفتين، أسيل الخدين ، ازج الحاجبين ، لدن القوام مفلج الثغر بهى الطلعـة كامل الرجولة ساحر الجمال .

هو من اولائك الافذاذ القلائل الذين ماتوا بعد أن أحيوا مجد الحلة وذكرها ، ولم يكن تاريخ هـذا الرجل الجليل سوى سجل حافل بالحنكة والذكاء النادر وجلائل الاعمـال نادم الاعيـان والامراء والاكابر ، فكان موضع احترامهم وتقديرهم ، يكاد يقطر رقة وظرافة ، وقد داعبه السيد النقيب الفاضـل صفى الدين ابو عبد الله الطقطقي سنة **٦٨٧** هـ بابيات من البحر المتقارب منها :ـ

ألا مـا اقـل وفـاء العفيـف ... واكثـر هجرانـه والصـدودا
لقـد كان فى الود خلاً ودودا ... فصار ـ وحاشاه ـ خلاً ودودا
وكنـا نـرى أنّ لقيانـه ... قريبـا ، فصرنـا نـراه بعيدا

وبهذه المناسبة حـدثت لي مداعبة شبيهة بهذه فقـد كان لي صديق بمديرية معارف الحلة يكنى بأبى ودود وكنت اداعبه فأقول له أن واو ـ ودود ـ واو عطف فكان يقول لي لو كنت اعلم هذا التحريف لما سميت ولدى بودود ، وذلك قبل ان اطلع عـلى ممازحة النقيب لصاحب هـذه الترجمة الذى كان بحق نادرة زمانه وقد مال عفيف الدين الى التصوف وما يستلزمه من رياضـة نفسية وخلوة ووقار وانزواء وزهد ومثل هـذه

الصفات تتجافى وظرافة عفيف الدين وخفة ظله وما تتطلبه الظرافةفيأغلب الاحيان من اللهو والبطالة وقول الباطل ولكنه جمع بين هذين المتناقضين ولله خرق العادات •

يعرف ـ عفيف الدين ـ بالعطاوي الحلى ـ او ـ بالعطاوى ـ بدون اضافة ـ الحلى ـ ويشترك معه بهذه النسبة رجل آخر فيقال لـه العطاوي أيضا وهو الشيخ خلف بن محمد بن حردان العطاوى الحلى قيل انه عالم فاضل من تلامذة الشيخ الاكبر اغا محمد باقر بن محمد اكمل الوحيد البهبهانى المولود سنة ١١١٨ هـ في ـ اجان ـ والمنتقل الى كربلا المشـرفة حتى توفى فيها سنة ١٢٠٨ وبها دفن وقد حصل على لقب ـ مجدد المذهب فى القرن الثانى عشر ـ وكان من تلامذته الشيخ خلف المذكور والعطاوى نسبة الى ـ البو عطا ـ ومن مآثر المترجم له كتاب ـ تسلية العالم فى شرح المعالم ـ يعنى شرح كتاب معالم الاصول وهو كتاب منهجى لطلبة العلوم الدينية لا يستغنى عنه طالب العلم الدينى تأتى قراءته بعد دراسة المنطق وهو كتاب قيم جليل وتعبيره عربى لم تشنه التراكيب الاعجمية التى تجدها فى مثـل كتاب ـ كفايـة الاصـول ـ للآخند ـ قل نظـيره فى سلسلة المنهج الدراسى الدينى •

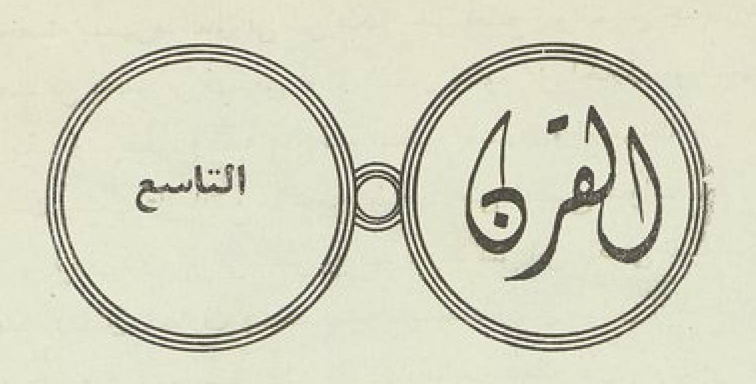
٦٨ ـ مفيد الدين ابن جهم ـ ٧٢٦ هـ

محمد بن علي بن محمد بن جهم الاسدى الحـلى لقبه مفيد الدين وكنيته أبو القاسم ويُعبّر عنه بكتب الاجازات وغيرها ـ بالمفيد ابن جهم ـ من تلامذة المحقق الحلى • وهو أحـد الرجلين اللذين عناهمـا نجم الدين المحقق الحلى حين سئل عن أعلم علماء الحلة فقال (وهذان اعلم الجماعة بعلم الـكلام واصول الفقه) كان مفيد الدين من اشـهر مشاهير علماء عصـره واعلمهم بعـد استاذه المحقق وتلميذه العلامة الحـلى وولده فخر المحققين

نبحر بعلم النحو حتى كان من أساطينه ودرس علم الصرف والمعاني والبيان والبديع والعروض حتى أتقنها واتقن علم الحديث والتفسير وتخصص بعلم الكلام واصول الفقه وتفوق فيهما حتى كان من شرف القدر وجلالة المنزلة ما جعله في الصف الاول من فقهاء الحلة حتى يميزه المحقق بعلم الكلام واصول الفقه على كافة علماء الحلة الذين يفوق عددهم الحصر ، وكفاه فخرا ورفعة شأن أن يكون العلامة الحلي أعلى الله مقامه من جملة طلبته ومثل غياث الدين أبى المظفر عبدالكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس من بعض تلاميذه قال فيه صاحب كتاب ـ الفوائد الرضوية ـ (الشيخ مفيد الدين عالم فاضل جليل شاعر وجيه أديب عـلامة شيخ فقهاء الحلة ، وواحد المشائخ الاجلة) يروي رحمه الله عن السيد فخار وعن استاذه المحقق وعن بعض أشياخ المحقق كعماد الدين بن معد الموسوى كما يروي عن مفيد الدين جماعة منهم العلامة الحلي أعلى الله مقامه • يقال أن مفيدالدين توفي سنة ٧٢٦هـ فاذا صح ذلك فيكون هو وتلميذه العـلامة الحلي قد توفيا في عام واحد والله أعلم



واجهة بلدية الحلة ويظهر في الصورة المؤلف والوجيه الحاج عبدالرزاق مرجان والوجيه المرحوم عبدالمنعم العلوش •



٦٩ ـ ابن فهد الحلي ٧٥٧ ـ ٨٤١ هـ

ابن فهد وتسميه العامة ـ أبو فهد ـ وهو تحريف كما حرّفوا ابن حماد الحلي المدفون خلف السجن المركزي في الحلة فقالوا ـ أبو حماد ـ ولا زالوا يحرفون لقب السادة فيقولون للسيد ـ أبو هاشم ـ والصواب ـ ابن هاشم ـ وابن فهد هذا ـ هو أبو العباس جمال الدين أحمد بن محمد بن فهد الاسدي الحلي وبنو أسد أول من أسس الحلة من الناحية العمرانية كما عرفت فيما مضى من أول الكتاب عن قيام الامير العربي سيف الدولة صدقة ابن منصور وانهم في الوقت ذاته أول من أسس الثقافة فيها فقد يلاحظ الباحث المتتبع أن أكثر الاسر الحلية العلمية والادبية التي رفعت الكيان الثقافي الى الاوج هي الاسر العلوية ومن أعلامها ابن اسامة وأبناء معية وأبناء طاووس والشريف أبو الفتح محمد وآل الاعرجي لا سيما السيد عميد الدين ابن اخت العلامة والسيد فخار الدين بن معد الموسوي والنقيب غياث الدين النيلي وعشرات غير هؤلاء وتنافس الاسر العلوية في هذا المضمار قبيلة بني أسد فقد قدمت نماذج جليلة من أعلام العلماء كيحيى ابن بطريق وولده علي وأبو الوفاء راجح وابن العلقمي الوزير وابن العود وآل المطهر لا سيما العلامة وابنه فخر المحققين ورضي الدين عم فخر المحققين ومفيد الدين ابن جهم وكثيرين أمثالهم كابن فهد صاحب هذه الترجمة فقد ظهرت

شخصيته بمظهرها العالى فى سن مبكر حتى أصبح أبو العباس جمال الدين أحمد بن محمد بن فهد من أوائل المتقنين للعلوم على اختلاف مواضيعها عربية ، وشرعية ، وعقلية فبلغ قمة المجد والاشتهار وبلغ مرحلة من ذيوع الصيت يصعب على المتتبع الاحاطة بطرفيها حتى أصبح عنوانا لفترة من الزمن فيقال كان كذا فى عصر بن فهد ، وقد لمس ابن فهد فى نفسه الكفائة وملكة التقبّل للمعارف وساعد ذلك الاستعداد الهائل عوامل البيئة فتكونت من هذا وذاك شخصيته الفذة متعددة الجوانب فأهلته لان يكون من عداد العظماء الذين صنعوا تاريخ الحلة وألبسوها ثياب السؤدد والفخر والشرف العظيم .

لقد نال ابن فهد بعمق تفكيره ونضوج آرائه وفلسفته وبُعد نظره ، وعلو كعبه فى العلوم والآداب ، منزلة رفيعة يحسده عليها كثير من النابهين ، وقد كان شكل التفاعل بينه وبين الطبقة الروحانية التى اندمج بها وعاشرها قويا جدا ، وكان التجاوب شديدا ، ومن هنا يمكننا معرفة سر عظمة الحلة فى عهده وتقدمها الثقافى ذلك التقدم الزاهر الرائع فلم يكن المثقفون يوم ذاك بالحالة المزرية التى نراهم عليها اليوم من الانزواء والانطواء وفسح المجال للوضعاء وأدعياء العلم ان يظهروا بمظهر العلماء حتى تشجّع حقير من أسفل الناس فى الحلة على ادعاء العلم وهو عامى مرابى وضيع بمرأى منهم ومسمع ولم يتفوه أحدهم ببنت شفة ولم ينكر هـذا المنكر الذى شان سمعة الحلة وحط من كرامتها ولا زال حتى الآن ينشر الكتب العامية الحقيرة ويكتب عليها ما شاء من القاب فخمة تتبرأ منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب وكلهـا كفريات والحاد .

وهناك ناحية اخرى قد تكون من أبرز النواحى فى شخصية ابن فهد وهى زهده ومسلكه العرفانى ذلك المسلك الشاق ففضلا عن تضلعه بالعلوم التى مر ذكرها كان يميل الى الناحية التصوفية وقد وصفه صاحب كتاب

ـ أمل الآمل ـ بقوله (عالم فاضل ثقة صالح زاهد عابد ورع جليل القدر) وزاد على هذه الاوصاف صاحب كتاب ـ رياض العلماء ـ فقال انه (العالم الفاضل العـلامة الفهـامة الثقة الجليل الزاهد العابد الورع العظيم القدر ، وله قدس سره ميل الى مذهب الصوفية) الخ وفى التعبير ركة وتهافت كقوله (العالم الفاضل العـلامة) فالعلامة تغنى عن العالم لانها من صيـغ المبالغة فالعلامة أكثر من عالم وكذلك قوله الثقة الصالح الزاهد العابد الورع، فانها أشبه بالفضول لكونها كالمترادفات وكذلك قوله ، الجليل ، العظيم القدر وقد يغتفر بعضها لاحتمالها على سبيل التوضيح كقولك الفاضـل الجليل ، أو كقولك الشاعر المجيد الماهر ونحو ذلك أما أن تجيىء الترجمة مليئة بالمترادفات فمما يمجه الذوق السليم ، وقد وصفه الفاضل صاحب كتـاب لؤلؤة البحرين فقال انه (فاضل عالم فقيه مجتهد زاهد عابد ورع تقي نقي الا أن له ميلا الى مذهب الصوفية ، بل تفوه به فى بعض مصنفاته) الخ ولا محل لهذا الاستثناء قطعا لانه يتنافى وسياق أوصاف المدح ومن أجـل ذلك وقعوا بالتناقض فأن كان ذهابه الى مذهب الصوفية مما يقدح بالدين ويخل بالعقيدة والصلاح فكيف صح لهم وصفه بأنه صالح عابد ورع تقي نقي زاهـد فالوصفان متناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان فلا بـد من ثبـوت أحدهما ونفي الأخر ، وان لم يكن ميله الى مذهب الصوفية مما يقـدح بالتقوى فما وجه هذا الاستثناء ؟

ولأماطة الحجاب عن الصوفية التى اشتهر بها بعض علماء الشيعة نقول أن هذه الصوفية ليست من معدن طريقة الصوفية المعـروفة وان شاركتها بالاسم وانما هى عبارة عن شدة المبالغة بالتقشف والزهد ورياضة النفس وشدة التعلق بمحبة الله تعالى وهذا لا يتنافى والاوصاف السابقة ولهذا وصفه السيد النقيب بهاء الدين أبو القاسم علي بن عبد الحميد الحلى النيلى النسابة بكتابه ـ تتمة الرجال ـ بأنه (أحد المدرسين فى المدرسة الزعنية فى الحلة

السيفية من أهل العلم والخير والصلاح والبذل والسماح) وجاء فى كتاب تكملة الرجال للفاضل الشيخ عبد النبى الكاظمى نزيل جبل عامل قال : (احمد بن فهد ، قال المجلسى فيما علّقه بخطه على الكتاب ـ الشيخ العالم الزاهد ابو العباس احمد بن فهد الحلى يروى عن الشيخ ابى الحسن علي ابن الخازن تلميذ الشهيد السعيد محمد بن مكى وكان زاهدا مرتاضا عابدا يميل الى التصوف وقد ناظر فى زمان ، ميرز اسبند ، التركماني والي العراق جماعة ممن يخالفه فى المذهب فى موضوع الامامة فأعجزهم فصار ذلك سببا لتشيع الوالي وزيّنَ الخطبة والسكة باسماء الائمة المعصومين عليهم السلام ـ) الخ وميرزا اسبند المذكور كان واليا على العراق من قبل دولة الخروف الابيض وهذه القصة تشبه قصة العلامة الحلى مع ـ خدابنده ـ من بعض الوجوه ، والحادثتان لا مراء فى صحتها ولا مانع من تكرر الحوادث وقد نقل هذه الحادثة غير واحد منهم صاحب كتاب مجالس المؤمنين ، وقال ما معناه انه غلب جميع علماء العراق فى مناظرته • ولم يكن ما وخزه به من التصوف قادحا بعدالته وورعه للاجماع على توفرهما فيه فتصوفه شبيه بتصوف الخواجه نصير الدين الطوسى والبهائى وابن طاووس والبرسى واضرابهم ولكن العوام يتطيرون من لفظة التصوف ويحسبونها من نوع تصوف اخواننا اهل السنة بما فيه من شذوذ وزعقات وشطحات وما فيه من القول بالحلول ووحدة الوجود وامثال ذلك من الكفريات ، ولكن تصوف اصحابنا يباين هذا مباينة ظاهرة كما بيناه آنفا •

أخذ ابن فهد عن الفاضل السيورى وتلمذ لتلامذة الشهيد ، ويروى عنهم وهو غير ابن فهد الاحسائى الذى شاركه بالاسم والكنية واللقب وفى شرحهما لكتاب الارشاد وروايتهما عن ابن المتوج البحرانى وكلاهما دفن غريبا عن بلده وهذا من غرائب الاتفاق فابن فهد الحلى مدفون فى كربلا وابن فهد الاحسائى مدفون بالحلة فى المرقد المعروف الآن بمقام أبو فهد •

مصنفاته

من مصنفاته الجليلة ـ المذهب البارع فى شرح المختصر النافع وكتاب الموجز الحاوى ، والتحرير ، والمقتصر ، وشرح الالفية للشهيد وكتاب شرح الارشاد ، وعدة الداعى فى علم الاخلاق ، وكتاب اللمعة الجليلة ، والمحرر ، والدر الفريد فى التوحيد وكتاب استخراج الحوادث المستقبلة من كلام امير المؤمنين علي عليه السلام وفى هذا الكتاب جملة من أسرار العلوم الغريبة ، وله رسالة فى معانى افعال الصلاة وترجمة أذكارها قيل بوصفه انه جم الفوائد ، وله رسالة كفاية المحتاج فى مناسك الحجاج ، ورسالة موجزة فى منافيات الحج ، ورسالة اخرى فى واجبات الصلاة ورسالة فى تعقيباتها وأدعيتها وآدابها ، وكتاب الدر النضيد ، وهداية المهتدى ومصباح المبتدى ، وله تاريخ الائمة عليهم السلام بخط تلميذه الشيخ علي بن فضل بن هيكل الحلى وقد اخبرنى المحقق البحاثة الشيخ اغا بزرك الطهرانى النجفى أن هذا الكتاب موجود فى خزانة السيد حسن الصدر ، ولابن فهد كتاب تعيين ساعات الليل وتشخيصها بمنازل القمر ، ورسالة فى المسائل الشاميات ورسالة اخرى فى المسائل البحرانيات ، وكتاب التحصين وصفات العارفين ، وغيرها من الكتب المهمة والآثار الحميدة . وكان لابن فهد جملة من التلاميذ المحصلين كابن هيكل والشيخ مفلح بن حسن بن رشيد الصيمرى ولعله الصعبرى مؤلف كتاب جواهر الكلمات والتنبيهات على الفقه .

وفاته

انطفأ مصباح حياته سنة ٨٤١هـ وقد بلغ من عمره الشريف ٨٥ عاما بعد أن اشتغل فى خدمة الثقافة ردحا من الزمن وضع خلال تلك المدة عدة لبنات سميكة فى اساس مجد الحلة . وقد ورد فى كتاب تاريخ العراق بين

احتلالين للفاضل المتتبع عباس العزاوى المحامى ص ١٥٠ ج ٤ انه (توفى سنة ٨٤١ هـ وهو ابن ٥٨ سنة وقال آخرون ولد سنة ٧٥٧ هـ) الخ ولا شك ان هذا القول موضع نظر وتأمل ، اولا لا موضع لقوله (وقال آخرون انه ولد الخ) حيث المؤلف المحترم لم ينقل قولا سابقا لولادته ولفظة (آخرين) تخالف ذلك القول اذ لا يجوز العطف الا على معطوف عليه ولما لم يكن هناك قول سابق فلا يصح العطف ، وثانيا لا صحة لقوله انه ابن ٥٨ سنة فبمقتضى ذلك تكون ولادته سنة ٧٨٣ هـ ولا يوجد قائل بذلك ، أما موضع قبره ففى كربلاء المشرفة بالقرب من المخيم الحسينى فى بستان مشهور ببستان ابو فهد حينا وفى ـ باغ ابو فهد حينا آخر و ـ باغ ـ بالفارسية يقولون معناها البستان ولا زال قبره من المزارات المحترمة • رحمه الله •

٧٠ ـ تاج الدين الحسن بن راشد

الحسن بن راشد ، اسم مشترك بين جماعة من النابهين الفضلاء الا ان السيد الجليل السيد محسن الامين العاملى قد توسع فى كتابه ـ اعيان الشيعة ـ فى بيان تعدد هذا الاسم ولكنه سها فظن ان الحسن بن راشد موضوع هذا البحث شخصا آخر هو غير صاحب هذه الترجمة وكم اوقع الاشتراك بالاسماء من اشتباهات بين المحققين وميّزه بان ذلك قد وازن لامية الشفهينى ، والحق انهما شخص واحد وان وجد الحسن ابن راشد متعددا على سبيل الاشتراك كما ذكرنا وقد وقعت بلبلة فى هذا الاسم كالبلبلة التى تعرّض لها المؤرخون فى ابن نما وابن طاووس وصفى الدين والاشتباه الذى وقع فى اسم المحقق وفخر المحققين فكان من الصعب جدا على الباحث تشخيص المقصود دون عناء طويل لما يحيطه من حيرة وشكوك ولكن هذا الاسم الذى اعتنينا بترجمة صاحبه هو الذى اشتهر بصاحب

الجمانة فامتاز عن ـ الرواشد الآخرين بكتابه هذا كما امتاز بجودة شعره كان حيا سنة ٨٣٦ هـ وقال المرحوم السيد محسن العاملى فى تعليل ذلك انه قد قابل فى هـذه السنة نسخة مصباح الطوسـى ، ولهذا استبعد أن تصح رواية ـ الطليعة ـ من أن وفاته كانت هذه السنة ٠ وهذا استنتاج غريب ليس له ما يبرره ، فماذا يمنع من مقابلته نسخة المصباح اول تلك السنة ثم انه مات فى نصفها او آخرها بل وحتى بعد انتهاء المقابلة بساعة واحدة مثلا، ان السيد محسن قد توسع فى الجزء ـ ٢١ ـ من اعيانه فى بحثه عن هؤلاء الرواشد وقرر رأيه الخاص فيما رآه صوابا لا سيما فى صدد صاحب هذه الترجمة حيث اسهب فى ترجمته ثم حكم بالتالى عـلى انه غير الحسن بن راشـد بن عبدالـكريم المخزومى الذى وازن لامية الشفهينى المتوفى فى حدود سنة ٨٠٠ هـ والغريب أن يحتمل السيد فى اعيانه كونه حليّا لمجرد معارضته قصيدة الشفهينى الحلى ولا ادرى كيف غاب عنه رحمه الله مع علمه وفضله وسعة اطلاعه ان المعارضة وحدها لا تقتضى قرابة رحم ولا قرب دار ولا وحدة وطن او عصر فقصيدة ـ يا ليل الصب متى غده ! ـ مثلا وهى من نظم القيروانى قد عارضها المصرى من معاصرينا كأحمد شوقى ، وعارضها العراقى كجميل الزهاوى وكلاهما لم يكن فى بلدة القيروانى ولا من ابناء عصره كما وازنها القمراوى وأبو سعيد الصاجى ، بل وحتى لو فرضنا اقتضاءها وحدة البلد فالشفهينى قد وقع خلاف فى حليّته وان كانت نسبته الى الحلة هى الارجح عندى والمظنون لا يصح ان يكون سندا ٠

اما كون صاحب هذه الترجمة هو غير الحسن بن راشد الموازن للامية الشفهينى فدليل هؤلاء ومنهم محمد علي اليعقوبى التبريزى كما ورد فى بابلياته ص ١٠٠ ج١ هو وجود فرق كبير بين طبقة كل منهما فالمترجم له، قال اليعقوبى انه من اهـل المائة التاسعة وذلك من أهـل المائة الثامنة ، اما ما حشره اليعقوبى من بعض اسباب التفريق بين الرجلين فلا يطمئن اليه

العقل السليم ككون القصيدة منحطة عن شعر الحسن بن راشد ، والغريب ان هذا السبب نفسه اعتبره سببا ثالثا وسببا رابعا والحمد لله حيث اكتفى ولم يجعله سببا خامسا وسادسا وهلم جرا • فالسبب الثالث عنده هو انحطاط القصيدة عن شعر ابن راشد ، والسبب الرابع هو زعمه أن ناظمها من العوام ومعنى ذلك انها تنحط عن مستوى قصيدة ابن راشد العالم المثقف فالنتيجة واحدة وان اختلف التعبير فلا معنى لجعله سببا رابعا اما زعم اليعقوبى أن ناظمها من العوام لقوله فيها :ـ

لآل ابى عبد الكريم سليلُ لها حَسَنُ المخزوم عبدكموا أبٌ

فقال اليعقوبى ـ فان تعبيره عن المخزومى ، فى المخزوم يدل على أنه الى العامية أقرب الخ وهذا خطأ فاضح فان اليعقوبى نفسه هو الذى أثنى على شاعرية السنبسى ص ١٨ ج١ من بابلياته وأورد له أبياتا قال انه يتغزل فيها بمباركة زوجة سيف الدولة وقد جعل اسمها ـ البريك ـ فاذا كان مثل هذا التحريف يخرج الشاعر من حظيرة الشعراء ويجعله من العوام فلماذا لم يكن هذا التحريف سببا لحطة السنبسى وجعله من العوام وكيف صح لليعقوبى منحه لقب ـ شاعر آل مزيد ـ ويصفه بكونه برع فى نظم الشعر فاذا التمس عذرا للسنبسى فلماذا بخل على الحسن ابن راشد المسكين بمثل هذا العذر على أن ترجمة اليعقوبى للسنبسى مسروقة مع الاسف معنى وفى أغلب الفاظها من كتاب شعراء العراق فى القرن السادس لسيادة البحاثة الجليل الجواد المصطفى الدكتور مصطفى جواد كما فصلناه بكتابنا الخطى ـ مناقشات ومداعبات ـ فلا حاجة الى التكرار والاعادة سوى اننا نريد أن نزيد فى الرد فنقول ليس دليلا على تعدد الشخص لاختلاف فى شعره فاننا اذا درسنا انتاج أى شاعر من الشعراء نجد ان قصائده تختلف قوة وضعفا حسب قوة الدواعى وضعفها ولهذا يعنونون بعض قصائد الشاعر بقولهم ـ من عيون شعره ـ أو بقولهم ـ من سواحره ـ أو بقولهم ـ من غرر

قصائده ـ فلو كان شعره كله عيونا وسواحر وغررا فلا حاجة الى هـذه العناوين وهذا يدل على اختلاف كبير بين قصائد الشاعر الواحد من حيث السمو والانحطاط ، فشعر المبتدىء لم يكن كشعره بعد الاتقان والنبـوغ ، بل القصيدة الواحدة لم تكن أبياتها على وتيرة واحدة فقد يكون فيها التبر والتبن ولهذا يقال للبيت الجيد المبتكر منها ـ بيت القصيد ـ فهل يصح منا أن ننفى نسبة قصيدة الشاعر اليه لان أبياتها تنحط عن بيت القصيد الذى تحلت به ؟. ولذلك لا يمكننا بهذه الحجج المتهافتة أن ننفى أو نشك بأن المترجم له ، هو غير الشيخ تاج الدين الذى كان من أعيان علماء وادباء القرن التاسع وفضلائه حتى وصفه مترجموه بأنه عالم فاضل جليل من طبقة تلاميذ العلامة الحلى معاصر للشيخ محمد بن على بن محمد الجرجانى الغروى تلميذ العلامة أعلى الله مقامه وأنه شارح كتابه ـ مبادى الاصول ـ ولابن راشد هـذا قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام ، ولهذه القصيدة شـروح ومن شروحها ـ غرر الفرائد فى شرح قصيدة الحسن بن راشد ـ مدحه صاحب كتاب أمل الآمل فقال (الحسن بن راشد فاضل فقيه ، وشاعر أديب ، لـه شعر كثير فى مدح المهدى وسائر الائمة عليهم السلام ، ومرثية فى الحسين عليـه السـلام ، وارجـوزة فى تاريـخ الملوك والخلفاء ، وارجوزة فى تاريـخ القـاهرة ، وارجـوزة فى نظم الفيـة الشـهيد) الخ اما صاحب كتاب رياض العلماء ـ فقـد قـال (الشيـخ تاج الدين الحسن بن راشد الحلى الفاضل العالم الشاعر من أكابر الفقهاء وهـو من المتأخرين عن الشهيد بمرتبتين ، والظاهر انه معاصر لابن فهد ، ورأيت بعض أشعاره فى مدح الأئمة ـ ع ـ فى بلدة ـ أردبيل ـ ورأيت أيضا قصيدة له فى الرد على من ذكر فى تاريخ له مدح معاوية وملوك بنى امية وكانت بخط الشيخ محمد الجباعى جد البهائى) وقد استنتجنا من تراجمه انه متكلم فقيه مؤرخ نحوى اصولى شاعر مؤلف مشارك فى علوم شتى ومن آثاره ومصنفاته

كتاب ـ مصباح المهتدين فى اصول الدين ـ أما (جمانته) فقد ذكرها اليعقوبى ص ١٢٥ ج ١ من البابليات فقال (وفى الفوائد الرضوية أن تاريخ نظم الجمانة سنة ٨٢٥هـ وعدد أبياتها ـ ٦٥٣ ـ كما يدل عليه قوله :

وهـذه الرسالة الألفيـة نظمتها بالحلـة السيفيـة
فى عام خمس بعد عشرين مضت ثم ثمان من مآت انقضت
ست مآت وثلاث ضبطا وبعدها خمسون تحكى سمطا

انتهت رواية اليعقوبى ، وأقول لا أدرى كيف سماها الالفية وهى لم تتجاوز (٦٥٣) بيتا كما صرح هو بذلك وكما ذكره اليعقوبى ولعله أراد أول الامر أن يجعلها الفية ثم شغلته الشواغل عن اتمامها ولحقها الاسم ، اما شعر ابن راشد فمتباين الطبقات فمنه الجيد الجيد ومنه الوسط ومنه ما يجوز أن نلحقه بالواطىء حسب اختلاف بواعث الشعر ودوافعه وحسب التفاوت فى زمن نظمه فليس شعره فى صباه عند أول ممارسته لفن الشعر نفس الشعر بعد اتقانه وتفننه زمن الكهولة ومن شعره الذى نسبه اليه ـ الجباعى ـ قوله :

نعم يا سيدى أذنبت ذنبا حملت بفعلـه عبئا ثقيلا
وها أنا تائب عنـه مقـر به لك فاصفح الصفح الجميلا

وابن راشد هذا من المعاصرين للشيخ زين الدين علي بن فضل الله ابن هيكل الحلي ، وزين الدين هذا هو الذى استنسخ كتاب بغية الراغبين ، فى حكم كثير الشك لمؤلفه واستاذه ابن فهد الحلى ، كما استنسخ كتاب تاريخ الائمة لابن فهد أيضا .

٧١ ـ المهلبي الحلي ـ ٨٤٠هـ

هو الشيخ عز الدين الحسن بن شمس الدين محمد بن زين الدين على المهلبى الصيرفى الحلى ، صاحب كتاب الانوار البدرية فى شبه القدرية ، ألفه فى الحلة سنة ٨٤٠هـ وله غير هذا الكتاب من المصنفات . كان صيرفيا

ماهرا للمذهب ، وللادب ، الا أن معرفته بالادب أشد اتقانا وأكثر عمقا ، فهو من الشعراء المجيدين الذين يمتازون بموهبتهم الشعرية عن قالة الشعر الذين ديدنهم التلاعب بالصيغ والعبارات دون أن يكون لهم في ايراد المعنى الجيد نصيب فهم كنحات التمثال يستطيع أن يجعله شبيها بالانسان ولكنه يعجز عن نفخ الروح فيه • وقد أثنى على المهلبي كل من عني بترجمته فوصفوه بالعلم والادب وكثرة التتبع وسعة الاطلاع الادبي الشامل •

تتلمذ على كثيرين من رجالات العلم ، وشيوخ الادب في الحلة ، ومن أبرز أساتذته العالم الفقيه الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد الحلي المتوفى سنة ٨٤١هـ الذي سبقت ترجمته برقم (٦٩) من هذا الكتاب فهو الذي طلب اليه أن يرد على كتاب يوسف بن المخزوم الاعور المنصوري الواسطي الذي فرغ من تأليفه سنة ٧٠٠هـ وهو كتاب غاية في الحماقة والوضع والطعون الباردة دون دليل من عقل أو نقل ضد المذهب الامامي مذهب أهل البيت عليهم السلام وكان رد المهلبي عليه رداً مفحما فضح مفترياته وفند ايرادات الاعور أحسن تفنيد في كتاب أسماه ـ الانوار البدرية في رد شبه القدرية ـ وكان يستند في رده على ما هو ثابت عند خصمه زيادة في الالزام والافحام وهناك كتاب آخر في الرد على هذا (الاعور الدجال) يسمى ـ التوضيح الانور بالحجج الواردة لدفع شبه الاعور ـ تم تأليفه سنة ٨٣٩هـ ومؤلفه الشيخ نجم الدين خضر ابن شمس الدين الرازي أو الراوي الجلودي وكان المجلسي رحمه الله قد فضّل في بحاره هذا الكتاب على كتاب صاحب الترجمة دون بخس لقيمة كتابه ، وقد سها من حسب ـ الحلبي ـ بدلا عن الحلي فان كافة أصحاب التراجم تسالموا على أن التأليف قد تم في الحلة ، وبقي الدليل على من يدعي انه حلبي ، وقد نص صاحب كتاب الرياض بأنه من ذرية المهلب بن أبي صفرة • وضبط صاحب كتاب ـ أعيان الشيعة ـ وفاته بسنة ٨٤٠هـ وليس

هناك دليل سوى انه الف كتابه ـ الانوار ـ يوم السبت ٦ جمادى الثانية من سنة ٨٤٠هـ بالحلة وهذا ليس بالدليل المقنع فيجوز استمرار حياته بعد تأليف هذا الكتاب ولم أجد فى كتاب ـ نشر الخزامى ـ مجموعة جدنا السيد فاضل قدس سره له ذكرا ، ولعل ترجمته كانت فى القسم المفقود ، أو أن سماحة الجد لم يتصدّ الى ترجمته أصلا والله أعلم •

قال صاحب كتاب ـ رياض العلماء ـ فى وصفه انه (العالم الفاضل المتكلم الجليل الشاعر المحقق المعروف بالمهلبى وهو ليس بالمهلبى الشاعر ولا بالمهلبى الوزير لتقدمهما وتأخره وهو صاحب كتاب الانوار البدرية فى رد شبه القدرية رأيته فى الخزانة الموقوفة الرضوية) الخ وقوله (ليس بالمهلبى الشاعر) ظاهره مناقض لوصفه بالشاعر ولكنه أراد بالمهلبى الشاعر أى الشاعر وليس بالشاعر العالم وهو صاحب هذه الترجمة الذى اجتمع به الوصفان •

٧٢ ـ الشيخ رجب البرسى

نقل بعض علماء الآثار والمؤرخين أن (برس نمرود) أو (برج البلبلة حيث بلبل الله الالسنة يبلغ طول قاعدتـه ميلين فى عرض مائتين وأربعين ذراعا وارتفاعه مائة قصبة وبين كل عشرة أذرع صعودا يوجد درب ملتوى تعرج بالصاعد الى الاعلى بحيث يستطيع بعد استقراره على قمة البرج أن يرى مسافة عشرين ميلا ويقول أهل المنطقة من الاعراب وهم من عشيرة الجنابيين أن هذا المكان هو المكان الذى أعدّه النمرود الى حرق ابراهيم الخليل (ع) فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ولا زالت الارض القريبة من البرج والممتدة الى مساحة كبيرة تسمى (حَرگَة) واذا حفر الرجل يسيرا يظهر له ما يشبه الرماد وهذه القصة يتناقلونها خلفا عن سلف وتقع ـ برس ـ أو ـ برسيا ـ على مسافة نصف ساعة عن الحلة لراكب السيارة على يمين

الذاهب الى النجف الاشرف ويقال أنها من آثار بابل وأطلالها وحول (الزقورة) المتهدمة أنقاض هيكل (نبو) الذى يقولون انه اله العلوم والآداب فكأن موضع الحلة منذ قديم الزمان مهبط العلوم والآداب وفى معجم البلدان [بُرسُ] موضع بأرض بابل به آثار لبختنصر وتل مفرط العلو يسمى صرح البرسى ، واليه يُنسب عبدالله بن الحسن البرسى كان من أجلة الكتاب وعظمائهم قد ولى ديوان (باددريا) فى أيام المعتضد وغيره وعاش الى صدر أيام المقتدر انتهت رواية معجم البلدان .

والى برسى هذه ينسب صاحب هذه الترجمة وهو الشيخ الحافظ رضى الدين رجب بن محمد بن رجب البرسى الحلى كان حيا سنة ٨١٣هـ وتوفى قريبا من هذا التاريخ يلقب ـ بالحافظ ـ و ـ بالمحدّث الصوفى ـ وهو من الادباء اللامعين رقيق الاحساس سامى الشعور له اليد الطولى فى كثير من العلوم اللسانية والعقلية والفقهية ، وله مهارة تامة فى بعض العلوم الغريبة كعلم ـ السيمياء ـ الذى هو علم أسرار الحروف والاعداد ، وله مهارة فائقة بالادب حتى أبدع فى تصانيفه غاية الابداع ، وله مدائح جليلة فى أئمة أهل البيت عليهم السلام أثارت ضده حفيظة المخالفين وسخطهم فوصمه بعضهم بغلوه فى تلك المدائح واعتذر عنه صاحب كتاب ـ رياض العلماء ـ بأن ما يؤاخذ عليه من الغلو لم يكن بالقدر الذى يخرج به عن صحة الاعتقاد ولا يعجبنى هذا الاعتذار ، فانه اذا ثبت الغلو فهو خروج عن صحة الاعتقاد لعموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم (يا على يهلك فيك اثنان ، محب غال وعدوّ قال) ولم تكن للغلو درجات بعضها مغفور وبعضها غير مغفور بل كل مسمى الغلو يصدق عليه مخالفة صحة الاعتقاد فلم يقل الرسول من غالى فيك الى درجة كذا من الغلو فهو هالك وانما أطلق لفظ الغلو اطلاقا فكل غلو موجب للهلكة والعام يشمل جميع مصاديقه ولا يُخصص الا بدليل، أما الواقع فليس هنالك غلو وكل ما يُشعر الغلو فبالامكان حمله على محمل

صحيح والاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فبعد ثبوت علمه وصلاحه وورعه فلا تصح مغالاته لقدحها بورعه والقول بهما جامع للنقيضين وهو لا يكون وكيف يغالى وقد نشأ فى بيئة شيعية هى الحلة التى لا تسمح للغلو أن يعشعش فيها ، ومن هذه الثغرة هاجمه العلامة المجلسى بعدم الاعتماد على ما ينفرد البرسى بنقله فى كتابه المسمى ــ مشارق الانوار ــ وكتابه المسمى ــ بالالفين ــ بحجة أن هذين الكتابين قد اشتملا على ما يوهم الخبط والخلط ، ونستنتج من كلام المجلسى رحمه الله عدم وجود الخبط والخلط فى هذين الكتابين اللذين حصر عدم الاعتماد عليهما فكل ما يتمخض عنه الطعن بالكتابين المذكورين هو أن عبارتهما توهم الغلو فيحملها السامع على غير المقصود فالمجلسى لم يصرح بجزمه بوجود الخبط والخلط وهذا ظلم قد أصاب البرسى فما ذنبه اذا كان السامع قد قصّر عن فهم المراد ، وتوهم فى ادراك المقصود فهل هو مسؤول عن تقصير غيره ؟ وقد حصل من الوهم للناس فى القرآن المجيد فى مثل قوله جل شأنه (يد الله فوق أيديهم) فتوهم بعضهم انها العضو المعروف وكقوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) فظن أن لله عينا باصرة وكقوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فظنه جسما وكقوله (واستوى على العرش) فظنوه جالسا فوقه كجلوس أحدنا على الكرسى وقد حصلت لهم هذه التوهمات وغيرها مع التنبيه لهم بأنه سبحانه ليس كمثله شىء فهل يجوز أن نهجر القرآن الكريم لمجرد حصول مثل تلك التوهمات لبعض الناس كما نصحوا بترك الكتابين المذكورين والحق ما ذهب اليه المرحوم السيد محسن الامين العاملى فى كتابه ــ أعيان الشيعة ــ حيث قال بأمكان حمل ما يفيد الغلو على محمل صحيح ، وهو وجه وجيه لئلا تضيع ما فى الكتابين من الفوائد المجردة عن الغلو فليس كل ما فيهما مشعرا بالغلو وكيف يغالى ؟ وقد وصفه كل من ترجمه بحسن الصفات ومنهم صاحب رياض العلماء فقد قال انه (الفقيه المحدث الصوفى المعروف

صاحب كتاب ـ مشارق الانوار والاعداد ـ ونحوها كما يظهر من تتبع مصنفاته وقد أبدع فى كتبه حيث استخرج أسامى النبى ـ ص ـ والائمة ـ ع ـ من الآيات ونحو ذلك من غرائب القرائة وأسرار الحروف ودقائق الالفاظ والمعميّات) ولم يبين لنا صاحب الرياض مشائخه أما صاحب كتاب أمل الآمل فقد وصفه بقوله (كان فاضلا محدثا شاعرا منشئا أديبا له كتاب ـ مشارق أنوار اليقين فى حقائق أسرار أمير المؤمنين ـ ورسائل فى التوحيد وغيره وفى كتابه افراط ربما نُسب الى الغلو وأورد لنفسه فيه أشعارا جيدة وذكر فيه أن بين ولادة المهدى عليه السلام وبين تأليف ذلك الكتاب ٥١٨ سنة ومن شعره المذكور فيه :ـ

فرضى ونفلي وحديثى انتموا ... وكل كلي منكموا وعنكموا
وأنتموا عند الصلاة قِبْلتى ... اذا وقفت نحوكم أيمم
خيالكم نَصب لعينى أبدا ... وحبكم فى خاطرى مخيم
يا سادتى ، وقادتى ، أعتابكم ... بجفنى عينى لثراها ألثم
وقفا على حديثكم ومدحكم ... جعلت عمرى فاقبلوه وارحموا
مُنّوا على ـ الحافظ ـ من فضلكموا ... واستنقذوه فى غد وأنعموا

فظن الماشطة فى كتيبه ـ مختصر تاريخ الحلة ـ الذى خرج عند طبعه يحمل اسم ـ يوسف كركوش ـ ، ان هذه الابيات جائت على الطريقة الصوفية تشبه اسلوب ابن الفارض فى عرفانياته ، والحق خلاف ذلك فليس هذا الشعر من نوع الشعر الصوفى ولا يشبه عرفانيات ابن الفارض وانما هو مجرد مدح لا صلة له بالشعر الصوفى كما هو ظاهر وليته استطاع ايراد بعض الابيات من شعر ابن الفارض للمقارنة والتدليل • ومن شعر البرسى قوله من مجزوء الرمل :ـ

أيها اللائم دعني ... واستمع من وصف حالى
أنا عبدٌ لعلي الـ ... ـمرتضى مولى الموالي

كلمــــا ازددت مـديحـا فيـه قـالوا : لا تُغـالِ
واذا أبصـرت فى الحق يقينـــا لا أُبالـــي
آيــة الله التي فــى وصفهـــا القـول حـلالي
كـم الى كـم أيهـا العـا ذل أكثـرت جــدالي
يـا عـذولى فى غرامى خلنى عنـك وحـالي
رح اذا مـا كنـت نـاج واطـرحنّي وضـــلالي
ان حبـى لعـلى الـ ـمرتضى ، عين الكمال
وهـو زادى فـى معـادي ومعـــاذى فـى مآلي
وبـه أكملـت دينـى وبــه ختّمُ مقـالي

ولعل هذه الابيات السمحة قالها جوابا لاولئك المترمتين الذين يرمونه بالغلو فهو يعلل ما يحسبه السامع غلوا بأن ذلك وجه الحق اليقين فلهذا لا يبالى بنقدهم بعد تيقنه وجه الحق :ـ

واذا أبصـرت فى الحـق يقينــــاً لا ابـــالي

ويظهر أن البرسى لم يستهدف سهام النقد من المتأخرين كالمجلسى الا من هذه الزاوية الضيقة ولكنه كان يضيق بالناقدين حينا فيقول معاتبا :ـ

كـم الى كـم أيهـا العـا ذل أكثـرت جــدالي

وقد يتجلد فلا يعبأ بهم فيقول :ـ

واذا أبصـرت فـى الحـق يقينـــا لا ابـــالي

ثم انه يصطنع ملاينتهم فيلتمس من مضايقيه ترك جداله على حد قوله تعالى (لكم دينكم ولي دينى) فيقول :ـ

يا عـذولى فـى غـرامـى خلنى عنــك وحــالي

ثم يزداد امعانا فى الملاطفة والملاينة فيقول :ـ

رح اذا مــا كنـت نـاج واطـرحنّي وضـــلالى

ولكنه يشعر بأنه قد أسرف فى الملاطفة فيعــود لتبرير رأيــه بعنف فيقول :ـ

ان حبى لعــلي الـ ــمرتضى ، عين الكمال
وهــو زادى فى معــادى ومعــاذى فى مــآلي
وبــه أكملــت دينى وبــه ختــم مقــالى

وهنا تسكن ثورته النفسية كما تسكن العاصفة ويرمى قلمه كالفارس يغمد سيفه بعد فوزه وانتهاء المعركة • وفى قلبه راحة وفى نفسه آمال •

مؤلفاته :

لهذا الشيخ الوقور مؤلفات كثيرة نقل عنها الكفعمى صاحب المصباح ومنها ما يرجع تاريخها الى سنة ٨١٣ هـ ومن هذه المصنفات رسالة وصفوها بالجودة والنفاسة فى ذكر الصلوات على الرسول والائمة عليهم السلام من انشائه ، كما ان له زيارة لأمير المؤمنين سلام الله عليه طويلة قالوا انها فى غاية الحسن من الفصاحة والبلاغة ، ولـه رسالة اللمعة (وقد كشف فيهـا أسرار الاسماء والصفات والحروف والآيات ، وما يناسبها من الدعوات ، وما يقاربها من الـكلمات ، رتبها على ترتيب الساعـات ، وتعاقب الاوقات ، فى الليالى والايام ، لاختلاف الامور والاحكام ، وفيها فوائد وهى لا تخلو من غرابة) وله كتاب مشارق الانوار مطبوع فى بمبي سنة ١٣٠٣ هـ بمطبعة حجرية ، وطبع أيضا فى الآونة الاخيرة فى مصر طبعة متقنة ، وله تفاسير غريبة كقوله فى هذا الكتاب (والألف اول المخترعات ومنـه سائر مراتب العالم ، وجميع الحروف محتاجة اليه ، وهو فى غنى عنها لأن سائر الاعداد لا يستغني عنه ، وهو لا يحتاج اليهـا ، ومن عرف ظـاهر الألف وباطنـه وصل الى درجة الصديقين ، ومرتبة المقربين ، لان له ظهر وبطن وظاهره ثلاثة، العرش • واللوح • والقلم ، وهو مركب من ثلاث نقط ، الواحدة ،

والواحدة ، والواحدة ، وبحثها يأتى فيما بعـد ، وباطنه الاول ثلاثة وهى العقل • والروح • والنفس ، وباطنه الثانى (١١١) وهو عدد بسايطه وهو عدد الاسم الاعظم فاذا أُخذ منه (١٢) وهو موضع الاسماء والاعداد بقى (٩٩) وهى عدد الاسماء الحسنى) الخ انتهى ما اردنا نقله على سبيل المثال وقد وجدت فى مكتبة الشسترية فى النجف الاشرف تحت رقم ـ ٥٤٦ ـ كتابا لمؤلفه شيخ محمد بن محمد ابن ابى سعيد الهروى كثير الشبه بكتاب مشارق الانوار للبرسى الا أنه فى اللغة الفارسية التى لم أفقهها فاستعنت على تفهمه بمأمور المكتبة المذكورة فألفيت أكثره تفسيرا لاسماء الله تعالى ، والعهدة على المترجم ولكنى لاحظت عناوين مواضيع هذا الـكتاب تساعد على قبول تفسير أمين المكتبة كالعناوين الآتية (دَرْ شرح كلمة مباركة الرحمن) و (در شرح كلمة مباركـة الرحيم) و (در شـرح كلمة مباركة الفتاح) وكذلك باقى اسمائه المقدسة كالعليم والمُعِزّ والحفيظ والمبدى والمعيد الخ فهذه عناوين عربية سوى زيادة كلمة واحدة وهى لفظة ـ در ـ وقد قال أمين المكتبة ان معناها (في) الظرفية ، وللبرسى أبيات من قصيدة خمسهـا الشيخ فخر الدين احمد بن محمد السبعى الاحسائى الموفى سنة ٩٦٠ هـ وهو من فضلاء العلماء نقتطف منها هذه الابيات مخمسة فى مدح أميرالمؤمنين عليه السلام وهى من البحر البسيط :ـ

أعيتْ صفاتك أهـل الرأي والنظرِ
وأوردتهم حيـاض العجـز والحصر
انت الـــذى دق معنـــاه لمعتبـــر
يـا آيـــة الله ، بل يا فتنة البشـــر
يا حجة الله ، بل يا منتهى القدر
ففى حـــدوثك قـوم فى هواك غووا
اذ أبصروا منك أمـرا معجزا فغلوا

حيرت اذهانهم يا ذا العلى فغلوا (١)
هيمنت افكار ذى الافكار حين رووا
آيات شأنك فى الايام والعُصُرِ
ادركت مرتبــة ، ما الوهم مدركها
وخضت من غمرات الموت مهلكهـا
مولاى يـا مالك الدنيـا وتاركهـا
ان السفينــة مَن صـدقا تمسكهـا
نجا ، ومن حاد عنها ، خاض فى شرر(٢)
جـائت بتعظيمك الآيـات والســور
فالبعض قد آمنوا والبعض قد كفروا
والبعض قد وقفوا جهلا وما اختبروا
وكم أشـاروا وكم أبدوا وكم ستروا
والحق يظهر من بادٍ ومستتر

وقال المؤرخون أن البرسى كان صوفيا عميق التصوف ولا شك انهم يقصدون به التصوف الشيعى لا غيره •

الصوفية :

زعموا أن اشتقاق هذه اللفظة من الصفاء ويراد به صفاء الروح ، أو من الصوف ويراد به شدة الزهد والتقشف ، ولكن الحق يعضد القائلين باشتقاقها من لفظة الصوف ويؤيد ذلك نفس الصيغة اللفظية فان النسبة الى الصفاء صفوى ، لا صوفى ، وقد ذهب بعض الصوفين الى الاخذ بالرأى

---

(١) هذا ايطاء فلو قال : فهووا لتخلص منه •

(٢) لو قال فى سقر لكان أجود من قوله فى شرر •

الاول لما فى هذه النسبة من عذوبة الصفاء ولينه وآثرها على لفظة الصوف لما فى الصوف من خشونة ، ومن المستغرب جدا استدلال بعض هؤلاء بقول الصوفى ـ جنيد البغدادى ـ (ان الصوفى من يحفظ قلبه صافيا لله) فهذا لا يمنع أن يكون اشتقاق الاسم من الصوف الذى يدل لبسه على التقشف والزهد وهما مظهران من مظاهر صفاء القلب لله بدليل جواز استبدال كلمة الصوفى الواردة فى كلام الجنيد بلفظة المؤمن فنقول ـ ان المؤمن من يحفظ قلبه صافيا لله ـ فليس هذا الجناس اللفظى ـ من صوفى وصفاء ـ من لوازم التفسير بالصفاء أما اعتراض بعضهم بأن القوم لم يختصوا بلبس الصوف لتكون النسبة اليه ، فان هذا القول مردود لان النسبة تلحق الشخص أو الجماعة لمناسبات تافهة فقد لبس أحدهم ثوبا أبيض فداعبه أحدهم بقوله ، ان ثوبك مثل دقيق العيد ، فلزمته هذه النسبة وذريته فقيل لهم آل دقيق العيد ينتسبون الى قاضى القضاة الشيخ تقى الدين أبو الفتح محمد بن على بن وهب المنفلوطى ابن دقيق العيد ولم يكن كل أفراد عائلته قد لبسوا الثوب الابيض ، ولما كان أغلب الصوفية يلبسون الصوف نسبوهم اليه وان وجد منهم من يلبس الحرير والاستبرق ، وهل بنو ماء السماء كانوا بنى ماء السماء حقيقة ؟ والمؤسف حقا أننا وجدنا بعض هؤلاء الصوفية من المدجلة المشعوذة الذين لم يجد الاسلام الصحيح الى قلوبهم سبيلا ، ووجدنا لهم ضمائر لينة وجباها صلبة لا يتحرجون عن كل اثم ، والمرونة فى الضمير والدين غيرها فى الاخلاق والتفكير ، فهؤلاء باسم الدين نكبوا الدين كما تظهر الحمير على المرسح أو كما تظهر النساء متنكرة بزى الرجال ، فان كانت لهن صورة الرجل فليس لهن قلبه وعقله وبسالته وما ألطف ما قاله فيهم المغفور له السيد عبدالباقى العمرى الشاعر المجيد المشهور من البحر الوافر :ـ

أقال الله ، صفق لي وغنِّ — وقل كفرا ، وسَمِّ الكفر ذكرا
فلو أن السيادة باخضرار — لكان السلق أشرف منك قدرا

وقد سبقه محمد بن ادريس الشافعي أحد المذاهب الاربعة على رأى اخواننا أهل السنة فى ذمهم من البحر المتقارب :ـ

متى سمع الناس فى دينهم ؟ بأن الغناء سُنَّةٌ تُتَّبع
وأن يأكل المرء أكل البعير ويرقص فى الجمع حتى يقع
وقالوا : سكرنا بحب الاله وما أسكر القوم الا القِصَع

وأخذه أبو العلاء المعرى فقال من البحر الوافر :ـ

أرى جيل التصوف شر جيل لقد جئتم بشيء مستحيل
أقال الله حين عشقتموه ؟ كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

والصوفيون يزعمون باطلا أنهم أولياء الله المرسلون الى معرفة النفس بواسطة الرياضات النفسية والتعسف فى الزهد وتعذيب الجسد قد بدأها حسن البصرى الذى لم توثقه الامامية ، وللناس فى الصوفية والتصوف آراء مختلفة متعارضة فمنهم من وضعهم حتى نزل بهم الى درجة الكفر والالحاد ومن القائلين بهذا القول العلامة التفتازانى والسخاوى والقارىء والشافعى والعمرى وكثير غيرهم ، ومنهم من رفعهم فصعد بهم الى درجة الولاية والمعرفة بالحقيقة الالهية مع أنهم يجهلون كنه أنفسهم ومن القائلين بهذا القول الفيروزآبادى والشعرانى ، ومن الناس من وقف منهم الموقف الحيادى فهو لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويميل الى هذا الموقف كل من يجهل حقيقتهم ، والحقيقة التى لا غبار عليها ان الصوفية دجل وشعوذة وتضليل وليس من هذا الوادى صوفية الشيعة لاننا قد بينا انها رياضة نفسية وزهد فحسب وان اشتركت مع الصوفية بالاسم فانها تختلف معها بالمفهوم فليس فيها شطحات ولا كفر ولا همهمات ولا رقص ولا طبول ولا دفوف ولا غناء ولا درباش ولا أكل النار ولا الضرب بالسكاكين فهذه الشعوذة يوجد مثلها عند الكفرة كما يراه الناس ـ بالسركس ـ من الاعمال السحرية ، وقد انبرى للرد عليهم وفضح مفترياتهم جملة من العلماء المحققين كالمولى صدر

الدين الشيرازى صاحب كتاب ـ الاسفار ـ فسمى كتابه ـ كسر الاصنام الجاهلية وكفر جماعة الصوفية ـ وصاحب هذه الترجمة وابن فهد وابن طاووس والبهائى وان انتسبوا الى الصوفية ولكنها صوفية الشيعة بالمفهوم الذى أوضحناه لا تقدح بالاسلام ولا تضر بالايمان •

شعر البرسى :

للحافظ البرسى سليقة شعرية مؤاتية وطبيعة أدبية خصبة منتجة وأكثر شعره فى مدح الرسول الاعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفى أهل بيته الطاهرين ومما قاله فى مدح النبى ـ ص ـ من المتقارب :ـ

أضاء بك الافق المُشرق ... ودان َ لمنطقك المنطقْ
وكنت ولا آدمٌ كائنا ... لانك من كونه أسبق
ولولاك لم تُخلق الكائنات ... ولا بان غرب ولا مشرق
تجليت يا خاتم المرسلين ... بشأو ، من الفضل لا يُلحق
فأنت لنا أول ، آخر ... وباطن ظاهرك الاسبق
تعاليت عن صفة المادحين ... وان أطنبوا فيك أو عمّقوا
فمعناك حول الورى دارة ... على غيب أسرارها تحدق
وروحك من ملكوت السماء ... تَنزّل بالامر ما يخلق
ونشرك يسرى على الكائنات ... فكلٌ على قدره يعبق
اليك قلوب جميع الانام ... تحن وأعناقها تعنق
وفيض أياديك فى العالمين ... بأنهار أسرارها يدفق
وآثار آياتك البينات ... على جبهات الورى تشرق
فموسى الكليم وتوراته ... يدلان عنك اذا استنطقوا
وعيسى وانجيله بشّرا ... بأنك (أحمد) من يُخلق
فيا رحمة الله فى العالمين ... ومن كان لولاه لم يخلقوا

لانك وجـه الجـلال المنير ووجه الجمـال الذى يشرق
وأنت الامين وأنت الامـان وانـك تـرتـق مـا يفتـق
أتى (رجب) لك فى عاتق ثقيل الذنوب فهـل يُعتق ؟

وهـذا نموذج من شـعره الجيد المقبول حلو الجـرس لطيف القافيـة سامى المعانى شريف القصد يدل على طول باع ومهارة فائقة لا يقدر عـلى مثله الاقزام المتعملقون لولا فيه من الايطاء وهو من عيوب القافية ولعل ذلك نتيجة فقدان جملة من أبيات هذه القصيدة الرائعة التى أخذ من موضوعها ومعانيها وبحرها ورويّها المغفور له عبدالباقى العمرى المتوفى سنة ١٢٧٨هـ فراجع قصيدته فى مدح الرسول ـ ص ـ التى يقول فيها :ـ

تخـيرك الله مـن آدم ولـولاك آدم لـم يخلـق

فهو من قول البرسى :

ولولاك لم تخلق الكائنـات ولا بـان غـرب" ولا مشـرق

الى عدة أبيات جائت كشرح لقصيدة البرسى ، وقصيدة العمرى عامرة بديعة ولكن للبرسى فضل السبق •

ما معنى تلقبه بالحافظ ؟

يستعمل لقب ـ الحافظ ـ فى عدة مواضع مختلفة المواضيع ، فلغة يطلق على المواظبة والمراقبة كقوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلوات الوسطى) والحفيظ الرقيب وحفظ الشيء الاطلاع عليه عن ظهر قلب ، ويراد به أحيانا ما يقابل النسيان ، أما استعماله بين علماء الحديث لا سيما عند العامة فيراد به من كان حائزا على الدرجة الثالثة من درجات حملة الحديث حيث انهـم قسّموا مراتب هؤلاء الى خمسة أقسام ، أولها الطالب ، فالاستاذ الذى تناط به مهمة تعليم الحديث وتلقينه الى الطالب وثالثها الحافظ ، وهـو من تحت ضبطه مائة الف حديث متنا واسنادا ، ورابعها الحُجة وهو من حصل تحت

ضبطه ثلثمائة الف حديث متنا واسنادا ، وخامسها ، الحاكم وهو من أحاط بجميع الحديث وعندى أن هذه الرتبة الاخيرة لم تتيسر والاصح أن يقال في تعريفه انه من زاد ضبطه على ضبط الحجة أو أن المراد بالاحاديث الاحاديث المروية فى كتب معينة معروفة ، أما معنى الحافظ فى عرف القراء فانهم يريدون به من يحفظ القرآن المجيد عن ظهر قلب مع الوقوف على دقائق علم التجويد واتقان القراءات السبعة وقد يُطْلق هذا اللقب جزافا كما أطلقوه على الحافظ الشيرازى كمجرد لقب دون رعاية لصحة مصداقه ، أما بالنسبة الى صاحب هذه الترجمة فانه لُقّب بالحافظ لانه من وعاة الحديث النبوى الشريف ولانه من القراء الممتازين فجمع بين الحُسنيين من الاصطلاحين رحمه الله تعالى وأسكنه رياض جنانه وسقاه شآبيب عفوه .

بحمد الله انتهى الجزء الاول

والى . . . . .

الجزء الثاني

تنبيه واعتذار

مع الاسف وقعت أغلاط نرجو تصحيحها قبل قراءة الكتاب واخرى سيفطن اليها القارىء النبيه .

الغلط			الصواب
ص	س		
٢٠	١٢	شأنها	شانها
٢٩	٢٤	من	عن
٣٣	٣	وهذ	وهذه
٤٥	١٨	شأنك	شائك
٤٦	٦	استعدنا	استبعدنا
٤٦	١٧	منه	منهم
٤٩	٤	وضعت	وضعفت
٥٥	١٤	القليد	التقليد
٧٥	١٨	من من	من
١٠٣	١٣	رضى الدين	جمال الدين
١٠٩	٢٢	ولاحنف	والاحنف
١١٣	١٤	جهوسول	جهول
١٢٣	٤	بينه	بينها
١٢٥	٢	صائف	صحائف
١٢٧	٣	الابا	الآباء
١٢٨	١٥	المتجحة	المتأججة
١٢٨	١٩	ان	ابن
١٦٦	٢٠	باليانه	بابليانه
١٦٦	١١ ، ٢٣	العنبسى	السنبسى

الصواب	الغلط
	ص : س
لا يقرون	١٧٢ : ٧ يقرون
عبدالكريم الماشطة	١٩٨ : ١١ عبدالكريم الشامطة
مبرز	٢٠٠ : ٩ مبرر
قد أوضح	٢٠٤ : ١٩ فقد أوضح
فاذا اضيفت حروف نكد كانت	٢٠٥ : ١٢ (٦٠٢) كانت
فألفيناه	٢٠٨ : ١٨ فألفياه
الحقد	٢٠٩ : ١١ الحق
ابن تيمية	٢١٧ : ١٠ ان تيمبة
كتيب	٢٢٠ : ٢١ كتب
اعترف به	٢٢٣ : ١٢ اعترف
والصداقة	٢٢٤ : ٢٢ االصداقة
الكتيب	٢٢٩ : ٢٢ الكتاب
بالمأمور به	٢٤١ : ١٩ بالمأمورية
فأنها	٢٤٢ : ٢٢ فان
ما وراء الاكمة	٢٨٤ : ٧ ما ورائها
ولعل المراد بالنهر	٢٨٤ : ١٠ ولعل المراد بها

الفهرست


Princeton University Library
32101 074454719